مرکز القائمیه اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

هادي المدرسي

أخلاقيات الإمام علي أمير المؤمنين (ع)

قراءة في تعاملات الإمام من موقع المؤمن الصادق والمعارض المخلص، والحاكم العادل

الجزء الأول

دار العلوم

بسم الله الرحمن الرحیم

اخلاقیات الامام علی امیرالمومنین علیه السلام

کاتب:

هادی مدرسی

نشرت فی الطباعهٔ:

دار العلوم

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵

اخلاقيات الامام على امير المومنين عليه السلام المجلد ۱ ----- ۷

اشاره ----- ۷

اشاره ----- ۷

المقدمه ----- ۱۳

أخلاقيات المؤمن ----- ۱۵

اشاره ----- ۱۵

التقوى و الإخلاص ----- ۱۷

الالتزام بالأخلاق الفاضله ----- ۴۶

اليقين ----- ۷۶

الزهد ----- ۹۲

اشاره ----- ۹۲

موجبات الزهد ----- ۹۴

اشاره ----- ۹۴

أول موجبات الزهد: النظر إلى الآخره، و الاهتمام ----- ۹۴

و ثانى موجبات الزهد: تذكر الموت، و ما فيه من البلى. ----- ۹۴

و ثالث موجبات الزهد: معرفه نواقص الدنيا، ----- ۹۵

و رابع موجبات الزهد: الانشغال بإصلاح النفس. ----- ۹۷

نتائج الزهد فى الآخره و الدنيا ----- ۹۹

و لقد كان لزهده عليه السّلام سته أبعاد.. ----- ۱۰۲

اشاره ----- ۱۰۲

ففى البعد الأول، و هو الزهد للبساطه فى الحياه. ----- ۱۰۲

أما البعد الثانى فى زهد الإمام، فهو الزهد لترويض ----- ۱۰۹

البعد الثالث لزهد الإمام، هو الزهد للتأسّى بالفقراء ----- ۱۱۹

البعد الرابع من زهد الإمام، زهد للعطاء للآخرين.. ----- ۱۲۳
البعد الخامس من زهد الإمام: زهده لرفض الترف ----- ۱۲۵
البعد السادس لزهد الإمام: هو زهده للالتزام بالعدل ----- ۱۳۷
التواضع ----- ۱۴۳
المبادره ----- ۱۵۶
الوفاء ----- ۱۶۵
التضحيه ----- ۱۷۱
العطاء ----- ۱۷۷
الشجاعه ----- ۱۹۱
قضاء حوائج الناس ----- ۲۲۰
الإيثار ----- ۲۳۶
الحلم ----- ۲۴۳
العمل اليدوى ----- ۲۵۱
التوازن بين الدنيا و الآخره ----- ۲۵۷
الدعابه ----- ۲۷۳
أخلاقيات المعارضه ----- ۲۷۷
الفهرس ----- ۳۰۹
تعريف مركز ----- ۳۱۱

اخلاقیات الامام علی امیر المومنین علیه السلام المجلد ۱

اشاره

پدیدآوران: مدرسی، هادی (نویسنده)

اخلاقیات الامام علی امیر المومنین(علیه السلام)

عنوان های دیگر: قراءه فی تعاملات الإمام من موقع المؤمن الصادق و المعارض المخلص، و الحاکم العادل

ناشر: دار العلوم

مکان نشر: بیروت - لبنان

سال نشر: ۱۴۳۱ ق یا ۲۰۱۰ م

چاپ:۱

موضوع: اخلاق اسلامی

علی بن ابیطالب(ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. - اخلاق

علی بن ابیطالب(ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. - خطبه ها

زبان: عربی

تعداد جلد:۳ج

کد کنگره: BP ۳۷/۴ /م ۴ الف ۳

ص: ۱

اشاره

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (١)

اَلْحَمْـدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (٢) اَلرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (٣) مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (۴) إِيّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيّاكَ نَسْـتَعِينُ (۵) اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (۶) صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ الضّالِّينَ (٧)

المقدمه

الحمد للّه رب العالمين و الصلاه على محمد سيد المرسلين و على أهل بيته الطيبين الطاهرين.

- على أى منهج نسير فى الحياه؟

و ما هو النموذج الأفضل لنظامنا؟

- من هو القدوه فى ذلك؟

و ما هو الميزان؟

تلك هى بعض الأسئله التى يحاول هذا الكتاب الإجابه عليها، من خلال استعراض مواقف الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام و كلماته و حكمه. باعتبارها منهجا متكاملا للحياه، و نموذجا فريدا للاقتداء..

ذلك أنّ هذا الكتاب ليس سردا تاريخيا لحياه الإمام، و لا محاوله لتسليط الضوء على أبعاد شخصيته الكريمه، و تراثه المجيد، لأنه لا يتحدّث عن الماضى برجاله و تاريخه للهروب من الحاضر و التراجع إلى الوراء، بل يتحدث عن الماضى لإعادته إلى الحاضر، و الانطلاق به إلى المستقبل..

إنه محاوله لتصوّر الإمام حاضرا بيننا، يمشى معنا فى الأسواق، و يتعامل مع الناس، و يصدر تعليماته لهم و يبيّن رؤاه، لكى نتبيّن على ضوئها مواقع أقدامنا، و واجبات أمّتنا فى الوقت الحاضر..

و لقد أعتمدت فى تأليف هذا الكتاب، على الاستفاده من كلمات الإمام و استشراف بصائره حول كل موضوع، و ذكر مواقفه عليه السّلام، ليس من خلال سياقها التاريخى، لأن الجوهر الذى انصب التأليف عليه كان توضيح الجانب الأخلاقى فى حياه الإمام الفرديه، و الاجتماعيه و السياسيه باعتباره النموذج الصالح للعبد المؤمن، و الحاكم العادل، و المعارض الحكيم.. و آثرت أن أذكر النص التاريخى من غير تدخل فيه أو تصرف، مع ذكر المصدر، و ثبت الصفحات..

و قسّمت الكتاب إلى ثلاثه أقسام:

القسم الأول: أخلاقيات المؤمن.

القسم الثانى: أخلاقيات المعارضه.

القسم الثالث: أخلاقيات الحاكم.

و من اللّه أستمد التوفيق، إنه من وراء القصد.

هادى المدرّسى

۱۴۱۰/۶/۱۰ ه - ۱۹۹۰/۱/۷ م

أخلاقيات المؤمن

اشاره

ص:٩

التقوى و الإخلاص

تتمحور حياه النّاس عاده حول إحدى محاور ثلاثه:

الأول: محور الإيمان باللّه، و ما يتعلق به من قضايا العباده و الأخلاق، و الالتزام بالأحكام..

الثانى: محور «قضيه» معيّنه ترتبط بقيمه من القيم، أو مصلحه من المصالح العامه.

الثالث: محور الذّات، و ما يتعلّق بها من الشهوات و الملّذات و المصالح.

و غالبيه النّاس عاده هم من الّذين تدور حياتهم حول المحور الثالث، ذلك لأنه زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَهِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّهِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَهِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذلِكَ مَتاعُ الْحَياهِ الدُّنْيا وَ اللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (۱).

ص:۱۱

۱- سوره آل عمران، الآیه: ۱۴.

و قلّه هم الّذين يتحملون قضيه معيّنه، و يناضلون من أجلها كتحرير بلدانهم، أو تحقيق العداله فيها، أو الاستقلال لها أو ما شابه.

أمّا الأقلون فهم المؤمنون الّذين تدور حياتهم حول الإيمان باللّه.. و من ثم العمل من أجل الآخره.

و هؤلاء هم الّذين قال عنهم ربّنا: وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ (۱)...

و هم المتّقون الّذين يشفقون من أمر ربّهم، و هم «أهل الفضائل»(۲).

و يميّزهم عن غيرهم أن «منطقهم الصواب، و ملبسهم الاقتصاد و مشيهم التواضع، غضّوا أبصارهم عمّا حرّم اللّه عليهم، و وقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم. نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالتى نزلت فى الرخاء، و لو لا الأجل الّذى كتب اللّه عليهم لم تستقرّ أرواحهم فى أجسادهم طرفه عين، شوقا إلى الثواب، و خوفا من العقاب. عظم الخالق فى أنفسهم فصغر ما دون ذلك فى أعينهم»(۳).

أمّا فيما يرتبط بالحياه الدنيا، فهم لا ينسون نصيبهم منها،

۱- سوره سبأ، الآيه: ۱۳.

۲- نهج البلاغه: الخطب ۱۹۳.

۳- المصدر السابق.

و لكن قلوبهم متعلقه بالآخره «فهم و الجنه كمن قد رآها فهم فيها منعمون، و هم و النار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون.

قلوبهم محزونه و شرورهم مأمونه، و أجسادهم نحيفه، و حاجاتهم خفيفه، و أنفسهم عفيفه»(۱).

«صبروا أياما قصيره، أعقبتهم راحه طويله، تجاره مربحه يسّرها لهم ربهم. أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، و أسرتهم ففدوا أنفسهم منها»(۲).

تلك هى من أقوى ميزات أهل التقوى، فالدنيا التى يريدها أصحاب الملذّات و المصالح، و يركضون وراءها، أرادتهم و لكنهم لم يريدوها و قصدتهم و لكنهم رفضوها، لأنهم أرادوا الآخره و ما فيها من النعيم المقيم. و حينما أسرتهم الدنيا، فدوا أنفسهم بمجاهده النفس و العباده و الطاعه و الخشوع..

«أما الليل فصافون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتّلونها ترتيلا يحزّنون به أنفسهم و يستثيرون به دواء دائهم»(۳).

غير أنّ تلاوتهم للقرآن ليست تلاوه ألفاظ، بل تلاوه تفاعل و تأمل و عمل «فإذا مرّوا بآيه فيها تشويق ركنوا إليها

۱- المصدر السابق.

۲- المصدر السابق.

۳- المصدر السابق.

طمعا و تطلّعت نفوسهم إليها شوقا، و ظنّوا أنها نصب أعينهم.

و إذا مرّوا بآيه فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، و ظنّوا أن زفير جهنم و شهيقها فی أصول آذانهم»(۱).

إن العباده بالنّسبه إليهم عمل مستقلّ، و ليس مقدمه لحاجه أخرى، فلا يراؤون بعبادتهم، و لا يتظاهرون بها.. «فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجباههم، و أكفّهم، و ركبهم، و أطراف أقدامهم، يطلبون إلى اللّه تعالى فی فكاك رقابهم»(۲).

و لا يعنی ذلک أنّهم يعبدون اللّه تعالى بالصلاه وحدها، بل يعبدونه بكل وجودهم، بالنشاط، و الجهاد، و العلم و الحلم و كثره العمل، فهم فی اللّيل - حيث الآخرون يغطون فی النوم - يعبدون ربهم «و أمّا فی النهار فحلماء، علماء، أبرار، أتقياء.

قد براهم الخوف برى القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، و ما بالقوم من مرض. و يقول لقد خولطوا، و لقد خالطهم أمر عظيم، لا يرضون من أعمالهم القليل، و لا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متّهمون، و من أعمالهم مشفقون»(۳).

۱- المصدر السابق.

۲- المصدر السابق.

۳- نهج البلاغه: الخطب ۱۹۳.

و لـذلك فإنّهم متواضـعون جدا، بعيدون عن الزهو و الخيلاء: «إذا زكّى أحد منهم خاف مما يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسـى من غيرى، و ربّى أعلم بى منّى بنفسى. اللّهمّ لا تؤاخذنى بما يقولون، و اجعلنى أفضل مما يظنون و اغفر لى ما لا يعلمون»(١).

و لا شكّ أن رجالا من هـذا الطراز يتمتعون بصـفات شخصـيه عاليه إذ «من علامه أحدهم أنك ترى له قوه فى دين، و حزما فى لين، و إيمانـا فى يقين، و حرصـا فى علم، و علمـا فى حلم، و قصـدا فى غنى، و خشوعـا فى عباده، و تجمّلا فى فاقه، و صبرا فى شـدّه، و طلبا فى حلال، و نشاطا فى هـدى، و تحرّجا عن طمع، يعمل الأعمال الصالحه و هو على وجل، يمسـى و همّه الشـكر، و يصبح و همّه الذكر. يبيت حذرا، و يصبح فرحا، حذرا لما حذر من الغفله، و فرحا بما أصاب من الفضل و الرّحمه»(٢).

و هؤلاء أشـدّاء مع النفس، فلا يسـلسون القياد لـذواتهم فيما تحب أو تكره. فإن أحـدهم «إن استصـعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب»(٣).

ص:١۵

١- نهج البلاغه: الخطب ١٩٣.

٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق.

و هم لهذا زهّاد فى أمور الدنيا، حريصون على أعمال الآخره، فترى أحدهم «قره عينه فيما لا يزول، و زهادته فيما لا يبقى، يمزج الحلم بالعلم، و القول بالعمل، تراه قريبا أمله، قليلا زلله، خاشعا قلبه، قانعه نفسه منزورا أكله، سهلا أمره، حريزا دينه، ميته شهوته مكظوما غيظه»(۱).

أ ترى أن من كان الإيمان باللّه محور حياته، هل يؤذى أحدا؟ و هل يترك عملا صالحا؟ و هل يتعامل بالأحقاد؟

لا شك أن مثل هذا النموذج «الخير منه مأمول، و الشرّ منه مأمون، إن كان فى الغافلين كتب فى الذاكرين، و إن كان فى الذاكرين، لم يكتب فى الغافلين. يعفو عمّن ظلمه، و يعطى من حرمه، و يصل من قطعه، بعيدا فحشه، لينا قوله، غائبا منكره، حاضرا معروفه، مقبلا خيره، مدبرا شرّه، فى الزلازل وقور، و فى المكاره صبور، و فى الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، و لا يأثم فيمن يحب، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه، لا يضيع ما استحفظ و لا ينسى ما ذكّر، و لا ينابز بالألقاب و لا يضار بالجار، و لا يشمت بالمصائب و لا يدخل فى الباطل، و لا يخرج من الحق، إن صمت لم يغمّه صمته، و إن ضحك لم يعل صوته، و إن بغى عليه صبر حتى يكون اللّه هو الذى ينتقم له،

۱- المصدر السابق.

نفسه منه فی عناء و الناس منه فی راحه، أتعب نفسه لآخرته و أراح الناس من نفسه، بعده عمّن تباعد عنه زهد و نزاهه، و دنوّه ممّن دنا منه لین و رحمه، لیس تباعده بکبر و عظمه و لا دنوّه بمکر و خدیعه..»(۱).

و حیاه علی أمیر المؤمنین علیه السّلام تطبیق دقیق لهذه المواصفات: محورها رضا اللّه، و هدفها عبادته، و مفرداتها العمل الصالح فی کل مواقفه.

و لا شک أن من لا یفهم «تقوی الإمام» یحتار فی تفسیر کثیر من مواقفه، و قد یتساءل کما تساءل بعض معاصریه: هل للإمام علم بأصول السیاسه أو کما قال بعضهم: «إن ابن أبی طالب رجل شجاع و لکن لا علم له بالحرب»(۲).

إنّ کثیرا من الخطط الممکنه، و الخطوات التی نصحه البعض بها لإحراز الانتصار کانت فی الحقیقه تصطدم بإیمان الإمام علیه السّلام، و التزامه بالأخلاق، و تعهّده للرساله، و زهده فی الحیاه الدنیا.

إنّ نقّاد التاریخ ربما نظروا إلی المسائل من خلال عینیّ السیاسی، و لیس من خلال عینی المؤمن.. لأن البوصله فی قلب السیاسی ربما تتّجه نحو النجاح بأی ثمن، و لکن بوصله

۱- نهج البلاغه: الخطب ۱۹۳.
۲- الکامل - للمبرد: ج ۱، ص ۱۳.

المؤمن تتجّه نحو الإيمان و الالتزام بالقيم، و الحفاظ على التقوى.

و من هنا فإنّ العباده عند الإمام - و هو رئيس دوله - لم تصبح «فرعا» بل بقيت «أصلا» و الخشوع للّه لم يتحوّل إلى قضيه هامشيه، لانشغاله بأمور الدوله مثلا.. فأى شيء أهم من عباده اللّه، و كسب رضاه؟

لقد أوصى الإمام «محمد بن أبى بكر» حين ولّاه مصر، بقوله: «لا تسخط اللّه برضى أحد من خلقه، فإن فى اللّه خلفا من غيره، و ليس من اللّه خلف فى غيره».

و أضاف: «صلّ الصلاه لوقتها المؤقت لها، و لا تعجّل وقتها لفراغ، و لا تؤخّرها عن وقتها لاشتغال، و اعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك»(۱).

حقا كان الإمام ممّن قال عنهم ربنا رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَهٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصَّلاهِ وَ إِيتاءِ الزَّكاهِ (۲).

فلقد «كان أمير المؤمنين أعبد الناس و أكثرهم صلاه و صوما، و منه تعلّم الناس صلاه الليل و ملازمه الأوراد و قيام النافله، و ما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على عبادته أن يبسط له قطع ما بين الصفّين ليله الهرير فيصلّى عليه، و يؤدّى ورده

۱- نهج البلاغه، باب الكتب.

۲- سوره النور، الآيه: ۳۷.

بينما السهام تقع بين يديه تمرّ على صماخيه يمينا و شمالا فلا يرتاع لذلك، و لا يقوم حتّى يفرغ من وظيفته.

«و ما ظنّك برجل كانت جبهته كثفنه البعير لطول سجوده، و أنت إذا تأمّلت دعواته و مناجاته، و وقفت على ما فيها من تعظيم اللّه سبحانه و إجلاله، و ما يتضمّنه من الخضوع لهيبته و الخشوع لعزّته و الاستحذاء له، عرفت ما ينطوى عليه من الإخلاص، و فهمت من أىّ قلب خرجت و على أىّ لسان جرت»(۱).

و حينما قال له أحدهم ليله الهرير: «يا أمير المؤمنين..

أ لا تؤجلها، أى الصلاه؟».

قال: «ويلك!. و على م نقاتلهم؟».

إن التقوى عند الإمام هى المحور، لا السياسه.. و الصلاه عنده الأهم لا الزعامه.. و الخشوع عنده الأساس لا الانتصار.. و هو إذ يقاتل مناوئيه فلكى يؤمنوا باللّه، و يعبدوه، لا لكى يتأمّر عليهم.. كما كان مناوئوه يفعلون!

كان الإمام يرى «الصلاه قربان كل تقى»(۲) و «معراج كل مؤمن» و لذلك فإنه كان يكثر منها.. و هو العارف بحقيقه الصلاه..

ص:۱۹

۱- ابن أبى الحديد - شرح النهج: ج ۱، ص ۲۶۵.

۲- الخصال - للصدوق: ج ۲، ص ۱۶۲.

كان يعلم أن العباده ليست مظهرا، إنما قيمتها بمقدار ما تضىء فى القلب من نور التقوى و كان يقول: «ليست الصلاه قيامك و قعودك و إنما الصلاه إخلاصك»(۱).

و لإخلاصه و إيمانه و تقواه، كان إذا حضر وقت الصلاه، يتلون وجهه عليه السّلام و يتزلزل فيقال له: ما لك؟

فيقول: «جاء وقت أمانه عرضها اللّه تعالى على السماوات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها، و حملها الإنسان فى ضعفه، فلا أدرى أحسن إذا ما حملت أم لا؟(۲).

يقول حفيده الإمام على بن الحسين عليه السّلام: «صلّى أمير المؤمنين عليه السّلام الفجر، ثم لم يزل فى موضعه حتى صارت الشمس على قدر رمح، و أقبل على الناس بوجهه فقال: «و اللّه لقد أدركت أقواما يبيتون لربّهم سجدا و قياما يخالفون بين جباههم و ركبهم، كأنّ زفير النار فى آذانهم، إذا ذكر اللّه عندهم مادوا كما يميد الشجر»!.

ثم قام، فما رئى ضاحكا حتى قبض(۳).

و كما كان يقيم الصلاه، فإنه كان يطلب من المؤمنين أن يتعاهدوا أمرها. و كان يقول عليه السّلام: «تعاهدوا أمر الصلاه،

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۵۱.
۲- بحار الانوار: ج ۴۱، ص ۱۷.
۳- الكافى: ج ۳، ص ۲۳۶.

و حافظوا عليها و استكثروا منها، و تقرّبوا بها فإنها كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً (۱) أ لا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (۴۲) قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (۲) و إنها لتحتّ الذنوب حتّ الورق و تطلقها إطلاق الربق، و شبهها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالحمّه تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها فى اليوم و الليله خمس مرات، فما عسى أن يبقى عليه من الدّرن؟ و قد عرف حقّها رجال من المؤمنين الّذين لا تشغلهم عنها زينه متاع، و لا قرّه عين من ولد و لا مال. يقول اللّه سبحانه: رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَهٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصَّلاهِ وَ إِيتاءِ الزَّكاهِ (۳). و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نصبا بالصلاه بعد التبشير له بالجنّه لقول اللّه سبحانه: وَ أْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاهِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْها (۴). فكان يأمر بها أهله، و يصبر عليها نفسه(۵).

فلا الإماره، و لا الزعامه، و لا الحروب، و لا الأموال، و لا النساء و لا الأولاد شغلت عليا عليه السّلام عن الصلاه، و العباده، و البكاء من خشيه جبّار السموات و الأرضين.

۱- سوره النساء، الآيه: ۱۰۳.

۲- سوره المدثر، الآيتان: ۴۲، ۴۳.

۳- سوره النور، الآيه: ۳۷.

۴- سوره طه، الآيه: ۱۳۲.

۵- نهج البلاغه: الخطب ۱۹۹.

و قد روی فی ذلک أن ضرار بن ضمره دخل علی معاویه، فقال له معاویه: صف لی علیّا؟

فقال: أو تعفینی من ذلک؟

فقال: لا أعفیک!

فقـال: «کان و اللّه بعیـد المـدی، شدیـد القوی، یقول فصـلا و یحکم عـدلا، یتفجّر العلم من جوانبه، و تنطق الحکمه من نواحیه، یسـتوحش من الدّنیا و زهرتها، و یسـتأنس باللّیل و وحشته.. کان و اللّه غزیر العبره، طویل الفکره، یقلّب کفّیه، و یخاطبه نفسه، و یناجی ربّه، یعجبه من اللّباس ما خشن، و من الطعام ما جشب.. کان و اللّه فینا کأحـدنا یـدنینا إذا أتیناه، و یجیبنا إذا سألناه و کان مع دنوّه منّا و قربنـا منه لاـ نکلّمه لهیبته، و لاـ نرفع عیننـا لعظمته، فـإن تبسّم فعن مثـل اللّؤلؤ المنظوم، یعظّم أهل الـدین، و یحب المساکین، لا یطمع القویّ فی باطله، و لا ییأس الفقیر من عدله».

فقال معاویه: زدنی فی صفته.

فقـال ضـرار: «رحم اللّه علیا علیه السّـلام کان و اللّه طویل السـهاد، قلیل الرقاد، یتلو کتاب اللّه أناء اللیل و أطراف النهار، و یجود اللّه بمهجته، و یبوء إلیه بعبرته لا تغلق له الستور، و لا یدّخر عنّا البدور، و لا یستلین الاتکاء، و لا یستخشن الجفاء، فأشهد

باللّه لقـد رأيته فى بعض مواقفه و قـد أرخى اللّيل سـدوله، و غارت نجومه و هو قائم فى محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم و يبكى بكاء الحزين، فكأنّى الآن أسمعه و هو يقول:

«يا دنيا أبى تعرّضت؟ أم إلىّ تشوّقت؟ هيهات هيهات غرّى غيرى لا حاجه لى فيك، قـد طلّقتك ثلاثا لا رجعه لى فيها، فعمرك قصير و خطرك يسير و أملك حقير، آه، آه، من قلّه الزّاد و بعد السّفر، و وحشه الطّريق و عظيم المورد».

فسالت دموع معاويه على لحيته فنشفها بكمّه، ثم قال:

«كان و اللّه أبو الحسن كذلك، فكيف صبرك عنه يا ضرار؟»

قال ضرار: «صبر من ذبح واحدها على صدرها، فهى لا ترقى عبرتها و لا تسكن حسرتها، ثمّ قام و خرج و هو باك»(۱).

***

ثم إن العباده لم تكن عند الإمام مجرد خشيه من النار، أو رغبه فى الجنه، بل كانت عباده من يعرف حق مولاه، و عظمه سيّده، و يريد أن يؤدّى ذلك الحق.. و هو القائل:

«إنّ قوما عبدوا اللّه رغبه فتلك عباده التجّار، و إنّ قوما

۱- إرشاد القلوب: ص ۱۳-۱۴.

عبدوا اللّه رهبه فتلک عباده العبید، و إنّ قوما عبدوا اللّه شکرا فتلک عباده الأحرار»(۱).

و القائل: «إلهی.. ما عبدتک إذ عبدتک خوفا من نارک، و لا طمعا فی جنّتک، بل وجدتک أهلا للعباده فعبدتک».

و لقد کان الإمام یتمتع بذلک الإخلاص الذی لا یوصف، لأنه کان موقرا فی قلبه، ساریا فی خلجات روحه، شاغلا لبّه..

و کیف یمکن أن نزن مدی إخلاص الإمام لربّه؟ و کیف یمکننا الإحاطه ببحر حبّه؟

لقد قال مره: «عباد اللّه.. إنّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربّه، و إنّ أغشّهم لنفسه أعصاهم لربّه، و المغبون من غبن نفسه و المغبوط من سلم له دینه. و اعلموا أنّ یسیر الریاء شرک(۲).

فلم یکن الإمام یعمل للناس، و لا یعبد اللّه لریاء!..

و کان کما قال عن «المؤمن لا یمسی و لا یصبح إلاّ و نفسه ظنون عنده»(۳).

و لذلک کان یعمل للّه، و یعطی للّه، و هو مع ذلک لا یری ما فعله کافیا.. فقد روی أنّه:

۱- محاضرات الأدباء: ج ۱، ص ۱۴.

۲- المحاسن - للبرقی: ص ۲۳۳.

۳- نهج البلاغه: الخطب ۱۷۶.

«قیل لعلیّ علیه السّلام: کم تتصدّق؟ کم تخرج من مالک؟ ألّا تمسک؟

فقال: «إنّی و اللّه لو أعلم أن اللّه تعالی قبل منّی فرضا واحدا لأمسکت، و لکنّی و اللّه لا أدری أقبل سبحانه منّی شیئا، أم لا»(۱).

و مع کل ما أثر عنه من العباده، و الجهاد، و الطاعه، و العمل الصالح، و الزهد و التقوی، فهو لم یزل یتّهم نفسه، و یخشی أن لا تقبل عبادته..

و هذا لعمری هو الإخلاص بعینه، و الخضوع للحق بعینه، و الصدق مع اللّه بعینه..

***

و الحق أن من یعرف اللّه حقّ قدره، لا یتوانی عن عبادته، و أن من یخشی اللّه فی سرّه تتجافی جنوبه عن المضاجع لمناجاته.. و هکذا کان أمیر المؤمنین علیه السّلام. فقد روی عن حبّه العرنی قال: «رأیت علیا علیه السّلام لیله فی «رحبه القصر» واضعا یده علی الحائط شبیه الواله، و هو یقول: إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْکِ الَّتِی تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِما یَنْفَعُ النّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْیا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِیها مِنْ کُلِّ دابَّهٍ وَ تَصْرِیفِ الرِّیاحِ وَ السَّحابِ

۱- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۱۳۸.

اَلْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (۱).. و أخذ يقرأ هذه الآيه و يكررها، و يمرّ شبه الطائر عقله!.

فقال لی: «یا حبّه: أ راقد أنت أم رامق؟

قلت: بل رامق.. یا أمیر المؤمنین، أنت هکذا فکیف نحن؟

فأرخی عینیه و بکی، ثم قال: «یا حبّه.. إن اللّه أقرب إلیّ و إلیک من حبل الورید، یا حبّه إنه لن یحجبنی و لا إیاک عن اللّه شیء»..

ثم قال: «إن طال بکاؤک فی هذا اللیل مخافه من اللّه تعالی، قرّت عیناک غدا بین یدی اللّه عزّ و جلّ. إنّه لیس قطره قطرت من عین رجل من خشیه اللّه إلاّ أطفأت بحارا من النیران، و إنه لیس من رجل أعظم منزله عند اللّه من رجل بکی من خشیه اللّه، و أحبّ فی اللّه، و أبغض فی اللّه، إنه من أحبّ فی اللّه لم یستأثر علی محبّته، و من أبغض فی اللّه لم ینل ببغضه إلاّ خیرا».

ثم جعل یمرّ و هو یقول: «لیت شعری فی غفلاتی أ معرض أنت عنّی أم ناظر إلیّ؟ و لیت شعری فی طول منامی و قلّه شکری فی نعمک علیّ، ما حالی؟»(۲).

***

۱- سوره البقره، الآیه: ۱۶۴.

۲- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۲۳-۲۲.

و لقد كانت عباده الإمام متميزه عند صحابه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فبمقدار ما كان يقينه باللّه عظيما كان اجتهاده فى عبادته شديدا. و كان يعبد اللّه كأنه يراه، و يخشاه و كأنه فى حفرته، و يتهيّبه و كأنّه معه.. لقد كان كما قال لأصحابه: «لا يرجونّ أحد منكم إلاّ ربّه، و لا يخافنّ إلاّ ذنبه»(۱) أو كما قال:

«من أصلح سريرته أصلح اللّه علانيته»(۲). فقد انشغل بإصلاح سريرته، و رجا ربه، و خاف ذنبه فكان أكثر الناس عباده و خشوعا للّه تعالى..

و قد روى فى ذلك عروه بن الزبير قال: «كنّا جلوسا فى مجلس فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فتذاكرنا أعمال أهل بدر و بيعه الرضوان.

فقال أبو الدّرداء: «يا قوم أ لا أخبركم بأقلّ القوم مالا و أكثرهم ورعا و أشدّهم اجتهادا فى العباده؟

قالوا: من؟

قال: أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام.

قال عروه: «فو اللّه إن كان فى جماعه أهل المجلس إلاّ معرض عنه بوجهه، ثمّ انتدب له رجل من الأنصار فقال له: يا عويمر لقد تكلّمت بكلمه ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها.

۱- حليه الأولياء: ج ۱، ص ۷۵.
۲- نهج البلاغه: الحكم، ۴۲۳.

فقال أبو الدّرداء: «يا قوم إنّى قائل ما رأيت، و ليقل كلّ قوم منكم ما رأوا، شهدت علىّ بن أبى طالب عليه السّلام بشويحطات النجّار، و قد اعتزل عن مواليه و اختفى ممّن يليه، و استتر بمغيلات النخل، فافتقدته و بعد علىّ مكانه، فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين و نغمه شجىّ و هو يقول: «إلهى، كم من موبقه حلمت عن مقابلتها بنقمتك؟، و كم من جريره تكرّمت عن كشفها بكرمك؟ إلهى إن طال فى عصيانك عمرى و عظم فى الصحف ذنبى فما أنا مؤمّل غير غفرانك، و لا أنا براج غير رضوانك».

فشغلنى الصّوت و اقتفيت الأثر، فإذا هو علىّ عليه السّلام بعينه، فاستترت له و أخملت الحركه، فركع ركعات فى جوف اللّيل الغابر، ثمّ فرغ إلى الدّعاء و البكاء و البثّ و الشكوى، فكان ممّا به اللّه ناجاه أن قال: «إلهى، أفكّر فى عفوك فتهون علىّ خطيئتى، ثمّ أذكر العظيم من أخذك فتعظم علىّ بليّتى».

ثم قال: «آه إن أنا قرأت فى الصّحف سيّئه أنا ناسيها و أنت محصيها!، فتقول: خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (١) فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، و لا تنفعه قبيلته، يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنّداء.

١- سوره الحاقه، الآيه: ٧.

ثمّ قال: «آه.. من نار تنضج الأكباد و الكلى، آه.. من نار نزّاعه للشّوى، آه من غمره من ملهبات لظى».

ثمّ أنعم فى البكاء فلم أسمع له حسّا و لا حركه، فقلت:

غلب عليه النوم لطول السّهر، أوقظه لصلاه الفجر، فأتيته فإذا هو كالخشبه الملقاه، فحرّكته فلم يتحرّك، و زويته فلم ينزو، فقلت: إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ (۱) مات و اللّه علىّ بن أبى طالب:

فأتيت منزله مبادرا أنعاه إليهم، فقالت زوجته: يا أبا الدّرداء ما كان من شأنه و من قصّته؟ فأخبرتها الخبر.

فقالت: هى و اللّه يا أبا الدّرداء الغشيه الّتى تأخذه من خشيه اللّه.

ثمّ أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق، و نظر إلىّ و أنا أبكى، فقال: ممّا بكاؤك يا أبا الدّرداء؟

فقلت: ممّا أراه تنزله بنفسك.

فقال: «يا أبا الدّرداء فكيف و لو رأيتنى، و دعى بى إلى الحساب، و أيقن أهل الجرائم بالعذاب، و احتوشتنى ملائكه غلاظ و زبانيه فظاظ، فوقفت بين يدى الملك الجبّار، قد

۱- سوره البقره، الآيه: ۱۵۶.

أسلمنى الأحبّار، و رحمنى أهل الدنيا، لكنت أشدّ رحمه لى بين يدى من لا تخفى عليه خافيه».

فقال أبو الدّرداء: فو اللّه ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم(۱).

و لقد كانت تقوى الإمام عليه السّلام منذ صغره تقوى العارف باللّه، و الخاشع لجبروته، فقد روى أنه حينما وقف يصلى مع رسول اللّه علنا، و هو ابن عشر سنوات، قال له بعض المشركين: هل استشرت أباك حينما عبدت اللّه؟

فأجاب عليه السّلام: «و هل استشار اللّه أبى حينما خلقنى»؟.

و حينما كان لا يزال شابا، و من أصغر صحابه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جلس مع رسول اللّه و بعض الصحابه فى المسجد، و كان أحدهم يقرأ القرآن حتى بلغ الآيه: وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً (۲) قال الرسول و هو يحاور صحابته: «قولوا الآن قولكم: ما أول نعمه رغبكم اللّه تعالى فيها و بلاكم بها»؟ فذكروا نعمه اللّه أنعم عليهم بها من العافيه، و المال و الذريه و الأزواج، فقبل منهم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

۱- أمالى الصدوق: ص ۴۸-۴۹.

۲- سوره لقمان، الآيه: ۲۰.

ما قالوه، و لم يستزد واحدا منهم إلاّ عليا عليه السّلام. فقد التفت النّبی إلی علی بن أبی طالب، و كان أصغرهم سنا و قال:

«يا أبا الحسن قل، فقد قال أصحابک».

فقال: «و كيف لی بالقول فداک أبی و أمی و إنما هدانا اللّه بک»؟!.

قال: «و مع ذلک فهات، قل ما أول نعمه بلاک اللّه عزّ و جلّ و أنعم عليک بها؟

قال: «أن خلقنی جلّ ثناؤه و لم أک شيئا مذكورا». و لم يكتف الرسول بهذا الجواب بل قال: «صدقت فما الثانيه»؟

قال: «أن أحبّنی إذ خلقنی فجعلنی حيا لا ميتا».

قال: «صدقت فما الثالثه»؟

قال: «أن أنشأنی - فله الحمد - فی أحسن صوره و أعدل تركيب».

قال: «صدقت فما الرابعه»؟

قال: «أن جعلنی متفكرا راغبا، لا ساهيا».

قال: «صدقت فما الخامسه»؟

قال: «أن جعل لی مشاعر أدرک بها ما ابتغيت و جعل لی سراجا منيرا (أی عقلا يكشف الحق و الباطل و الحسن و القبح)».

قال: «صدقت فما السادسه»؟

قال: «أن هدانی لدینه و لم یضلّنی عن سبیله».

قال: «صدقت فما السابعه»؟

قال: «أن جعل لی مردّا فی حیاه لا انقطاع لها».

قال: «صدقت فما الثامنه»؟

قال: «أن جعلنی ملکا مالکا لا مملوکا».

قال: «صدقت فما التاسعه»؟

قال: «أن سخّر لی سماءه و أرضه و ما فیهما و ما بینهما من خلقه».

و قال: «صدقت فما العاشره»؟

فأطرق علیّ قلیلا ثم قال فی دعابه: «أن خلقنی ذکرا و لم یخلقنی أنثی». فضحکوا حتی بدت نواجذهم.

قال الرسول: «و ما بعد هذا»؟

قال: «کثرت نعم اللّه یا نبی اللّه فطابت، وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّهِ لا تُحْصُوها (۱).

فتبسّم رسول اللّه فی رضا عنه و قال: «لیهنئک الحکمه، لیهنئک العلم یا أبا الحسن. أنت وارث علمی و المبین لأمّتی ما اختلفت فیه بعدی. من أحبّک لدینک و أخذ بسبیلک فهو

۱- سوره إبراهیم، الآیه: ۳۴.

ممّن هدى إلى صراط مستقيم. و من رغب عن هداك و أبغضك لقى اللّه يوم القيامه لا خلاق له»(۱).

***

و فى الحقيقه فإن التقوى عن الإمام، كانت محور حياته، و منها تشعّبت صفاته العظيمه، و أخلاقه الكريمه، و لو أردنا أن نشبّه تقواه بشيء فلا بد أن نقول إن حياه الإمام كانت مثل شجره باسقه، جذورها التقوى، و جذعها الإخلاص، و أغصانها الأعمال الصالحه، و ثمارها الأخلاق الفاضله..

و كما قال «التقى رئيس الأخلاق»(۲) فإن تقواه كانت منبع أخلاقه، و ما من موقف وقفه فى عمره الكريم كله إلّا و كان للتقوى فيه أثر واضح.. و كان فى ذلك ينافس أنبياء اللّه العظام، فى الوقت الذى كان الآخرون يتنافسون فيما بينهم على الدنيا و زينتها و زبرجها..

و لذلك «كان إذا بدهه أمران ينظر أيّهما أقرب إلى الهوى فيخالفه(۳) و لقد «أحيا عقله، و أمات نفسه حتى دقّ جليله، و لطف غليظه»(۴).

ص:۳۳

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۵۲-۵۳.

۲- مجمع الأمثال: ج ۲، ص ۴۵۴.

۳- الأدب الكبير - لابن المقفع: ص ۱۴۵.

۴- غرر الحكم: ۲۳۳.

كان يرى التقوى هى المنار، و هى المنجاه، و هى الوسيله، و هى الهدف.. فكان يقول: «أوصيكم عباد اللّه، بتقوى اللّه، التى هى الزاد، و بها المعاذ: زاد مبلغ و معاذ منجح. دعا إليها أسمع داع، و وعاها خير واع، فأسمع داعيها، و فاز واعيها»(۱).

فالتقوى الحرز هنا، و الحرز يوم القيامه. كان عليه السّلام يقول: «عباد اللّه! أوصيكم بتقوى اللّه، فإنها حق اللّه عليكم، و الموجبه على اللّه حقّكم، و أن تستعينوا بها على اللّه. فإن التقوى فى اليوم الحرز و الجنّه، و فى غد الطريق إلى الجنه»(۲).

و هكذا فإن «التقوى» هى وصيته الرئيسيه و الأساسيه التى يبدأ بها أكثر خطبه، و رسائله، و نصائحه..

و لربما كان ينصح أحد ولده بوصايا كثيره، ثم يقول له:

«و اعلم يا بنى، إن أحبّ ما أنت آخذ به، من وصيتى: تقوى اللّه.. و ابدأ قبل نظرك فى ذلك بالاستعانه بإلهك، و الرغبه إليه فى توفيقك»(۳).

و كان يرى التقوى عملا يوميا، يجب أن يلتزم به المؤمن فى سرّه و علانيته، و فى إيمانه و عمله، و فى كل صغيره و كبيره

۱- نهج البلاغه: الخطب ۱۴۴.

۲- نهج البلاغه: الخطب ۱۹۱.

۳- نهج البلاغه: الكتب ۳۱.

من أعماله. و كان يقول لبعض أصحابه: «اتّق اللّه فيما لديك»(۱) و يقول: «اتّق اللّه فى كل صباح و مساء»(۲).

و يطالب المؤمن، و لو ببعض التقوى، و يقول: «اتّق اللّه ببعض التقى، و إن قلّ، و اجعل بينك و بين اللّه سترا و إنّ رقّ»(۳).

فالتقوى شيء عظيم، و أمر جليل، حتى أنه «لا يقلّ عمل مع التقوى، و كيف يقل ما يتقبّل»(۴) ؟.

فلا بدّ من الحفاظ على هذه الجوهره الثمينه، و التى بها تحرز الجنّه، و عليها الحساب يوم نلقى اللّه.. لأنها جوهر العبادات، و لباب الطاعات، و رادعه الموبقات، و ماحيه السيئات..

يقول الإمام عليه السّلام: «أيقظوا بها (التقوى) نومكم، و اقطعوا بها يومكم، و أشعروها قلوبكم، و أرحضوا بها ذنوبكم، و داووا بها الأسقام، و بادروا بها الحمام»(۵).

و قد يسأل البعض ما هى التقوى؟

۱- الطراز - لليمانى: ج ۲، ص ۱۲۳.
۲- كتاب صفّين: ص ۱۲۱.
۳- غرر الحكم و درر الكلم ۶۳.
۴- حليه الأولياء: ج ۱، ص ۷۵.
۵- نهج البلاغه: الخطب ۱۹۱.

و الجواب: أن نرى اللّه تعالى حاضرا فى كل مكان، و شاهدا فى كل موقع، فلا نعمل ما لا يرضاه، و لا نرتكب ما نهى عنه، و لا نترك ما أوجبه.. و نصلح سرائرنا كما نحاول أن نصلح علانيّتنا..

يقول الإمام عليه السّلام: «اتّقوا معاصى اللّه فى الخلوات، فإن الشاهد هو الحاكم»(۱).

و يقول: «طوبى لمن ذلّ (للّه) فى نفسه، و طاب كسبه، و صلحت سريرته»(۲).

و يقول: «و لا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم»(۳)

إذن، فإن «من لم يختلف سرّه و علانيته، و فعله و مقالته فقد أدّى الأمانه، و أخلص العباده»(۴).

فإصلاح السريره، و إخلاص النيّه، و تطهير الدوافع، و تزكيه النفس، هى الخطوه الأولى فى التقوى، و المدخل إلى إصلاح العمل، لأن «من أصلح ما بينه و بين اللّه، أصلح اللّه ما بينه، و بين الناس»(۵) ، «و من أصلح أمر آخرته، أصلح اللّه له

۱- نهج البلاغه: الحكم ۳۲۴.

۲- روضه الواعظين: ۴۹۰.

۳- عيون أخبار الرضا: ج ۱، ص ۲۹۸.

۴- دعائم الإسلام: ج ۱، ص ۲۵۲.

۵- المحاسن - للبرقى: ج ۱، ص ۲۹.

أمر دنياه(۱) لأن وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (۲) من الفتن، و نورا من الظّلم»(۳).

و لكن مجرد إصلاح السريره لاـ يكفى، بل لاـ بدّ من العمل بمقتضى التقوى، فالطاعه فى الواجبات و المحرّمات، جزء من التقوى.. و الصبر فى الحق جزء آخر.

يقول الإمام عليه السّلام: «استتموا نعمه اللّه عليكم بالصبر على طاعه اللّه، و المحافظه على ما استحفظكم من كتابه»(۴).

و يقول: «عوّد نفسك التصبّر على المكروه، و نعم الخلق و التصبّر فى الحق»(۵).

و كذلك الجهاد فى سبيل اللّه، فإن «الجهاد باب من أبواب الجنه فتحه اللّه لخاصّه أوليائه، و هو لباس التقوى»(۶) «و جاهد فى اللّه حق جهاده، و خض الغمرات للحق»(۷).

و كما الجهاد، كذلك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و مواجهه الظالمين، من أعداء الداخل و الخارج،

۱- تذكره الخواص: ص ۱۳۳.

۲- سوره الطلاق، الآيه: ۲.

۳- تفسير البرهان: ج ۱، ص ۹.

۴- تحف العقول: ص ۱۳۰.

۵- نهج البلاغه: الكتب ۳۱.

۶- مقاتل الطالبيين: ص ۲۷.

۷- العقد الفريد: ج ۳، ص ۱۵۶.

يقول الإمام عليه السّلام: «ما أعمال البرّ كلها و الجهاد فى سبيل اللّه، عند الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر، إلّا كنفثه فى بحر لجّى»(۱) «و أفضل من ذلک کلّه کلمه عدل عند إمام جائر»(۲).

و على أيه حال «فإنّ التقوى دار حصن عزيز، و الفجور دار حصن ذليل، لا يمنع أهله، و لا يحرز من لجأ إليه، و بالتقوى تقطع حمّه الخطايا، و باليقين تدرک الغايه القصوى»(۳).

إن من يفكر بشكل صحيح، لا يملک إلّا أن يتّقى اللّه، و يعمل من أجله، لأن اللّه قهر عباده بالموت و الفناء، و الناس مجموعون لربّهم، و هم مجزّيون بأعمالهم إن خيرا فخير و إن شرا فشرّ.. و ليس غير التقوى ما ينفع هناک.. لقد روى أن الإمام عليه السّلام فى رجوعه من صفّين، مرّ بالقبور بظاهر الكوفه فوقف يخاطبها، بقوله:

«يا أهل الديار الموحشه، و المحال المفقره، و القبور المظلمه»..

«يا أهل التربه، يا أهل الغربه، يا أهل الوحده، يا أهل الوحشه»..

«أنتم لنا فرط سابق، و نحن لكم تبع لا حق.. أمّا الدور

۱- البدايه و النهايه: ج ۱۲، ص ۱۵۰.
۲- غرر الحكم و درر الكلم: ۴۹.
۳- النهايه: ج ۲، ص ۵۱۰.

فقد سكنت، و أمّا الأزواج فقد نكحت، و أما الأموال فقد قسمت، هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم»؟

ثم إن الإمام التفت إلى أصحابه و قال: «أما لو أذن لهم فى الكلام لأخبروكم، إنّ خير الزاد التقوى»(۱).

و لقد حمل الإمام هذا الزاد معه، فكانت التقوى نورا فى قلبه، و عملا صالحا فى جوارحه، و أخلاقا كريمه فى مواقفه، و علما و حكمه فى بيانه، و جهادا فى يده، و زهدا فى دنياه، و صبرا على البلاء، و شكرا فى الرخاء.

و لذلك فحينما دنا أجله، و كانت لحظاته الأخيره من الدنيا، رأوه ينظر إلى زاويه من الغرفه، و يقول: «و عليكم السّلام يا ملائكه ربى..» ثم يتوجّه لمن حوله و يقول: «لمثل هذا فليعمل العاملون» و يغمض جفنيه، و يسلّم نفسه لبارئها، بعد أن صبر أياما قليله، ليعقبها راحه طويله فى ملك دائم، و نعيم قائم..

۱- من لا يحضره الفقيه: ج ۱، ص ۱۱۴.

الالتزام بالأخلاق الفاضله

إن حدود الشخصيه العظيمه ترسمها الأخلاق. فسموّ الذات إنما هو بسموّ المعنى، و علوّ المكانه هى فى تلك الأصول الأخلاقيه التى يلتزم بها الرجال، و هى المقياس فى تقييم أعمالهم و أفعالهم.

و من دون الأخلاق، فإن أكبر الانتصارات فى التّاريخ يمكن أن تتحوّل إلى هزائم إذا كان أصحابها يتوسلون للنيل بها إلى الغدر و الخيانه و المكر و الخداع. لأنه «ما ظفر من ظفر الإثم به، و الغالب بالشر مغلوب»(۱).

فقيمه الإنسان بإنسانيته..

و قيمه العمل بمحتواه.

و قيمه الدين بالترفّع عن الدنايا.

و ميزان البطوله هو الأخلاق.

۱- سراج الملوك، ص ۳۸۴.

ف «الخلق وعاء الدين»(۱) و هو «عنوان صحيفه المؤمن»(۲).

و «ما يوضع فى ميزان امرىء يوم القيامه أفضل من حسن الخلق»(۳).

و «حسن الخلق رأس كل برّ»(۴) و هو «من أفضل القسم و أحسن الشيم»(۵).

من هنا فإنه «لا قرين كحسن الخلق»(۶) و «لا عيش أهنأ من حسن الخلق»(۷).

لأن «من حسنت خليقته طابت عشيرته»(۸) و على كل حال فإن «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»(۹) «فالأخلاق من ثمار العقل»(۱۰).

صحيح أن فى داخل كل إنسان كوامن خيّره، تدعوه إلى

۱- كنز العمال: خ ۵۱۳۷.

۲- بحار الأنوار: ج ۷۱، ص ۳۹۲.

۳- الكافى: ج ۲، ص ۹۹.

۴- غرر الحكم و درر الكلم.

۵- المصدر السابق.

۶- بحار الأنوار: ج ۶۹، ص ۳۰۶.

۷- بحار الأنوار: ج ۷۱، ص ۳۸۹.

۸- غرر الحكم و درر الكلم.

۹- الكافى: ج ۲، ص ۹۹.

۱۰- غرر الحكم و درر الكلم.

الالتزام بالأخلاق، و العمل الصالح، و كوامن شرّيره تدعوه إلى الفساد و الشرّ و مناوئه الصالحين، غير أن العقل و العلم و الدين إذا كانت فی امریء فإنها تثیر کوامنه الخیّره، و تقمع کوامنه الشریره، فیکون ملتزما بالأخلاق.

یقول الإمام علی علیه السّلام: «رأس العلم: التمییز بین الأخلاق، و إظهار محمودها و قمع مذمومها»(۱) و یقول: «ابذل فی المکارم جهدک تخلص من المآثم و تحرز المکارم»(۲)

و یقول: «علیکم بمکارم الأخلاق فإنها رفعه، و إیاکم و الأخلاق الدنیئه فإنها تضع الشریف و تهدم المجد»(۳).

و بمقدار ما تکون الأخلاق الحسنه مطلوبه، فإن «سوء الخلق» مذموم حیث إن «الخلق السّیئ یفسد العمل کما یفسد الخلّ العسل»(۴). ف «سوء الخلق شر قرین»(۵) و هو «نکد العیش و عذاب النفس»(۶) کما أنّه «ذنب لا یغفر»(۷) لأن

ص:۴۲

۱- غرر الحکم و درر الکلم.

۲- میزان الحکمه: ج ۳، ص ۱۴۷.

۳- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۵۳.

۴- بحار الأنوار: ج ۷۳، ص ۲۹۷.

۵- غرر الحکم و درر الکلم.

۶- المصدر السابق.

۷- بحار الأنوار: ج ۷۳، ص ۲۹۷.

«صاحب الخلق السّيئ إذا تاب من ذنب، وقع فى أعظم من الذنب الذى تاب منه»(۱).

و لهذا فقد سئل الإمام على عليه السّلام عن أدوم الناس غما، فقال عليه السّلام: «أسوأهم خلقا»(۲) لأن «من ساء خلقه عذّب نفسه»(۳) و «من ضاقت ساحته، قلّت راحته»(۴) و «ملّه أهله»(۵) و هو حتما «كثير الطيش منغّص العيش»(۶).

***

و قد يتساءل البعض ما هى الأخلاق الحسنه، و ما هى الأخلاق السيئه؟

و الجواب أن الأخلاق الحسنه و التى قد يعبّر عنها بمكارم الأخلاق هى فى بعض مفرداتها: «صدق البأس، و صدق اللسان، و أداء الأمانه و صله الرّحم. و إقراء الضّيف، و إطعام السائل، و المكافأه على الصنائع. و التذمم للجار، و التذمم للصاحب. و رأسهن الحياء»(۷) و «الصبر. و الشكر. و الحلم.

۱- مستدرك الوسائل: ج ۲، ص ۳۳۸.

۲- المصدر السابق.

۳- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۲۴۶.

۴- غرر الحكم و درر الكلم.

۵- المصدر السابق.

۶- المصدر السابق.

۷- كنز العمال: ج ۳، ص ۴.

و السخاء، و الغيره. و الشجاعه. و المروءه»(۱) و «الصفح عن الناس. و مواساه الرجل أخاه فى ماله»(۲) و «العدل.

و الورع»(۳) و «تجنّب الحرام»(۴) و «الإيثار»(۵) و «قضاء اللوازم»(۶) و «العفو عمّن ظلمك، و صله من قطعك، و إعطاء من حرمك، و قول الحق و لو على نفسك»(۷).

و إذا كانت تلك هى الأخلاق الحسنه، فإن أضدادها تكون هى الأخلاق السيئه..

و ما يميّز الصادقين عن غيرهم هو مقدار ترفّعهم عن شرار صفات الرجال، و تمسّكهم بخيار صفاتهم. أمّا الكاذبون فهم من يتوسّل لنيل مقاصده بكل ما يستطيع، من غير أن يلزم نفسه بحدود، أو يلزمها بأخلاق.. معتبرا النجاح، لا الالتزام، ميزان العمل..

و لقد كان الإمام على عليه السّلام إلى جانب إيمانه و حكمته، و علمه، و بلاغته فى القمّه من الناحيه الخلقيه، و ذلك من

۱- بحار الأنوار: ج ۶۹، ص ۳۶۸.

۲- بحار الأنوار: ج ۶۹، ص ۳۷۳.

۳- كنز العمال: خ ۴۳۵۴۲.

۴- غرر الحكم و درر الكلم.

۵- المصدر السابق.

۶- المصدر السابق.

۷- بحار الأنوار: ج ۶۹، ص ۳۶۸.

أسباب تميّزه على مناوئيه على مرّ التاريخ.. فقد كان صوره حيّه للمروءه، و الصدق، و الوفاء، و كرم النفس، و الصراحه، و الشجاعه و العطف، و النبل، و الصّبر، و نكران الذات..

و على العكس كان مناوئوه الّذين كانوا نموذجا للإثره، و الأنانيه و الملق، و الدجل، و المكر، و الانحدار فى الأخلاق..

و بالرغم من أن العصر الذى عاش فيه، كان عصر حب الدنيا و الإقبال عليها، و عصر الذهب و الفضه، و المداوره، و المؤامره و الزيف و الحيف، فإن الإمام رفض أن ينتصر على حساب أخلاقه، و كان يقول لمن كان يوصّيه بخلاف ذلك:

«أ تأمرونى أن أطلب النصر بالجور، و اللّه لا أطور به ما سمر سمير و ما أمّ نجم فى السماء نجما»(۱).

فالإمام على عليه السّلام - كما يقول أحدهم - «لا يرضى الدنيه فى دينه أو دنياه، يعرف طريق الغدر و لا يسلكه، الخدعه عنده لا تجوز إلّا فى الحرب و لا يمارسها، أما فى زمن السلم فهى لون من الخيانه و الكذب، و مسلك زرى لا يجمل بالإنسان التقى..

هو قدوه: له قيمه العليا و مثله الساميه التى يتمسّك بها و لا

۱- نهج البلاغه: الخطب ۱۲۶.

يتنازل عنها لأنه تربّى عليها، و لأنها وحدها هى الجديره - فى رأيه - بإصلاح الناس..

يعرف ما يرضى الناس - كما قال لهم - و لكنه لا يأتيه، لأنه يرى فيه ظلما لآخرين، و إغضابا للّه!.

الإمام علىّ رجل دوله بصير بسياسه أمور الرعيه، و لكنه يريد أن يقيم سياسته على دعائم من مكارم الأخلاق، و لا يضيره ما يعانى و هو يشقّ الطريق الوعر إلى الحقيقه، ليقيم العدل، و يحقق للناس المساواه، و يدفع الظلم، و لو أنه عدل عن نهجه السوى لحظه، لتهدّمت قيم نبيله، و انهارت مثل عليا».

«الإمام علىّ يرى أن صلاح الغايه لا يتم إلاّ بصلاح الوسيله، و غايته مصلحه الأمه، و صلاحها.

و لأن يخسر أمنه، و راحته، خير من أن يهدر قيمه.. و لأن يهدى به اللّه رجلا واحدا، خير له من الدنيا و ما فيها!!

الإمام على استقى من منبع النبوّه، و تربّى بخلق النبوه، فكان ربانى هذه الأمه»(۱).

ذات مره سأل معاويه أحد رؤساء العرب: «لم أحببت عليا؟

۱- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۳۳۰.

فقال – «لثلاث خصال: حلمه إذا غضب، و صدقه إذا قال، و عدله إذا حكم».

و هكذا كان الإمام كريم النفس، عظيم الصدق، كثير الوفاء، فلم تكن القضايا التافهه – بما فيها الدنيا و ما فيها – لتسلبه القدره على ضبط النفس، و العمل بالحلم، و العفو..

لقد جاءته فرصه ذهبيه للتخلّص من أحد ألدّ أعدائه، و هو عمرو بن العاص، الذى كان المخطط الأول لمعاويه، و لكنه عليه السّلام فوّتها على نفسه لحيائه..

و خلاصه ذلک أن عليا عليه السّلام بعد أن كثر القتل و القتال فى الناس فى صفّين علا فوق التل، و نادى بأعلى صوته: يا معاويه، فأجابه معاويه، فقال الإمام: «علام يقتتل الناس؟ ابرز إلىّ ودع الناس فيكون الأمر لمن غلب»!.

فقال عمرو بن العاص لمعاويه: «أنصفک الرجل».

فضحک معاويه و قال: «طمعت فيها (الخلافه) يا عمرو؟» – و يقصد أنه إن هو بارز عليا فهو مقتول لا محاله، فعند ذاک يحصل عمرو على مطمعه فى الخلافه.

فقال عمرو: «و اللّه.. ما أراه يجمل بک، إلاّ أن تبارزه».

فقال معاويه: «و اللّه ما أراک إلاّ مازحا. نلقاه بجمعنا»

يريد بذلك أن عليا لا يجرؤ الأفراد على مبارزته، بل الجماعات.

و بعد أن تكرّرت دعوه الإمام لمعاويه بالمبارزه، و إحجامه عن الإجابه و مجادلته مع عمرو بن العاص الذى كان يصرّ على معاويه أن يبارز الإمام، أخذت عمرا العزّه بالإثم فقال فى إحداها: «أ تجبن عن علىّ، و تتّهمنى فى نصيحتى إليك؟، و اللّه لأبارزنه و لو متّ ألف موته».

و بارز عمرو عليا، فما هى إلاّ لحظات حتى طعنه علىّ فصرعه، ثم و مض سيفه كشعله من النار فوق هامته فأدرك عمرو أنه هالك فكشف عن عورته و هو يتخبّط على الأرض - فصرف الإمام وجهه عنه، و تركه يسرع هاربا. و كان الإمام لا ينظر إلى عوره أحد حياء أو تكرّما.

فقال بعض أصحاب الإمام: «أفلت الرجل يا أمير المؤمنين..» فقال عليه السّلام: «تلقّانى بعورته، فصرفت وجهى عنه»(1)!.

و روى عمرو ما حدث له مع الإمام، فقال له معاويه:

«احمد اللّه، و عورتك»! ثم قال شعرا يزرى بعمرو، فقال عمرو: «ما أشدّ تعظيمك عليا فى أمرى هذا. و هل هو إلاّ

1- على و عصره: ج 4، ص 258.

رجل لقيه ابن عمه فصرعه! فترى أن السماء قاطره لذلك دما»؟.

قال معاويه: «لا.. و لكنّها معقبه لك خزيا»..

و بالرغم من أن مصرع عمرو بن العاص - لو كان يتمّ - كان ربما يغير معادله الحرب كلها لمصلحه الإمام لما كان يسبّبه من الذعر فی جيش الشام، بالإضافه إلى أن ذلك كان يعنى القضاء على الساعد الأيمن لمعاويه، و صاحب الحيله الأولى فی أصحابه، فإن الإمام التزم بكرم النفس، و لم يلتزم بإحراز النصر..

ثم إنه شاع خبر الطريقه التى تخلّص بها عمرو من سيف ذى الفقار فاتبعها أشخاص آخرون من قاده جيش معاويه منهم «بسر بن أرطأه» و هو من أقوى فرسان معاويه، حيث إنه تقدّم لعلى عليه السّلام و كان الإمام فی الدروع و الزرود لا يتبيّن منه إلّا عيناه فلم يعرف «بسر» أنه على عليه السّلام فتصدّى له، فلما تلقّى أول ضربه منه، فی الصراع، أدرك من ثقل الضربه أنها لعلى! فقد أوقعته من على ظهر فرسه، فما كان من «بسر» - و قد أدرك خطوره الموقف - إلّا أن قلّد عمرو، و كشف عن عورته. و كان موقف علىّ منه كما كان مع عمرو، فكشح بوجهه عنه و تركه يفلت هاربا..

ص:۴۹

إنه كريم النفس، و هو إذ يفعل ما يفعل فهو لا يتكلّف ذلك لأنه ملتزم بالأخلاق و لا يرضى لنفسه إلّا أن يلتزم بها..

أو ليس هو القائل: لو كنّا لا نرجو جنّه، و لا نخشى نارا، و لا ثوابا و لا عقابا، لكان ينبغى لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فإنها مما تدلّ على سبيل النجاح»(۱) ؟

و أين تظهر مكارم أخلاق الرجل؟ أ ليس حينما تتناقض مصالحه مع مبادئه، و قيمه مع رغبته؟

ثم إن الإمام كان يعفو، و يصفح عن عدوّ و يعرف سلفا أنه لو كان هو المنتصر لم يكن ليصفح عنه أو يعف، أو يرحم!

من ذلك أنه عليه السّلام حينما صرع عمرو بن عبد ودّ العامرى فى معركه الخندق رفض أن يسلبه درعه، بعد أن قال له عمرو - و الإمام على صدره ينوى قتله -:

«لا تكشف سوأه ابن عمك و لا تسلبه سلبه».

فقال له الإمام: «ذاك أهون علىّ!»

و حينما عاد إلى رسول اللّه منتصرا، قال له عمر بن الخطاب: «هلّا سلبت درعه، فإنها تسوى ثلاثه آلاف، و ليس للعرب مثلها؟!

فقال الإمام: «إنى استحيت أن أكشف ابن عمّى».

۱- مستدرک الوسائل: ج ۲، ص ۲۸۳.

و لكرم النفس هذا روى أنه حينما جاءت أخت عمرو و رأته غير مسلوب، قالت: «إنما قتله كريم»(۱).

و لقد قال الإمام فيما ينسب إليه من الشعر عن عفّته فى سلب عمرو:

و عففت عن أثوابه لو إنّنى كنت المقطّر بزّنى أثوابى

هذا و كان الإمام يوصى قنبرا خادمه بقوله: «يا قنبر لا تعرّ فرائسى» و يقصد بذلك أن لا تسلب قتلاى(۲).

***

لقد كان عليه السّلام عظيما فى شخصيته، و لم يكن يستمدّ شخصيته من مظاهر القوه الفارغه من البطش و التنكيل، و ما شابه ذلك. و لم يكن ممّن يغريه سلطانه، و قوّته الجسديه، أن يأخذ أحدا بأكثر مما يستحق، أو أن تسمح له سلطاته الواسعه تجاوز مفرده واحده من مفردات الأخلاق الرفيعه.. بل كان يردّ البذاءه الشخصيه بالعفو و الصفح، و الردّ الجميل.

من ذلك ما روى أنه بعد ثلاثه شهور من مبايعه الناس له، و طلب الإمام من معاويه الدخول فى الطاعه، و لزوم الجماعه، و معاويه لا يردّ على رسائل الإمام أرسل معاويه رجلا من بنى عبس و معه كتاب، فلما فضه عليّ وجده خاليا من الكتابه! فقال للرسول: «ما وراءك»؟!:

۱- مناقب آل أبى طالب: ج ۱، ص ۳۱۹.

۲- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۷۳.

قال: «و أنا آمن»؟

قال الإمام: «إن الرسل لا تقتل».

قال: «تركت قوما لا يرضون إلّا بالقود».

قال الإمام: «ممّن»؟

قال العبسی: «من خیط رقبتک! و ترکت ستّین ألف شیخ کلهم یبکی تحت قمیص عثمان، و هو منصوب لهم قد ألبسوه منبر دمشق»!

قال الإمام: «أمنّی یطلبون دم عثمان؟ أ لست موتورا بتره عثمان؟ اللّهمّ إنی أبرأ إلیک من دم عثمان! نجا و اللّه قتله عثمان إلاّ أن یشاء اللّه، فإنه إذا أراد أمرا أصابه. أخرج».

قال العبسی: «و أنا آمن»؟

قال الإمام: «و أنت آمن».

و حاول بعض أصحاب الإمام أن یفتکوا بالعبسی، فأنقذه الإمام و حماه... ثم أمر بعض أصحابه أن یحسنوا إلیه، فما زالوا به حتی انضمّ إلیهم و هجر معاویه، و کشف لهم خطه معاویه للقتال، و للزحف علی المدینه، و ما یدور بین معاویه و بین خصوم الإمام من مراسلات...(۱)

***

۱- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۲۴۴.

إن كرم النفس عند الإمام و التزامه بالأخلاق الحسنه كانت تدعوه إلى الصفح و العفوّ حتى لألدّ أعدائه و الحرب لا تزال قائمه..

و من ذلک ما روی عن إطلاق سراح أسری جیش الشام، من غیر فدیه، أو عقاب. بالرغم من أن خصمه معاویه أو شک أن یقتل الأسری من جیش الإمام علیه السّلام ذلک أن هذا الأخیر کان قد أسر بعض أصحاب الإمام، فقال عمرو لمعاویه: «اقتلهم»، و همّ معاویه بذلک.

فقال له أحد الأسری، و هو من قبیله الأزد: «لا تقتلنی فإنک خالی».

قال معاویه: «من أین أنا خالک و لم یکن بیننا و بین أزد مصاهره؟» قال الأزدی: «إن أخبرتک فهو أمانی عندک»؟

قال معاویه: «نعم».

قال: «أ لیست أختک أم حبیبه بنت أبی سفیان زوجه النبی»؟

قال: «بلی».

قال: «أ لیست هی أم المؤمنین؟ فأنا ابنها، و أنت أخوها، فأنت خالی».

فأعجب معاویه بدهاء الأزدی، و سرّ بحسن حیلته،

و صفّق طربا، و قال: «ما له! للّه أبوه! أما كان فى هؤلاء الأسرى من يفطن لها غيره»؟ و أطلقه.

فأشار عمرو عليه أن يقتل الأسرى الآخرين.

و إن معاويه ليوشك أن يقتل الأسرى من أصحاب على، إذ بأصحاب معاويه الّذين كان قد أسرهم علىّ يعودون، فيشيدون بحسن المعامله التى لقوها، و يحملون إلى معاويه و من معه فتوى الإمام: «إن أسير أهل القبله لا يفادى، و لا يقتل».

فأطلق معاويه الأسرى من أصحاب على، و هو يقول لعمرو مؤنبا: «يا عمرو، لو أطعناك فى هؤلاء الأسرى لوقعنا فى قبيح من الأمر»(۱).

كان الإمام يقاتل أعداءه، و لكنه كان خصما يلتزم بمبادىء الشرف و الفروسيه و لا يتجاوز حدود ما أنزل اللّه، فلم يكن ينطلق من البغضاء و الشحناء بل من مبدأ مقاومه الظلم و العدوان.

فمع أنه كان يقاتل أعداءه، فإنه لم يكن ليسمح لأصحابه بأن يشتموهم و يلعنوهم.. فللّعدو احترامه، بالرغم من أنّه يجوز قتله..

ص:۵۴

۱- المصدر السابق: ج ۲، ص ۹۹.

فقد روی «أن الإمام علیا خرج إلی النّاس فوجدهم یشتمون و یلعنون معاویه و من تبعه، فزجرهم الإمام:

فقال الأشتر: «ألسنا محقّین»؟

قال: «بلی».

قال حجر بن عدی: «أ لیسوا مبطلین»؟

قال: «بلی».

فقال الناس: «فلم تمنعنا عن شتمهم»؟

قال: «إنی أکره لکم أن تکونوا سبّابین، و لکنکم لو وصفتم أعمالهم و ذکرتم حالهم، کان أصوب فی القول و أبلغ فی العذر. فإن قلتم مکان سبّکم إیّاهم: «اللّهمّ احقن دماءنا و دماءهم، و أصلح ذات بیننا و بینهم، و اهدهم من ضلالتهم حتی یعرف الحق منهم من جهله، و یرعوی عن الغی و العدوان من لهج به» کان هذا أحبّ إلیّ، و خیرا لکم».

فقال الأشتر و حجر بن عدی: «یا أمیر المؤمنین نقبل عظتک. و نتأدّب بأدبک»(۱).

و من ذلک أیضا ما روی أن أصحابه سألوه عن الخوارج:

«أ مشرکون هم یا أمیر المؤمنین».

قال: «من الشرک فرّوا».

قالوا: «أ منافقون»؟.

۱- کتاب صفّین: لنصر بن مزاحم، ص ۱۰۳.

قال: «إن المنافقين لا يذكرون اللّه إلّا قليلا»!.

قالوا: «فمن هم يا أمير المؤمنين»؟

قال: «إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم على بغيهم. فاذكروا عنى إذا لقيتموهم من بعدى أنهم طلبوا الحق فأخطأوه، أما القاسطون فقد طلبوا الباطل فأصابوه»!(۱).

فهو يقاتلهم، و لكنه يأبى أن يتّهمهم بما ليس فيهم!

ثم إن القتال عنده له أصوله أيضا، فليس الغدر قتالا، و لا المباغته من دون الأعذار جائزا عنده، بل لا بد من الالتزام بالأصول الأخلاقيه. و من هنا فإن الإمام حينما أرسل الأشتر فى مقدمه الجيش إلى مناوئيه أوصاه قائلا:

إيّاك أن تبدأ بقتال إلاّ أن يبدأوك، حتى تلقاهم فتدعوهم و تسمع منهم، و لا يحملك بغضهم على قتالهم قبل دعائهم و الإعذار إليهم مره بعد مره، و اجعل على ميمنتك زيادا و على ميسرتك شريحا، و لا تدن منهم دنوّ من يريد أن ينشب الحزب، و لا تتباعد عنهم تباعد من يهاب البأس. حتى أقدم إليك حثيث المسير فى إثرك إن شاء اللّه تعالى»(۲).

۱- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۲۰۲.

۲- المصدر السابق: ج ۲، ص ۲۶.

و أوصى معطل بن قيس الرياحى حين أنفذه إلى الشام فى ثلاثه آلاف كمقدمه لجيشه، قائلا:

«اتق اللّه الذى لا بدّ لك من لقائه، و لا منتهى لك دونه، و لا تقاتلن إلّا من قاتلك... فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطا، و لا تدن من القوم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب، و لا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس، حتى يأتيك أمرى، و لا يحملنّك شنآئهم على قتالهم قبل دعائهم و الاعذار إليهم»(۱).

لقد كان الإمام يتمتّع بصفه التورّع عن البغى، و المرونه مع الخصم سواء كان خصمه قويا أم ضعيفا، كما كان يتمتع بصفه سلامه الصدر من الضغن على العدوّ بعد الفراغ من القتال..

فمن تورّعه عن البغى، مع قوّته البالغه و شجاعته المعروفه، أنه لم يبدأ أحدا قط بقتال و له مندوحه عنه. كان لا يدعو إلى مبارزه، و لكنه إذا دعى إليها يهرول إليها هروله الولهان..

لقد علم أنّ الخوارج بدأوا يفارقون عسكره ليحاربوه، و قد قيل له: «إنهم يبيّتون النيه للخروج عليك فبادرهم قبل أن يبادروك» فقال: «لا أقاتلهم حتى يقاتلونى. و سيفعلون»(۲).

۱- كتاب صفّين: ص ۱۹۸.

۲- عبقريه الإمام على: ص ۱۹.

و كـذلك فعـل قبل وقعه الجمل، و قبل وقعه صـفّين، و قبل كل المعارك صـغرت أم كبرت، سواء كانت نيه العـدو واضـحه فى العدوان أم غير واضـحه، كان يدعوهم إلى السّـلام، و ينهى أصـحابه عن المباداٴه بالشّـر، فما رفع يده بالسيف قطّ إلّا و قد بسطها للسلام من ذى قبل.

و لقـد أصاب المقتل من أعـدائه عـدّه مرات، فلم يهتم بالفرصه السانحه بين يـديه، لأنّه كان ملتزما بأخلاقيات المقاتل المؤمن، و كان يريد أن ينتصر على عدوّه انتصار الشريف، لا انتصار الأنذال، و لم يكن يريد قط أن يستلب الغلبه قصاصا أو تشفيا..

ففى معركه الجمل، لاحت له فرصه أن يمنع أعداءه الماء، فأبى أن ينتهزها كما فعل ذلك فيما بعد معه أصحاب معاويه..

و بعد المعركه، منع الإمام أصـحابه أن يستبيحوا السّبى، و يأخذوا غنائم منهم، فغضب بعض أصـحابه من ذلك فقالوا له: «يا أمير المؤمنين.. أ تراه تحلّ لنا دماءهم، و تحرّم علينا أموالهم؟».

فقال عليه السّلام: «إنما القوم أمثالكم.. من صفح عنّا فهو منّا

و نحن منه، و من لجّ فقتاله منّى حتى يصاب على الصدر و النحر»(۱).

و كان عليه السّلام لا يتّبع منهزما، و لم يكن يجهز على جريح(۲) و كان يوصى أصحابه بذلك أيضا. فقد قال قبيل معاركه مع أهل الشام:

«لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم. و أنتم - بحمد اللّه - على حجّه، و ترككم قتالهم حتى يبدأوكم حجّه أخرى لكم عليهم، فإذا هزمتموهم بإذن اللّه فلا تقتلوا مدبرا، و لا تصيبوا معورا و لا تجهزوا على جريح، و لا تكشفوا عوره، و لا تمثلوا بقتيل، فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا، و لا تدخلوا دارا إلّا بإذن، و لا تأخذوا شيئا من أموالهم إلّا ما وجدتم فى عسكرهم من عدّه الحرب و أدواتها(۳).

***

و كان مع عدوّه رحيما.. يريد له الخير، و ينصحه لعلّه يؤوب عن ذنبه، و يخلّص نفسه من نار جهنم. لقد خرج عليه طلحه و الزبير فوقف معهما الإمام ينصحهما طويلا، حتى استطاع أن يؤثّر على الزبير فاعتزل عن القتال، و لكن أحدهم

۱- عبقريه الإمام على: ص ۳۷.
۲- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۷۳.
۳- مروج الذهب: ج ۲، ص ۷۳۱.

تعقّبه طمعا فی بعض المغنم فقتله، ثم جاء بسیفه إلی الإمام، و هو یظن أنه علیه السّلام سیثمن عمله، و یمنحه الجائزه علی ذلک، فغضب الإمام، و قال و هو یقلّب سیف الزبیر:

«سیف طالما کشف الکرب عن وجه رسول اللّه»!.

کان متأثرا مما آل إلیه أمر الزبیر، فإذا بالزبیر یجرّد سیفه الذی کشف به الکرب عن وجه رسول اللّه، فی وجه وصیّه فتأثر الإمام لمقتله، و بکاه..

ثم التفت إلی قاتله و قال:

- «سمعت رسول اللّه یقول: بشّر قاتل ابن صفیّه بالنار».

و طرده من محضره!

لقد کان الإمام یتمنّی علی طلحه و الزبیر أن یعودا إلی رشدهما، و لکم حذّرهما من مغبّه تسعیر نار الحرب. و فتح باب الفتنه.

و لکن الشیطان غلبهما من قبل، فوقع ما وقع، و قد قال لهما و لرجالهما، قبیل اندلاع المعارک: «.. إن الأمر الذی کنت أحذّرکم منه قد وقع، و الذی وقع لا یدرک، و إنّها لفتنه کالنار، کلّما سعرت ازدادت اضطراما. و سأمسک الأمر ما استمسک، فإذا لم أجد بدا، فآخر الدواء الکیّ»(۱).

۱- التاریخ - للطبری: ج ۵، ص ۱۵۸.

و وقعت الحرب، و تساقط القتلى على الجانبين، عشرات عشرات ثم مئات و مئات، و أحيط بطلحه، و أوشك أن يقتل فصاح الإمام بأصحابه: «إياكم و صاحب البرنس!. إياكم و طلحه!. إياكم أن تقتلوه»!(۱).

و لكن طلحه قتل فيما بعد بسهم مروان بن الحكم فأصاب مقتله..

و استعرت المعركه من جديد، و خاضت الخيل فى دماء الرجال، و رأى الإمام أنه ما من سبيل لحقن الدماء بعد..

فالجنون و الغيظ و الاحتدام و الانفعالات المدمره هى التى تحرّك سواعد الرجال!! و رآهم يتساقطون صرعى حول الجمل، فصاح: «اعقروا الجمل، فإنه إن عقر تفرّقوا». و لم يقل عليه السّلام: اقتلوا صاحبه الجمل، و لا اقتلوا الرجال من حولها، بل قال: «اعقروا الجمل» ليحقن الدّماء!

و بعد المعارك.. بكى أعداءه لدخولهم النار، كما بكى أصحابه لمقتلهم ظلما و عدوانا، و صلّى عليهم صلاه الجنازه و دفنهم!.

يقول أحدهم:

«لقد كان رضاه من الآداب فى الحرب و السلم رضا الفروسيه العزيزه من جميع آدابها و مأثوراتها.

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۲۷۹.

فکان یعرف العدوّ عدوا حیثما رفع السیف لقتاله. و لکنه لا یعادی امرأه، و لا رجلا مولّیا، و لا جریحا عاجزا عن نضال، و لا میّتا ذهبت حیاته و لو ذهبت فی مواجهته.. بل لعلّه یذکر له ماضیه یومئذ فیقف علی قبره لیبکیه و یرثیه و یصلّی علیه»(۱).

***

کان یعاقب علی قدر الذنب، و یأخذ علی قدر الاستحقاق.

فبالرغم مما کان بینه و بین معاویه و جنوده من اللدد فی العداء فإنّه لم یکن ینازلهم و لا یأخذ من ثاراته و ثارات أصحابه عندهم إلاّ بمقدار ما استحقوه فی موقف السّاعه: ففی یوم من أیام صفّین اتفق أن خرج من أصحاب معاویه رجل یسمی «کریز بن الصباح الحمیری» فصاح بین الصفین: من یبارز؟..

فخرج إلیه رجل من أصحاب علی فقتله و وقف علیه و نادی: من یبارز؟

فخرج إلیه آخر فقتله و ألقاه علی الأوّل، ثم نادی: من یبارز؟

فخرج إلیه الثالث فصنع به صنیعه بصاحبیه.

۱- عبقریه الإمام علی: ص ۳۸.

ثم نادى رابعه: من يبارز؟. فأحجم الناس و رجع من كان فى الصفّ الأول إلى الصف الذى يليه.

و خاف علىّ أن يشيع الرّعب بين صفوفه فخرج إلى ذلك الرجل المدّل بشجاعته و بأسه فصرعه ثم نادى نداءه من يبارز؟ حتى أتمّ ثلاثه قتلهم جميعا صنع بهم صنيعه بأصحابه فكلما خرج أحد أصحاب معاويه، صرعه الإمام و نادى من يبارز؟ حتى أتمّ الثلاثه، ثم قال مسمعا الصفوف:

يا أيها الناس. إن اللّه عزّ و جلّ يقول: «الشهر الحرام بالشهر الحرام و الحرمات قصاص و لو لم تبدأونا ما بدأناكم».

و رجع إلى مكانه!(۱).

***

.. و كانت للّرحم عنده حرمه خاصه، يأمر باحترامها و يعتبرها مهما إلى جانب الإيمان، و الجهاد، و الإخلاص، و الصلاه و الصوم، كما كان يعتبر صله الرحم «مثراه فى المال و منسأه فى الأجل»(۲) فحتى فى حاله الحرب كان يأمر أن يحترم الرحم، ففى صفّين «تبارز رجلان، فصرع أحدهما الآخر، فسقطت خوذه المغلوب، فإذا هو شقيق الغالب،

۱- عبقريه الإمام على عليه السّلام: ص ۲۰.

۲- نهج البلاغه - الخطب: ۱۱۰.

فتوقّف حتی استأذن الإمام فی أمره، فأمره الإمام أن یدع أخاه و یعفو عنه»(۱).

***

و فی حالات السّلم «کان للناس أبا رحیما» - حسب تعبیر أحد أصحابه - و لقد ظهرت أخلاقه الکریمه، و التزامه بالأصول الإنسانیه فی کثیر من المواقف و الأعمال نکتفی فیما یلی ببعضها..

۱

بالرغم من أنه علیه السّلام کان یحکم بلادا شاسعه، فإنه کان یمشی وحده من غیر حرس أو حاشیه، و ذات یوم شاهد فی الطریق المشترک بین البصره و الکوفه، رجلا فسأله عن وجهته فقال إنه یقصد البصره و فی المقابل کان الإمام یقصد الکوفه.

و بعد أن سأله الإمام عن اسمه و قبیلته تبیّن أنه لیس مسلما بل هو ذمّی. کان الطریق مشترکا، و حینما وصلا إلی المفترق انصرف الرجل نحو طریق البصره ففوجیء بالإمام ینصرف معه فی ذات الطریق.

فقال للإمام - و لم یکن یعرفه بعد -: «ألم تقل إنک تقصد الکوفه؟

۱- علی إمام المتّقین: ج ۲، ص ۶۴.

قال الإمام: بلی.

فقال الرجل:.. و لكن هذا طريق البصره.

قال الإمام: «قد عرفت. و لكن نبيّنا أمرنا أن نشيّع أصحابنا أربعين خطوه.

فقال الرجل: و هل أصبحت صاحبک؟

قال الإمام: نعم.. أنت صاحبی فی هذا الطريق.

فسأل الإمام عن اسمه، فتبيّن له أنه أمير المؤمنين. فأسلم على يديه و قال: «و اللّه إنها أخلاق الأنبياء»(۱).

۲

بلغ من عمق تأثير أخلاق الإمام على بن أبی طالب على الناس أنه اشترى عبدا، فعلّمه الإسـلام و أعتقه، لكن العبد لزمه.. حتى إذا مات النجاشی ملک الحبشه، و اضطربت الأمور من بعده، اكتشف الملأ من الحبشه أن هذا العبد هو ابن للنجاشی قد خطفه تجّار الرقيق و هو غلام و باعوه فی مکه!!

فجاءه الملأ من الحبشه يعرضون عليه ملک الحبشه خلفا

۱- الإسلام فی مواجهه الجاهليه: ص ۱۵۷.

لأبیه النجاشی، لکنه رفض الملک و آثر البقاء علی الإسلام فی صحبه علی!!(۱).

۳

جاء رجل إلی علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فقال له: یا أمیر المؤمنین إنّ لی إلیک حاجه.

فقال: اکتبها فی الأرض فإنّی أری الضرّ فیک بیّنا.

فکتب فی الأرض: أنا فقیر محتاج.

فقال علیّ علیه السّلام: یا قنبر اکسه حلّتین.

فأنشأ الرجل یقول:

کسوتنی حلّه تبلی محاسنها فسوف أکسوک من حسن الثنا حللا

إن نلت حسن ثنائی نلت مکرمه و لست تبغی بما قد نلته بدلا

إنّ الثناء لیحیی ذکر صاحبه کالغیث یحیی نداه السهل و الجبلا

لا تزهد الدهر فی عرف بدأت به فکلّ عبد سیجزی بالّذی فعلا

فقال علیه السّلام: أعطوه مائه دینار.

ص:۶۶

۱- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۱۷.

فقیل له: یا أمیر المؤمنین، حلّه و مائه دینار؟ لقد أغنیته!

فقال: إنّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: «أنزلوا النّاس منازلهم».

ثمّ قال علیه السّلام: إنّی لأعجب من أقوام یشترون الممالیک بأموالهم و لا یشترون الأحرار بمعروفهم(۱).

۴

یروی أنّ أعرابیا جاء الإمام فقال: یا أمیر المؤمنین إنّی مأخوذ بثلاث علل: علّه النفس، و علّه الفقر، و علّه الجهل.

فأجابه أمیر المؤمنین علیه السّلام بقوله: یا أخا العرب علّه النفس تعرض علی الطبیب، و علّه الجهل تعرض علی العالم، و علّه الفقر تعرض علی الکریم.

فقال الأعرابیّ: یا أمیر المؤمنین أنت الکریم، و أنت العالم، و أنت الطبیب، فأمر أمیر المؤمنین علیه السّلام بأن یعطی له من بیت المال ثلاثه آلاف درهم، و قال: تنفق ألفا بعلّه النفس، و ألفا بعلّه الجهل، و ألفا بعلّه الفقر(۲).

۵

لقد هاله ترک علماء الشام مسؤولیاتهم الأخلاقیه فأرسل

۱- أمالی الصدوق: ص ۱۶۴.
۲- جامع الأخبار: ص ۱۵۸.

إلى بطانه معاويه من علماء الشام، الّذين زعموا أن انضمامهم لمعاويه ضد أمير المؤمنين قضاء من اللّه و قدره: «أما بعد..

أ تأمرون الناس بالتقوى و بكم ضلّ المتّقون؟!، و تنهون النّاس عن المعاصى و بكم ظهر العاصون؟!

هل منكم إلاّ مفتر على اللّه يحمل إجرامه عليه و ينسبه علانيه إليه؟!..

و هل منكم إلاّ من السيف قلادته، و الزور على اللّه شهادته؟

خالفتم أهل الحق حتى ذلّوا و قلّوا، و أعنتم أهل الباطل حتى عزوا و كثروا، فأنيبوا إلى اللّه و توبوا، و تاب اللّه على من تاب، و قبل من أناب»(۱).

و هكذا كان الإمام عصاميا فى تمسكّه بالأخلاق لا يتنازل عنها مهما كلّفه من أمر، و هكذا يجب أن يكون المؤمنون فى كل موقع و مورد.

و تلك هى وصيته للناس: أن تعصبوا للأخلاق الكريمه..

فهو القائل: «إن كان لا بد من العصبيّه، فليكن تعصّبكم لمكارم الخصال، و محامد الأفعال، و محاسن الأمور التى تفاضلت فيها المجداء و النجداء من بيوتات العرب، و يعاسيب

۱- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۳۶۷.

القبائل بالأخلاق الرغيبه، و الأحلام العظيمه، و الأخطار الجليله، و الآثار المحموده.

فتعصّبوا لخلال الحمد: من الحفظ للجوار و الوفاء بالذمام. و الطاعه للبرّ. و المعصيه للكبر. و الأخذ بالفضل.

و الكفّ عن البغى. و الإعظام للقتل. و الإنصاف للخلق.

و الكظم للغيظ. و اجتناب الفساد فى الأرض..

و احذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال، و ذميم الأعمال، فتذكروا فى الخير و الشرّ أحوالهم، و احذروا أن تكونوا أمثالهم»(١).

١- أعلام النبوّه - للماوردى: ص ٩٧.

اليقين

زاد العاملين فی مواجهه الصعاب ثلاث: الاعتزاز باللّه تعالی و الثقه بالنفس، و الیقین. فإذا اجتمعت فی امریء فلا بد أن یشفع علمه بعمله، و یقینه بإقدامه.

فبمجرد أن تعلموا فلا بد أن تعملوا.

و بمجرد أن تتیقّنوا فلا بدّ أن تقدموا..

و إذا بدأتم فلا بد من مواصله المسیر من غیر ما تردد أو تخاذل أو تراجع..

ف «لا تجعلوا یقینکم شکا و لا علمکم جهلا، فإذا علمتم فاعلموا، و إذا تیقّنتم فأقدموا»(۱).

إن الیقین قد ینقلب إلی شک إذا انفصل عن العمل،

۱- غرر الحکم و درر الکلم.

فمشاكل الحياه و ضغوط الأعداء و أهواء النفس، قد تحمل الشخص على التشكيك فى معتقداته، و التردّد فى مواقفه، و التراجع عن حقوقه..

و هنا تبرز قيمه «اليقين» فى العمل، و ضروره الإصرار على الموقف فى الممارسه، ف «باليقين تدرك الغايه القصوى»(۱) و «كفى باليقين غنى»(۲) لأنّ «من أيقن أفلح»(۳) و «ما أعظم سعاده من بوشر قلبه باليقين»(۴). و هكذا فإن «اليقين رأس الدين»(۵) و «عماد الإيمان»(۶).

و لقد كان أمير المؤمنين عليه السّلام يطلب من الناس أن يسألوا اللّه تعالى اليقين و يقول: «أيها الناس.. سلوا اللّه اليقين، و ارغبوا إليه فى العافيه فإن أجلّ النعمه العافيه، و خير ما دام فى القلب اليقين، و المغبون من غبن دينه، و المغبوط من غبط يقينه»(۷).

۱- نهج البلاغه - الخطب: ۱۵۷.

۲- البحار: ج ۷۰، ص ۱۷۶.

۳- غرر الحكم و درر الكلم.

۴- مستدرك الوسائل: ج ۲، ص ۲۸۴.

۵- غرر الحكم و درر الكلم.

۶- المصدر السابق.

۷- البحار: ج ۷۰، ص ۱۷۶.

و نظرا إلى ما لليقين من الـدور الهائل فقد قال عليه السّلام: «نوم على يقين خير من صـلاه على شك»(۱) و قال: «يحتاج الإيمان إلى إيقان»(۲)..

و فى الحقيقه فإن يقين الفرد هو الـذى يـدفعه إلى الجهاد و الصـمود، فإن «من يستيقن يعمل جاهـدا»(۳) كما أنّه سـبب الحزم و مجاهده النفس، فإن «الموقن أشدّ الناس حزما على نفسه»(۴) إذ «يسـتدلّ على اليقين بقصر الأمل، و إخلاص العمل، و الزهد فى الدنيا» فإن «المؤمن يرى يقينه فى عمله، و إن المنافق يرى شكّه فى عمله»(۵).

و لهـذا كله كـان «الصبر أول لوازم الإيقان»(۶) فهو الـدافع للاسـتقامه تماما كما أن «سـبب الإخلاص من اليقين»(۷) و هو سـبب الاستهانه بالمصائب. يقول الإمام على عليه السّلام فى وصيته لابنه الحسن عليه السّلام: «اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصّبر

۱- تنبيه الخاطر، ص ۲۴.

۲- غرر الحكم و درر الكلم.

۳- ميزان الحكم: ج ۱۰، ص ۷۸۲.

۴- غرر الحكم و درر الكلم.

۵- المصدر السابق.

۶- المصدر السابق.

۷- المصدر السابق..

و حسن اليقين.. و أحى قلبك بالموعظه، و أمته بالزهاده، و قوّه باليقين، و نوّره بالحكمه»(۱).

***

و لقد كان الإمام عليه السّلام على اليقين من أمره، و الثقه بدينه، و الاعتزاز باللّه و هذه الصفات هى وراء عظمه شخصيته، حيث إنه لم يشك و لا لحظه واحده فى أنه على حق، و أن مناوئيه على باطل.

و كما يقول أحدهم «كانت لديه الثقه التى تتراءى مكشوفه فى صراحتها و استقامتها، لأن صاحبها لم يتكلّف مداراتها، و لم يحسّ أنه يحتاج إلى مداراتها، و لأنه يعقدها و لا يتعمّد إبداءها، و لقد كانت فيه ثقه أصيله لم تفارقه منذ حبا و درج، و قبل أن يبلغ مبلغ الرّجال فما منعته الطفوله الباكره يوما أن يعلم أنه شىء فى هذه الحياه الدنيا، و أنه قوه لها جوار يركن إليه المستجير. و لقد كان فى العاشره أو نحوها يوم أحاط القروم القرشيون بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ينذرونه و ينكرونه و هو يقلّب عينيه فى وجوههم و يسأل عن النصير و لا نصير. فلو كان بعلىّ أن يرتاع فى مقام نجده أو مقام عزيمه لارتاع يومئذ بين أولئك الشيوخ الّذين رفعتهم الوجاهه و رفعتهم آداب القبيله البدويه

۱- تحف العقول: ص ۵۲.

إلى مقام الخشيه و الخشوع. و لكنه كان عليا فى تلك السن المبكّره، كما كان عليا و هو فى الخمسين أو الستين. فما تردّد - و هم صامتون مستهزئون - أن يصيح صيحه الواثق الغضوب:

أنا نصيرك! فضحكوا منه ضحك الجهل و الاستكبار. و علم القدر وحده فى تلك اللحظه أن تأييد ذلك الغلام أعظم و أقوم من حرب أولئك القروم»(۱).

و من شواهد هذه الثقه بالنفس، أنه حملها من ميدان الشجاعه إلى ميدان العلم و الرأى حين كان يقول: «سلونى قبل أن تفقدونى فو الذى نفسى بيده لا- تسألونى فى شىء فيما بينكم و بين الساعه، و لا عن فئه تهدى مائه و تضلّ مائه، إلّا أنبأتكم بناعقها و قائدها و سائقها، و مناخ ركابها و محط رحالها..»!.

و من شواهدها أنه كان يقول - و الخارجون عليه يرجمونه بالمروق -: «ما أعرف أحدا من هذه الأمّه عبد اللّه بعد نبيّنا غيرى، عبدت اللّه قبل أن يعبده أحد من هذه الأمه تسع سنين»(۲).

لقد كان الإمام على يقين من إيمانه، و علمه، و موقفه،

۱- عبقريه الإمام على عليه السّلام: ص ۲۵.

۲- المصدر السابق: ص ۲۰۰.

و صدق عزيمته و هو القائل: «إنی علی يقين من ربّی، و غير شبهه من دينی»(۱).

و لقد قال له أحدهم: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته؟

فقال: «ويلك ما كنت أعبد ربّا لم أره».

قال: و كيف رأيته؟

قال: «ويلك لم تره العيون بمشاهده الأبصار، و لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان»(۲).

لقد عبد اللّه تعالی عباده من يراه، و هو القائل: «ما رأيت شيئا، إلاّ و رأيت اللّه قبله، و معه، و بعده»!.

و كما فی العباده، كذلك فی المواقف السياسيه كان علی يقين من أمره، فقد جاءه أحد رجاله فقال: «يا أمير المؤمنين، ما أری عائشه و طلحه و الزبير اجتمعوا إلاّ علی حق».

فقال: «إن الحق و الباطل لا يعرفان بالناس، و لكن اعرف الحق تعرف أهله، و اعرف الباطل تعرف من أتاه».

فقال الرجل: فهلا أكون كعبد اللّه بن عمر و سعد فأعتزلكم جميعا؟

۱- الإمامه و السياسه: ج ۱، ص ۱۵۴.
۲- التوحيد: ص ۹۶.

فقال الإمام: «إنهما خذلا الحق، و لم ينصرا الباطل. متى كانا إمامين فی الخير يتبعهما الناس»!!

فأقسم الرجل أن يتبع أمير المؤمنين وحده!(۱).

و إذا كان الإمام عليه السّلام يجادل أعداءه فلكی يهديهم الطريق و يرشدهم السبيل، و إلّا فلم تكن به حاجه إلی ذلك فيما يرتبط بيقينه فهو علی بصيره من دينه، و بيّنه من ربه، لم يكذب و لم يكذّب، و هو القائل: «ما كذبت و لا كذّبت، و لا ضللت و لا ضلّ بی»(۲) و القائل: «فو الذی لا إله إلّا هو إنی لعلی جاده الحق، و إنهم (الأعداء) لعلی مزله الباطل»(۳).

و قال قبيل معركه الجمل - بعد أن استيأس من أن عائشه و طلحه و الزبير سيجيبونه إلی السّلام، و حقن الدماء، و رأی ما صنعوا آنفا بعامله علی البصره عثمان بن حنيف، و قتلهم أنصاره، و لما رجعت رسله من عند عائشه و طلحه و الزبير يؤذنونه بالحرب لا محاله!.. قال عند ذلك:

«إنی قد راقبت هؤلاء القوم كی يرعووا، أو يرجعوا، و وبّختهم بنكثهم، فلم يستحيوا، و أخرجوا ابن حنيف عاملی

۱- علی إمام المتّقين: ج ۱، ص ۲۶۴.

۲- نهج البلاغه: الحكم ۱۸۵.

۳- غرر الحكم و درر الكلم: ۲۴۳.

على البصره بعد الضرب المبرح، و العقوبه الشديده، و قتلوا رجالا صالحين، ثم تتبعوا منهم من نجا، و قتلوهم صبرا! ما لهم قاتلهم اللّه أنّى يؤفكون؟! و قد بعثوا إلىّ أن أبرز للطعان، و اصبر للجلاد هبلتهم الهبول، لقد كنت و ما أهدّد بالحرب و لا أرهب بالضرب. فليرعووا فقد رأونى قديما، و عرفوا نكايتى، فكيف رأونى»؟!(۱)..

«أنا أبو الحسن الذى فللت حدّ المشركين، و فرّقت جماعتهم! و بذلك القلب ألقى اليوم عدوّى، و إنى لعلى ما وعدنى ربى من النصر و التأييد، و على يقين من ربّى، و فى غير شبهه من دينى».

«أيها الناس إن الموت لا يفوته المقيم، و لا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيد و لا محيص. من لم يقتل مات، و الذى نفس علىّ بيده لألف ضربه بالسيف أهون من ميته على الفراش»(۲).

و قال عن طلحه و الزبير - بعد الاحتجاج معهما: - «إن شأنهما مختلف، فأما الزبير فما أحسبه يقاتلنا و إن قاده اللجاج! و أما طلحه فسألته عن الحق فأجابنى بالباطل، و لقيته

۱- كشف المحجّه: ص ۱۷۳.

۲- العقد الفريد: ج ۲، ص ۲۸۲.

باليقين، فلقينى بالشكّ، فو اللّه ما نفعه حقى، و لا ضرّنى باطله، و هو مقاتل غدا فمقتول فى الرعيل الأول»(۱)!

لقد قال الإمام ذات مره: «ما شككت فى الحق منذ أريته، لم يوجس موسى عليه السّلام خيفه على نفسه، بل أشفق من غلبه الجهّال و دول الضلال، اليوم تواقفنا على سبيل الحق و الباطل... من وثق بماء لم يظمأ»(۲).

فقال له بعض من سمعه: «يا أمير المؤمنين ما سمعنا قبل اليوم مثل هذا!! إنه أفضل تفسير لقوله تعالى: فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى (۳) و أفضل تبرئه لنبى اللّه من الشكّ فى أمره»!

و لأنه عليه السّلام ما شكّ فى الحق منذ رآه، فإنه كان مستعدا للمواجهه مع الباطل - بعد الاحتجاج عليه، و إتمام الحجّه له - مهما كانت النتائج بما فى ذلك الهزيمه. و لقد قال: «ما على المسلم من غضاضه فى أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكّا فى دينه، و لا مرتابا بيقينه»(۴).

و حينما أغار أحد أصحاب معاويه - و اسمه الضحّاك -

ص:۷۸

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۲۷۰.

۲- المسترشد - للطبرى: ص ۹۵.

۳- سوره طه، الآيه: ۶۷.

۴- صبح الأعشى: ج ۱، ص ۲۹۹.

برجاله على الحيره و اليمامه، فنهبوا بيت المال، و هربوا إلى الشام. أرسل إليه أخوه عقيل بن أبى طالب كتابا ينبئه فيه بأمر هذه الغاره، و يعرض عليه أن يخرج إليه ليؤيده. فردّ عليه الإمام على عليه السّلام برساله جاء فيها: «... إن قريشا قد اجتمعت على حرب أخيك، اجتماعها على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قبل اليوم.

و جهلوا حقى، و جحدوا فضلى، و نصبوا لى الحرب و جدّوا فى إطفاء نور اللّه، اللّهمّ فأجز قريشا عنى بفعالها، فقد قطعت رحمى و ظاهرت علىّ».

أما ما ذكرت من غاره الضحّاك على الحيره و اليمامه، فهو أذلّ و ألأم من أن يكون مرّ بها، فضلا عن الغاره، و لكنه جاء فى خيل، فسرّحت إليه جند المسلمين، فلما بلغه ذلك ولّى هاربا، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق. حين همّت الشمس للإياب، فاقتتلوا، و قتل من أصحابه بضعه عشر رجلا و نجا هاربا بعد أن أخذوا منه بالمخنق، و لو لا الليل ما نجا!

«و أما ما سألت أن أكتب إليك فيه، فإن رأيى الجهاد حتى ألقى اللّه، لا يزيدنى كثره الناس حولى عزّه، و لا تفرّقهم عنّى وحشه، لأنى محق، و اللّه مع المحقّ..».

«و ما أكره الموت على الحق، لأن الخير كله بعد الموت لمن عقل و دعا إلى الحق».

ص:٧٩

«و أما ما عرضت به من مسيرك إلىّ ببنيك و بنى أبيك، فلا حاجه إلى ذلك، فذرهم راشدا مهديا، فو اللّه ما أحبّ أن تهلكوا معى إن هلكت»(۱).

و فى المعمعه من المعارك فى صفّين. خرج رجل من أهل الشام ينادى بين الصفين: «يا أبا الحسن، يا على، ابرز إلىّ».

فبرز إليه الإمام فقال: «يا على! إن لك قدما فى الإسلام و الهجره، فهل لك فى أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء»؟

قال له على: «و ما ذاك»؟

قال: «ترجع إلى عراقك فنخلّى بينك و بين العراق، و نرجع نحن إلى شامنا فتخلّى بيننا و بين شامنا».

فقال له على: «لقد عرفت. إنما عرضت هذا نصيحه و شفقه. و لقد أهمنى هذا الأمر و أسهرنى، و ضربت أنفه و عينيه، فلم أجد إلّا القتال أو الكفر بما أنزل اللّه على محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. إن اللّه تبارك و تعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى فى الأرض و هم سكوت مذعنون، لا يأمرون بالمعروف و لا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون على نفسى من

۱- الأغانى: ج ۱۵، ص ۴۴.

معالجه الأغلال فی جهنم و موتات الدنیا أهون علیّ من موتات الآخره»(۱).

و لقد حاول معاویه، حینما رأی فی إحدی مراحل الحرب أن الدائره توشک أن تدور علیه، و أن علیا یوشک أن یکسب الحرب، فأراد التخلّص من ذلک بحیله التظاهر بالمنطق و التلاعب بالألفاظ و التشکیک فی حق الإمام فقال لعمرو: «قد رأیت أن أکتب لعلیّ کتابا أسأله الشام - و هو الشیء الأول الذی ردّنی عنه و ألقی فی نفسه الشکّ و الریبه». فضحک عمرو قائلا: «أین أنت یا معاویه من خدعه علی»؟

فقال: «ألسنا بنی عبد مناف»؟

قال عمرو: «بلی و لکن لهم النبوّه دونک! و إن شئت أن تکتب فاکتب».

فکتب معاویه لعلیّ: «أما بعد، فإنی أظنّک أن لو علمت أن الحرب تبلغ بنا و بک ما بلغت و علمنا، لم یجنها بعضنا علی بعض و إنّا و إن کنا قد غلبنا علی عقولنا فقد بقی لنا منها ما نندم به علی ما مضی، و نصلح به ما بقی، و قد کنت سألتک الشام علی ألاّ یلزمنی لک طاعه و لا بیعه، فأبیت ذلک علیّ. فأعطانی اللّه ما منعت، و أنا أدعوک الیوم إلی ما دعوتک إلیه أمس، فإنی

۱- مصباح المتهجّد: ص ۴۲۹.

لاـ أرجو من البقاء إلاّـ ما ترجو، و لا أخاف من الموت إلا ما تخاف، و قد و اللّه رقت الأجناد، و ذهبت الرجال، و نحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل إلاّ فضل لا يستذلّ به عزيز، و لا يسترقّ به حرّ، و السّلام».

فلما قرأ الإمام كتاب معاويه قال: «العجب لمعاويه و كتابه»!.

ثم كتب إلى معاويه: «أما بعد، فقد جاءنى كتابك تذكر أنك لو علمت و علمنا أن الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض.

فأنا و إياك منها فى غايه لم نبلغها. و إنى لو قتلت فى ذات اللّه و حييت، ثم قتلت ثم حييت سبعين مره، لم أرجع عن الشده فى ذات اللّه، و الجهاد لأعداء اللّه.

و أما قولك أنه قد بقى من عقولنا ما نندم به على ما مضى، فإنى ما نقّصت عقلى، و لا ندمت على فعلى. فأما طلبك الشام، فإنى لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس، و أما قولك: «إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت». ألا و من أكله الحق فإلى الجنه. و من أكله الباطل فإلى النار، و ما استواؤنا فى الخوف و الرجاء فلست أمضى على الشكّ منى على اليقين، و ليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخره.

و أما قولك: «فإنّا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل»، فلعمرى إنّا بنو أب واحد، و لكن ليس أميه كهاشم، و لا حرب كعبد المطلب، و لا أبو سفيان كأبى طالب، و لا المهاجر كالطليق و لا الصريح كاللصيق، و لا المحقّ كالمبطل.

و لا المؤمن كالمدغل، و لبئس الخلف خلف يتّبع سلفا هوى فى نار جهنم.

و فى أيدينا بعد فضل النبوّه التى أذللنا بها العزيز، و أعززنا بها الذليل، و لما أدخل اللّه العرب فى دينه أفواجا، و أسلمت له هذه الأمه طوعا و كرها، كنتم ممّن دخل فى الدّين، إمّا رغبه و إمّا رهبه، على حين فاز أهل السبق بسبقهم و ذهب المهاجرون الأولون بفضلهم، فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا و لا على نفسك سبيلا و السّلام»(۱).

فلما قرأ معاويه كتاب الإمام، أخفاه.

ثم إن عمرو بن العاص ألحّ على معاويه حتى أطلعه على كتاب الإمام، فأثنى عمرو عليه، و أغضب ذلك معاويه.. فقال لعمرو عاتبا: «أردت تسفيه رأيى و إعظام علىّ! و قد فضحك» و كان عمرو يعظم عليّا لأنه بعد أن صرعه لم يجهز عليه بل أشاح عنه بوجهه و تركه ينجو. فقال عمرو: «أما إعظامى عليّا

۱- الفتوح - لابن أعثم: ج ۳، ص ۲۵۹.

فإنک بعظمته أشدّ معرفه منی، و لکنک تطوی ما تعرفه و أنا أنشره، و أما أنه فضحنی یوم صارعته، فلم یفتضح أمرا لقی أبا الحسن»(۱).

و بمقدار ما کان الإمام علیه السّلام علی یقین من أمره، کان أصحابه کذلک، فهذا «عمار بن یاسر» حینما انتصر مع الإمام علی عائشه فی معرکه الجمل جاءها معاتبا لها عمّا فعلت، فقالت له:

- «أ تری أنکم حین انتصرتم علینا کنتم علی حق و کنا علی باطل؟

فقال لها عمار:

- «و اللّه لو ضربتمونا حتی بلغتم بنا سعفات هجر: لعلمنا أنّا علی حق و أنکم علی باطل، و إن قتلانا فی الجنه، و إن قتلاکم فی النار».

فالقضیه بالنسبه إلیه لم تکن قضیه انتصار أو هزیمه فلو أنهم کانوا ینهزمون لکانوا علی ما هم علیه: یقین بلا حدود، و إیمان بلا دخل..

و کما کان عمار بن یاسر، کذلک کان الکثیرون من صحابه الإمام.. فمثلا حینما ذاع فی جند العراق أن معاویه یعد من

۱- علی إمام المتّقین: ج ۲، ص ۸۸.

ينضم إليهم منهم بـالغنى و الجـاه.. جـاء إلى عليّ فـارس من همـدان فقـال له: «يا أمير المؤمنين إن أقواما طلبوا من معاويه العطاء فأغدق عليهم، فباعوا الدين بالدنيا. و إنّا رضينا بالآخره من الدنيا، و بالعراق من الشام، و بك من معاويه.

يا أمير المؤمنين.. و اللّه لآخرتنا خير من دنياهم، و لعراقنا خير من شامهم، و لإمامنا أهدى من إمامهم، فاستفتحنا بالحرب، وثق منا بالنصر، و احملنا على الموت»(۱).

هؤلاء كانوا من الّذين وصفهم عليه السّلام بقوله:

- «إن من أحب عبـاد اللّه إليه عبـدا أعـانه اللّه على نفسه، فاستشـعر الحزن، و تجلبب الخوف، فزهر مصـباح الهـدى فى قلبه، أعدّ القرى ليومه النازل به، فقرّب على نفسه البعيـد، و هوّن الشديـد.. قـد أبعـد طريقه و سـلک سبيله، و عرف مناره، و قطع غماره، و استمسک من العرى بأوثقها، و من الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على ضوء الشمس»(۲).

ص:۸۵

۱- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۹۶.

۲- نهج البلاغه - الخطب ۸۷، و ربيع الأبرار - للزمخشرى - باب العزّ و الشرف.

الزهد

اشاره

ما من نبی من أنبياء اللّه العظام، إلّا و بشّر الناس بالآخره و دعاهم إلى العمل من أجلها.

و ما من صالح من الأولياء، إلّا و طلب منهم الزهد فی درجات هذه الدنيا. ليس لأن هنالك تناقضا بين الدنيا و الآخره، بل لأن الأولى خلقت للأخرى. و ليس لأن علينا أن نهمل حياتنا، بل لأن علينا أن نصلحها.. و لا صلاح للنفس إلّا بالزهد و التقوى، و الورع و الاجتهاد، و العفّه و السداد.

و بحق أقول لكم:

إن من يعرف حقيقه الدنيا، يزهد، لا محاله فيها.

و إن من يجهل حقيقتها، يتيّم - و لا شك - بها.

فمن عرف النهايه، زهد فی البدايه، و من تذكر الموت و البلى عمل الخير و الهدى، و شتّان ما بين من يعمل لآخراه، و بين من يعمل لدنياه.. و بين من انشغل بالصلاح، و من انشغل باللذّات، و بين من عبد اللّه، و من اتّخذ إلهه هواه..

ص:۸۶

و الحق فإن «الزهد شيمه المتّقين(۱) و هو أصل الدين»(۲) و «ثمرته»(۳) و «ينته»(۴) و هو «مفتاح الصلاح»(۵) فقد «جعل الخير كله فی بیت و جعل مفتاحه الزهد فی الدنیا»(۶). ف «الزهد ثروه»(۷) و «الزهد متجر رابح»(۸) و «مع الزهد یثمر الحکمه»(۹).

هـذا بالإضافه إلی أن «الزهـد فی الـدنیا: الراحه العظمی»(۱۰) لأن «الزهـد فی الـدنیا یریـح القلب، و البدن»(۱۱) بینمـا «الرغبه فی الدنیا تورث الغمّ و الحزن»(۱۲) فإن «من زهد فی الدنیا استهان بالمصیبات»(۱۳) و «أعتق نفسه و أرضی ربّه»(۱۴).

۱- غرر الحکم و درر الکلم.

۲- المصدر السابق.

۳- میزان الحکم: ج ۴، ص ۲۵۰.

۴- غرر الحکم و درر الکلم.

۵- المصدر السابق.

۶- بحار الأنوار: ج ۷۳، ص ۴۹.

۷- نهج البلاغه: الحکم ۴.

۸- مستدرک الوسائل: ج ۲، ص ۳۳۲.

۹- میزان الحکمه: ج ۴، ص ۲۶۳.

۱۰- کنز العمال: خ ۶۰۶۰.

۱۱- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۲۴۰.

۱۲- حلیه الأولیاء: ج ۱، ص ۷۴.

۱۳- غرر الحکم و درر الکلم.

۱۴- مستدرک الوسائل: ج ۲، ص ۳۳۳.

و لهذا كله فإنه «ما عبد اللّه بشيء، أفضل من الزهد فى الدنيا»(۱) ، و لذلک أیضا «ما اتخذ اللّه نبیّا إلاّ زاهدا»(۲).

***

موجبات الزهد

اشاره

ثم إن

أول موجبات الزهد: النظر إلى الآخره، و الاهتمام

بها

فإن «أصل الزهد حسن الرغبه فیما عند اللّه»(۳) ، فقد أوحى اللّه إلى موسى: «أن عبادى الصالحین زهدوا فیها (الدنیا) بقدر علمهم بی، و سائرهم من خلقی، رغبوا فیها بقدر جهلهم بی، و ما من أحد من خلقی عظّمها فقرّت عینه»(۴).

و هکذا فإن «زهد المرء فیما یفنی (من الدنیا) بقدر یقینه بها یبقی»(۵) و إلاّ «کیف یزهد فی الدنیا من لا یعرف قدر الآخره»(۶) ؟

***

و ثانی موجبات الزهد: تذکر الموت، و ما فیه من البلی.

فما قدر لذه تفنی، و نعیم یزول، و راحه یعقبها التعب، و شهوه تزول و ملک لا یبقی؟

۱- المصدر السابق.

۲- المصدر السابق.

۳- میزان الحکمه: ج ۴، ص ۲۵۵.

۴- بحار الأنوار: ج ۱۳، ص ۳۳۹.

۵- غرر الحکم و درر الکلم.

۶- المصدر السابق.

أن «من صور الموت بين عينيه، هان أمر الدنيا عليه»(۱) ،

و لـذلک ف «إن العقلاء زهدوا فی الدّنیا، و رغبوا فی الآخره، لأنّهم علموا أن الدنیا طالبه و مطلوبه، و أن الآخره طالبه و مطلوبه، فمن طلب الآخره طلبته الدنیا حتی یستوفی منها رزقه، و من طلب الدّنیا طلبته الآخره، فیأتیه الموت فیفسد علیه دنیاه و آخرته»(۲).

و لقد مرّ أحد الأولیاء علی قبر، فقال: «إنّ شیئا هذا آخره لحقیق أن یزهد فی أوّله. و إنّ شیئا هذا أوّله لحقیق أن یخاف آخره»(۳).

و ثالث موجبات الزهد: معرفه نواقص الدنیا،

فهی بقدر ما تنفع تضرّ، و هی بقدر ما تفرح تحزن، و هی بمقدار ما تعطی تأخذ، و هی بمقدار ما تعافی تمرض، و هی بمقدار ما تکون لک فهی علیک فإنّ «الدهر یومان، یوم لک و یوم علیک»(۴) ، و هی تنقلب علیک بینما أنت ترکن إلیها، و تفجعک بینما أنت فرح بها.

فإنما «مثل الدنیا، کمثل الحیّه لیّن مسّها، و السّم الناقع

۱- میزان الحکمه: ج ۴، ص ۲۵۶.

۲- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۳۰۱.

۳- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۳۲۰.

۴- تحف العقول - للحرانی: ص ۲۰۷.

فى جوفها، يهوى إليها الغرّ الجاهل، و يحذرها ذو اللّب العاقل»(۱).

و الحق «أن الـدنيا كالشبـكه تلتـف على مـن رغب فيهـا، و تتحرر عمّن أعرض عنها، فلاـ تمـل إليهـا بقلبـك، و لاـ تقبـل عليها بوجهك، فتوقعك فى شبكتها، و تلقيك فى هلكتها»(۲).

و هكذا فإن «.. متاع الدنيا حطام موبوء فتجنّبوا مرعاه..

قلعتهـا أحظى من طمأنينهـا، و بلغتهـا أزكى من ثروتهـا، حكـم على مكثر منهـا بالفـاقه، و أعين من غنى عنهـا بـالراحه، و من راقه زبرجهـا أعقبت نـاظريه كمهـا، و من استشـعر الشـغف بها ملأت ضـميره أشـجانا، لهن رقص على سويـداء قلبه، همّ يشـغله و همّ يحزنه، كذلك حتى يؤخذ بكظمه فيلقى بالفضاء منقطعا أبهراه، هينا على اللّه فناؤه و على الإخوان إلقاؤه»(۳).

ف «كم أكلت الأرض من عزيز جسـد و أنيق لون، كان فى الدنيا غذّى (يتغذّى) ترف. و ربيب شـرف، يتعلل بالسـرور فى ساعه حزنه، و يفزع إلى السـلوه إن مصيبه نزلت به... فبينما هو يضحك إلى الدنيا و تضحك الدنيا إليه فى ظل عيش غفول، إذ وطىء الدهر به حسكه (نبات فيه شوك قوى)، و نقضت الأيام

۱- الإرشاد - للمفيد: ص ۱۲۴.

۲- غرر الحكم و درر الكلم: ۱۱۷.

۳- نهج البلاغه: الحكم ۳۶۷.

قواه و نظرت إليه الحتوف من كثب... و إن الموت لغمرات.

هی أفظع من أن تستغرق بصفه أو تعتدل علی عقول أهل الدنيا»(۱).

و رابع موجبات الزهد: الانشغال بإصلاح النفس.

فمن عرف قدر نفسه، روّضها بالقناعه و الكفاف، و ترک الشهوات و الملذّات، و زکّاها بالانقطاع عن تلبيه سؤلها، و مقاومه طلباتها، و مجاهده رغباتها. فإن النفس غراره غداره، إلّا من أدبر عنها، و تحرّر من ربقتها..

***

و قد يسأل البعض: إذا كان الزهد مطلوبا فما هو؟ و أين يكون؟ و ما هی نتائجه؟

و الجواب: «إن الزهاده فی الدّنيا ليست بتحريم الحلال، و لا إضاعه المال، و لكنّ الزهاده فی الدنيا أن لا تكون بما فی يديك أوثق منك بما فی يد اللّه عزّ و جلّ»(۲).

ف «الزهاده قصر الأمل، و الشكر عند النعم، و التورّع عن المحارم(۳) و هو ترکک كل شیء يشغلک عن اللّه، من غير

۱- مطالب السؤول: ج ۱، ص ۱۰۰.
۲- كنز العمال: خ ۶۰۵۹.
۳- روضه الواعظين: ص ۴۳۴.

تأسّف على فوتها، و لا إعجاب فى تركها، و لا انتظار فرج منها، و لا طلب محمده عليها، و لا عوض منها»(۱).

و هكذا فإن «الزهد كلمه بين كلمتين من القرآن: قال اللّه تعالى: لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ (۲) «فمن لم يأس على الماضى، و لم يفرح بالآتى، فقد أخذ الزهد بطرفيه»(۳).

و لذلك فإن الإمام على عليه السّلام كان يوصى قائلا: يا بن آدم.. لا تأسف على مفقود لا يردّه إليك الفوت، و لا تفرح بموجود لا يتركه فى يديك الموت»(۴).

أما أين يكون الزهد، فأولا: فيما حرّم اللّه. و ثانيا: فى الزياده مما أحلّه اللّه.. فالزهد هو ترك الحرام مهما كانت لذّته، و منفعته.. ف «الزاهد فى الدنيا من لم يغلب الحرام صبره، و لم يشغل الحلال شكره(۵) فلا زهد كالزهد فى الحرام»(۶).

كما هو ترك الزائد من الحلال، فالزاهد هو «الذى يترك

ص:۹۲

۱- بحار الأنوار: ج ۷۰، ص ۳۱۵.

۲- سوره آل عمران، الآيه: ۱۵۳.

۳- البرهان فى تفسير القرآن: ج ۴، ص ۲۹۶.

۴- تنبيه الخواطر: ص ۳۵۵.

۵- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۳۷.

۶- البصائر و الذخائر: ص ۲۵.

حلالها (الدنیا) مخافه حسابه (اللّه تعالی)، و یترک حرامها مخافه عذابه»(۱).

و لقـد أوحی اللّه تعالی إلی نبیه لیله أسـری به فقال: «یا أحمـد.. إن أحببت أن تکون أورع الناس، فازهـد فی الدنیا، و ارغب فی الآخره». فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «یا إلهی کیف أزهد فی الدنیا و أرغب فی الآخره؟».

فقال تعالی: «خذ من الدنیا خفّا من الطعام و التراب و اللباس»(۲).

نتائج الزهد فی الآخره و الدنیا

أما ما هی نتائـج الزهـد، ففی الآخره ثواب اللّه العظیم، کما أن من نتائـج حبّ الدنیا، و ترک العمل للعقبی عقاب اللّه الألیم. فَأَمّا مَنْ طَغی (۳۷) وَ آثَرَ الْحَیاهَ الدُّنْیا (۳۸) فَإِنَّ الْجَحِیمَ هِیَ الْمَأْوی (۳۹) وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَی النَّفْسَ عَنِ الْهَوی (۴۰) فَإِنَّ الْجَنَّهَ هِیَ الْمَأْوی (۳).

و أما فی الـدّنیا فالزهد هو الطریق إلی الحق، و عباده اللّه تعالی. یقول الإمام علی علیه السّـلام: «العلم یرشدک إلی ما أمرک اللّه به، و الزهد یسهّل لک الطریق إلیه»(۴).

۱- میزان الحکمه: ج ۴، ص ۲۵۳.

۲- بحار الأنوار: ج ۷۷، ص ۲۲.

۳- سوره النازعات، الآیات: ۳۷-۴۱..

۴- غرر الحکم و درر الکلم.

و فی الحقیقه لا یمکن أن یری الإنسان نواقص الدنیا، و عیوبها إلّا إذا زهد فیها، فإن حبّ الشیء یعمی و یصمّ. یقول الإمام علیه السّلام: «ازهد فی الدنیا یبصّرک اللّه عوراتها»(۱).

فالحکمه، فی الفهم و العمل و الوعی، هی من نتائج الزهد ذلک أنه «ما زهد عبد فی الدنیا إلّا أنبت اللّه الحکمه فی قلبه، و أنطق بها لسانه، و یبصّره عیوب الدنیا، و داءها و دواءها، و أخرجه منها سالما إلی دار السّلام»(۲).

فمن یزهد فی الدنیا یتحرر من الشهوات و الرغبات و العقد النفسیه، و لن یتعصّب لباطل، و لا ینحاز لمعصیه، و لا یرغب فی مضرّه أحد.. و بذلک یری الحقیقه کما هی و تنبت الحکمه فی قلبه..

هذا بالإضافه إلی أنّ الزهد یجعل الإنسان نشیطا فی العمل الصالح، قویا فی تحمّل المکاره، خلوقا فی التعامل مع الناس، ملتزما بالعدل و الإنصاف، لأنه لا یرغب فی مصلحه حتی یظلم الآخرین من أجلها، و لا یخاف من مضره حتی یغدر للتخلّص منها..

۱- بحار الأنوار: ج ۷۰، ص ۳۱۹.

۲- بحار الأنوار: ج ۶۹، ص ۴۰۶.

فالزاهد «یختار الجهد علی الراحه، و الجوع علی الشبع و الذکر علی الغفله»(۱).

***

و لکل ما سبق، کان الإمام علی علیه السّلام زاهدا فی دنیاه، موصیا بنیه و أصحابه بالزهد، تارکا لملذات الحیاه، صابرا علی بلاء اللّه، طالبا أجر الآخره، محبّا للمساکین، صدیقا للفقراء، نشیطا فی العمل الصالح، راغبا عن حطام الدنیا.

لقد قال فیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «یا علی! إن اللّه تعالی قد زیّنک بزینه لم تزین العباد بزینه أحب إلی اللّه تعالی منها و هی زینه الأبرار عند اللّه عزّ و جلّ: الزهد فی الدنیا، فجعلک لا ترزأ (أی تصیب) من الدنیا شیئا و لا ترزأ منک الدنیا شیئا، و وهب لک حب المساکین، فجعلک ترضی عنهم أتباعا و یرضونک إماما، فطوبی لمن أحبّک و صدق فیک، و ویل لمن أبغضک و کذب علیک. فأما الّذین أحبوک و صدقوا فیک فهم (فی الآخره) جیرانک فی دارک و رفقاؤک فی قصرک، و أما الّذین أبغضوک و کذّبوا علیک فحق علی اللّه أن یوقفهم موقف الکذابین»(۲).

۱- بحار الأنوار: ج ۷۰، ص ۳۱۵.

۲- بحار الأنوار: ج ۴۰، ص ۳۳۰.

فکان الإمام ینظر إلی الدنیا من منظور الآخره، و هو القائل: «و اللّه، لدنیاکم هذه، أهون فی عینی من عراق خنزیر فی ید مجذوم»(۱).

و لقد کان لزهده علیه السّلام سته أبعاد..

اشاره

البعد الأول: الزهد للبساطه فی الحیاه.

البعد الثانی: الزهد لترویض النفس.

البعد الثالث: الزهد للتأسّی بالفقراء و المساکین.

البعد الرابع: الزهد للعطاء للآخرین.

البعد الخامس: الزهد لرفض الترف و السلطان و الأبّهه و الجلال.

البعد السادس: الزهد للالتزام بالعدل.

***

ففی البعد الأول، و هو الزهد للبساطه فی الحیاه.

کان الإمام حریصا علی أن یعیش علی الکفاف، فی المأکل و الملبس و کل شؤون الحیاه، ففی المدینه المنوّره حیث بویع بالخلافه کان مسجد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مقرّ حکومته، و بیته المتواضع مسکنه، لم یغیر و لم یبدّل. و فی الکوفه رفض السکنی فی دار الإماره، بل بنی إلی جنبها بیتا متواضعا. من

۱- نهج البلاغه: الحکم ۲۳۶.

ثلاث غرف، و سكن فيه، و لا تزال آثار قصر الإماره الضخم، و آثار بيته المتواضع إلى جنبه، موجوده فى الكوفه..

و كانت فلسفته فى ذلك: «و ما أصنع بفدك، و غير فدك، و النفس مظانها فى غد جدث (قبر) تنقطع فى ظلمته آثارها، و تغيب أخبارها، و حفره لو زيد فى فسحتها، و أوسعت يدا حافرها، لأضغطها الحجر، و المدر، و سدّ فرجها التراب المتراكم؟»(۱).

و لقد حكم الناس خمس سنين ما وضع آجره على آجره و لا لبنه على لبنه، و لا قصبه على قصبه، و لا أورث بيضاء، و لا حمراء، إلّا سبعمائه درهم فضلت من عطائه، أراد أن يبتاع بها لأهله خادما، و ما أطاق عمله منّا أحد، و إن كان علىّ بن الحسين عليه السّلام لينظر فى كتاب من كتب علىّ عليه السّلام فيضرب به الأرض و يقول: من يطيق هذا؟(۲).

و من كان يطيق أن يفترش الأرض و يلتحف السماء، و يأكل من الطعام ما جشب، و يلبس من اللباس ما خشن و هو أمير المؤمنين؟

و من قبل ذلك أيضا، عاش الزهد و هو فى ريعان

۱- روضه الواعظين: ص ۱۲۷.

۲- الأمالى - للصدوق: ص ۷۳.

الشباب، فحينما تزوج بفاطمه فی لیله زفافه جاء بالرّمل فأفرش به غرفته(۱). أما فراشه فکان کما قال: «ما کان لنا إلّا إهاب کبش (الجلد غیر المدبوغ) أبیت مع فاطمه باللیل، و نعلف علیها الناضح (البعیر لیستقی علیه) بالنهار»(۲).

«و کان أحیانا لا یجد عملا یقتات منه إلّا أن یملأ الدلو فی بستان أحد الأغنیاء من یهود المدینه، لیروی به البستان، و کان الیهودی یعطیه فی کل دلو تمره، فیعود إلی فاطمه بتمر یطعمها هی و أولادهما، و ربما أهدی منه الرسول، إذا أصابته علیه الصلاه و السّلام خصاصه.. و لکم کانت تصیبه!!..

هکذا کان یُؤْتِی مالَهُ یَتَزَکّی (۱۸) وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَهٍ تُجْزی (۱۹) إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلی (۲۰) وَ لَسَوْفَ یَرْضی (۳) و فی الحق أنه کان عند ربه مرضیا»(۴).

ثم إنه علیه السّلام «ما شبع من طعام قط، و کان أخشن الناس أداما و ملبسا»(۵).

و ما ذا کان طعامه؟ و ما ذا کان ملبسه؟

۱- السبیل إلی إنهاض المسلمین: ص ۴۳۶.

۲- المصدر السابق.

۳- سوره اللیل، الآیات: ۱۸-۲۱.

۴- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۲۰.

۵- السبیل إلی إنهاض المسلمین: ص ۴۳۷.

روی النضر بن منصور، عن عقبه بن علقمه قال: دخلت علی علی علیه السّلام فإذا بین یدیه لبن حامض آذتنی حموضته و کسره یابسه.

فقلت: «یا أمیر المؤمنین أ تأکل مثل هذا؟!»

فقال لی: «یا أبا الجنوب کان رسول اللّه یأکل أیبس من هذا، و یلبس أخشن من هذا (و أشار إلی ثیابه) و أخاف إن لم آخذ بما أخذ به، أن لا ألحق به»(۱).

.. و زاره رجل من أصحابه فطلب الطعام، و لم یکن أمیر المؤمنین موجودا فأخرج إلیه أبناؤه قصعه فیها مرق بحبوب.

فقال: «تطعمون هذا و أنتم أمراء الناس»؟.

قالوا: «کیف لو رأیت طعام أمیر المؤمنین»!؟(۲).

و قال عبد اللّه بن أبی رافع «دخلت إلیه یوم عید فقدّم جرابا مختوما فوجدنا فیه خبز شعیر یابسا مرصوصا، فقدّم فأکل، فقلت: یا أمیر المؤمنین فکیف تختمه؟ قال أما إنّی لا أختمه بخلا به، و لکنی خفت هذین الولدین أن یلتاه بسمن أو زیت».

و کان ثوبه مرقوعا بجلد تاره و بلیف أخری، و نعلاه من

۱- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۱۳۷.
۲- علی إمام المتّقین: ج ۲، ص ۲۹۸.

ليف، و كان يلبس الكرابيس الغليظه فإذا وجد كمّه طويلا قطعه بشفره فلم يخطه، فكان لا يزال متساقطا على ذراعيه حتّى يبقى سدى لا لحمه له.

كان يأتدم إذا ائتدم بخلّ أو بملح، فإن ترقّى عن ذلك فببعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل، و لا يأكل اللّحم إلاّ قليلا و يقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر للحيوانات.

و كان مع ذلك أشدّ الناس قوّه و أعظمهم يدا، لم ينقص الجوع قوّته و لم يخور الإقلال منّته و هو الذى طلّق الدنيا و كانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلاّ من الشام فكان يفرّقها و يمزّقها ثم يقول:

هذا جناى و خياره فيه إذ كلّ جان يده إلى فيه(۱)

و كان عليه السّلام لا يأكل من الأموال التى تجبى إليه من العراق، بل مما يؤتى به من الحجاز، حيث كانت له مزارع زرعها بيده(۲).

و روى «أنه كانت له بالكوفه امرأتان، فإذا كان يوم هذه اشترى لحما بنصف درهم، و إذا كان يوم هذه اشترى لحما

۱- شرح نهج البلاغه: ج ۱، ص ۸.

۲- بحار الأنوار: ج ۴۰، ص ۳۲۵.

بنصف درهم. و كان ينفق هذه النفقه من شيء يأتيه من الحجاز»(۱).

أمّا عن بساطه ثيابه فقد روى أنه «رأوه يحمل تمرا فی ردائه، فقيل له: أعطنا نحمل عنك. فقال: و من يحمل عنی أوزاری يوم القيامه؟. فانطلق للبيت، ثم رجع مرتديا الشمله ذاتها، و فيها قشور التمر، فصلّى بالناس فيها الجمعه»(۲).

و كان يرقّع ثوبه عند ولده الحسن عليه السّلام و قد قال كلمته الشهيره: «و اللّه لقد رقعت مدرعتی هذه حتی استحييت من راقعها و لقد قال لی قائل: أ لا تنبذها؟ فقلت: اغرب عنّی!.

فعند الصباح يحمد القوم السری»(۳).

و قيل له: «لم ترقّع ثوبك؟

فقال: ليخشع القلب، و يقتدی به المؤمنون»(۴).

و روی: أنه عليه السّلام كان يطوف الأسواق بإزار، مرتديا برداء، و معه الدّره، كأنه أعرابی، فطاف مره حتی بلغ سوق الكرابيس، فاشتری من غلام كان هناك قميصا بثلاثه دراهم،

۱- علی إمام المتّقين: ج ۲، ص ۴۰.
۲- شرح نهج البلاغه: ج ۱، ص ۸.
۳- السبيل إلی إنهاض المسلمين: ص ۴۳۵.
۴- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۱۶۱.

فلما جاء أبوه، و عرف أن ولده باع أمير المؤمنين القميص بثلاثه دراهم، جاء إليه عليه السّلام ليدفع له درهما، فقال الإمام «ما هذا»؟

قال الرجل: يا مولای.. إن القميص الذی باعک ابنی کان یساوی درهمین.

فلم يأخذ الإمام الدرهم، و قال: «باعنی برضای، و أخذ برضاه»(۱).

أمير المؤمنين، و قائد المسلمين، يلبس ثوبا بثلاثه دراهم، و ذلک حینما کانت الأمبراطوریتان الثریتان: الرومانیه، و الفارسیه قد سقطت بأیدی المسلمین، و کان کثیر من الصحابه و التابعین، قد اغتروا بالمال و الثراء، و کانت تجبی إلی الإمام الملایین.. غیر أنه یرفض ترک البساطه فی الحیاه، و یعتبرها قیمه من القیم.. و یقول: «ألا و إن لکلّ مأموم إماما یقتدی به و یستضیء بنور علمه، ألا و إنّ إمامکم قد اکتفی من دنیاه بطمریه، و من طعمه بقرصیه، ألا و إنّکم لا تقدرون علی ذلک، و لکن أعینونی بورع و اجتهاد، و عفّه و سداد، فو اللّه ما کنزت من دنیاکم تبرا، و لا ادّخرت من غنائمها وفرا و لا أعددت لبالی ثوبی طمرا، و لا حزت من أرضها شبرا، و لا أخذت منه

۱- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۱۶۱.

إلّا كقوت أتان دبره (التی قرح ظهرها) و لهی فی عینی أوهی و أهون من عفصه مقره»(۱).

لقد كان زهد الإمام، زهد الحاكم المقتدر، لا زهد المحكوم العاجز، فلو شاء لعاش - علی الأقل - كسائر الناس، و ليس بشكل هم لا يقدرون علی ما هو عليه: مجرد طمرين، و مجرد قرصين، و لا شبر من الأرض، و لا ادخار درهم أو دينار..

و حقا فإن الإمام عليه السّلام كان يری البساطه مغنما، و القناعه كنزا، و عيش الكفاف فخرا و اعتزازا.

و ملخّص فلسفته فی رفض الزياده علی الكفاف أنه «من رضی من الدّنيا بما يجزيه كان أيسر ما فيها يكفيه، و من لم يرض من الدّنيا بما يجزيه لم يكن فيها شیء يكفيه»(۲).

أما البعد الثانی فی زهد الإمام، فهو الزهد لترويض

النفس، و مجانبه الهوی، و مقاومه الشهوات و تزكيه الذات.

فالإمام كان بشرا، تتوق نفسه إلی المسكن الهنیء، و المطعم الشهی و المركوب البهی، و الزوج المرضی، و لكنه كان يزهد فيها جميعا لكسب الأجر، فما من أجر كمثل أجر نهی النفس

۱- ربيع الأبرار: ص ۲۱۶.

۲- الكافی: ج ۲، ص ۱۴۰.

عن الهوی.. و قد روی فی ذلک أنه أهدی إلی علی علیه السّلام و فاطمه بعض الفالوذج، فأطعما أولادهما و لم یطعما منه، و قال علی، و قد وضعه أمامه: «إنک طیب الریح، حسن اللون، طیب الطعم، و لکنی أکره أن أعوّد نفسی ما لم تعتده»(۱).

إنّه یرید ترویض نفسه، و هو القائل: «و إنما هی نفسی أروّضها بالتقوی لتأتی آمنه یوم الخوف الأکبر، و تثبت علی جوانب المزلق و لو شئت لاهتدیت الطریق إلی مصفّی هذا العسل، و لباب هذا القمح و نسائج هذا القزّ، و لکن هیهات أن یغلبنی هوای و یقودنی جشعی إلی تخیّر الأطعمه... فما خلقت لیشغلنی أکل الطیّبات کالبهیمه المربوطه همّها علفها، أو المرسله شغلها تقمّمها، تکترش من أعلافها و تلهو عمّا یراد بها، أو أترک سدیً، أو أهمل عابثا، أو أجرّ بحبل الضلاله، أو أعتسف طریق المتاهه.

و کأنّی بقائلکم یقول: إذا کان هذا قوت ابن أبی طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران و منازله الشجعان.

ألا و إنّ الشجره البرّیه أصلب عودا، و الرواتع الخضره أرقّ جلودا، و النباتات البدویه أقوی وقودا و أبطأ خمودا.

۱- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۹۱.

و أنا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كالصنو من الصنو و الذراع من العضد، و اللّه لو تظاهرت العرب على قتالى لما ولّيت عنها، و لو أمكنت الفرصه من رقابها لسارعت إليها، و سأجهد فى أن أطهّر الأرض من هذا الشخص المعكوس و الجسم المركوس حتى تخرج المدره من بين حبّ الحصيد.

إليك عنّى يا دنيا فحبلك على غاربك، قد انسللت من مخالبك، و أفلت من حبائلك، و اجتنبت الذهاب فى مداحضك.

أين القرون الّذين غررتهم بمداعبك؟

أين الأمم الّذين فتنتهم بزخارفك؟ ها هم رهائن القبور و مضامين اللحود.

و اللّه لو كنت شخصا مرئيّا و قالبا حسّيا لأقمت عليك حدود اللّه فى عباد غررتهم بالأمانىّ، و أمم ألقيتهم فى المهاوى، و ملوك أسلمتهم إلى التلف، و أوردتهم موارد البلاء، إذ لا ورد و لا صدر.

هيهات من وطأ دحضك زلق و من ركب لججك غرق، و من ازورّ عن حبالك وفّق، و السالم منك لا يبالى إن ضاق به مناخه، و الدنيا عنده كيوم حان انسلاخه.

ص:۱۰۵

اعزبی عنّی فو اللّه لا أذلّ لک فتستذلّینی، و لا أسلس لک فتقودینی.

و أیم اللّه یمینا - أستثنی فیها بمشیئه اللّه - لأروضنّ نفسی ریاضه تهشّ معها إلی القرص، إذا قدرت علیه، مطعوما، و تقنع بالملح مأدوما و لأدعنّ مقلتی کعین ماء نضب معینها، مستفرغه دموعها.

أ تمتلئ السائمه من رعیها فتبرک؟ و تشبع الربیضه من عشبها فتربض؟ و یأکل علیّ من زاده فیهجع!؟ قرّت إذن عینه، إذا اقتدی بعد السنین المتطاوله بالبهیمه الهامله و السائمه المرعیّه.

طوبی لنفس أدّت إلی ربّها فرضها، و عرکت بجنبها بؤسها، و هجرت فی اللیل غمضها حتّی إذا غلب الکری علیها افترشت أرضها، و توسّدت کفّها، فی معشر أسهر عیونهم خوف معادهم، و تجافت عن مضاجعهم جنوبهم، و همهمت بذکر ربّهم شفاههم، و تقشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم، أولئک حزب اللّه، إلا أن حزب اللّه هم المفلحون»(۱).

و هکذا فإنه علیه السّلام «کان یری الزهد مکسبا للأجر، و مربحا للثواب، و طریقا إلی الجنه، بینما الترف، و التکاثر موجبا

۱- روضه الواعظین: ص ۱۲۷.

للضلال، و الطغيان، و هما يجرّان إلى النار.. فكان يروّض نفسه ليحيى قلبه، و يرى أن كثره الطعام تميت القلب، كما تميت كثره الماء الزرع»(۱).

و كان عليه السّلام يريد الثواب، لا الحطام، و الجنه لا الدنيا، و رضى اللّه تعالى لا الراحه فى الحياه. و لقد سأله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوما فقال:

«يا على! كيف أنت إذا زهد الناس فى الآخره، رغبوا فى الدنيا، و أكلوا التراث أكلا لمّا، و أحبوا المال حبا جمّا»؟

فقال على عليه السّلام: «أتركهم و ما اختاروا، و أختار اللّه و رسوله و الدار الآخره، و أصبر على مصيبات الدنيا و بلواها حتى ألحق بك إن شاء اللّه تعالى».

فقال الرسول: «صدقت. اللّهمّ افعل ذلك به»(۲).

و كان يوصى أصحابه فيقول:

«رحم اللّه رجلا نزع عن شهوته، و قمع هوى نفسه، فإن هذه النفس أبعد شىء منزعا، و إنها لا تزال تسرع إلى معصيه فى هوى، إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يقول: «إن الجنه حفّت بالمكاره، و إن النار حفّت بالشهوات»(۳).

۱- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۳۰۱.
۲- المصدر السابق: ج ۱، ص ۳۹.
۳- تفسير العياشى: ج ۲، ص ۲۶۲.

«التقى من ألزم نفسه العدل، فكان أول عدّته نفى الهوى عن نفسه».

«من لجّ قلبه بحب الدنيا التاط (التصق) قلبه بثلاثه: هم لا يبرحه، و حرص لا يتركه، و أمل لا يدركه»(۱)..

«عباد اللّه، زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، و حاسبوها قبل أن تحاسبوا، و تنفسوا قبل ضيق الخناق، و انقادوا قبل عنف السياق (انقادوا لما يطلب منكم قبل أن تساقوا إليه بالعنف) و اعلموا أنه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ و زاجر: لم يكن من غيرها زاجر و لا واعظ».

«اتقوا اللّه تقيه ذى لب شغل التفكير قلبه، و أنصب الخوف بدنه، و أسهر التهجّد غرار نومه، و أرجف الذكر بلسانه».

«اتقوا تقيه من سمع فخشع. و اقترف فاعترف. و وجل فعمل، و رجع فتاب، و اقتدى فاحتذى»(۲).

و هكذا، فإن الزهد عند الإمام كان لقمع الهوى، و كسب الأجر، و خفه الحساب يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

أ ليس فى حلال الدنيا حساب؟ و فى حرامها عقاب؟ فلم لا يزهد فيها؟

۱- بحار الأنوار: ج ۷۳، ص ۶۳۰.
۲- النهايه: ج ۲، ص ۳۴۵.

ثم لماذا الاستزاده، و الحرص، و جمع الأموال؟

يقول عليه السّلام: «يا بن آدم، لا تحمل همّ يومك الذی لم يأت علی يومك الذی قد أتاك، فإنّه إن يك من عمرك يأت اللّه فيه برزقك... و اعلم أنك لا تكسب من المال شيئا فوق قوّتك و إلّا كنت خازنا لغيرك فيه»(۱).

***

لقد كان يجوّع نفسه متعمدا ليعلّمها القناعه، و يروّضها علی طاعه اللّه، و يخشی إن لم يفعل ذلك أن يكون قد عصی اللّه تعالی.

و قد روی فی ذلك أن عدی بن حاتم رآه، و بين يديه قراح ماء و كسرات خبز شعير و ملح فقال: إنی لا أری لك يا أمير المؤمنين لتظل نهارك طاويا مجاهدا، و بالليل ساهرا مكابدا، ثم يكون هذا فطورك؟ فقال عليه السّلام شعرا:

علّم النفس بالقنوع و إلّا طلبت منك فوق ما يكفيها(۲)

و روی أيضا «أنه ترصّد عمرو بن حريث غذائه فأتی له بجراب مختوم فأخرج منه خبزا متغيرا خشنا، فقال عمرو لخادمته: يا فلانه لو نخلت هذا الدقيق و طيّبته؟

۱- عيون الأخبار: ج ۲، ص ۳۷۱.

۲- السبيل إلی إنهاض المسلمين: ص ۴۳۶.

قالت: كنت أفعل فنهانی، و كنت أضع فی جرابه طعاما طيبا فختم جرابه.

ثم إن أمير المؤمنين فتّه فی قصعه و صبّ عليه الماء، ثم ذرّ عليه الملح و أكل..

فلما فرغ من الأكل توجّه إلى عمرو قائلا: «لقد خانت هذه (و أشار إلى لحيته) و خسرت هذه، إن أدخلتها النار من أجل الطعام، و هذا يجزينی»(۱).

و الحق أنه عليه السّلام كان يريد النقص فی دنياه، و كان يرى فی ذلك كمالا.. و هو الذی قال:

«اعلموا أن ما نقص فی الدنيا و زاد فی الآخره خير مما نقص فی الآخره و زاد فی الدنيا، فكم من منقوص رابح و مزيد خاسر؟

إن الذی أمرتم به أوسع من الذی نهيتم عنه، فذروا ما قلّ لما كثر، و ما أحلّ لكم أكثر مما حرّم عليكم، و ذروا ما ضاق لما اتسع، فاللّه قد تكفّل لكم بالرزق و أمركم بالعمل. فلا يكونن المضمون لكم طلبه أولى بكم من المفروض عليكم عمله.. فبادروا العمل، و خافوا بغته الأجل، فإنه لا يرجى من رجعه العمر ما يرجى من رجعه الرزق، ما فات من الرزق

۱- المصدر السابق.

يرجى غدا زيادته، و ما فات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعته. الرجاء مع الجائى (ما سيجىء)، و اليأس مع الماضى، فاتقوا اللّه حق تقاته و لا تموتنّ إلاّ و أنتم مسلمون»(۱).

و بمقدار ما كان عليه السّلام زاهدا فى الدنيا، كان عليه السّلام شديد الإلحاح على الناس فى دعوته للزهد، فحتى الصغار كان يوصيهم بالزهد، كما يوصيهم بالتقوى و العباده..

من ذلک ما رواه الحسن البصرى فقال: «كنت جالسا بالبصره - و أنا حينئذ غلام - أتطهّر للصلاه، إذ مرّ بى رجل راكب بغله شهباء معتمّ بعمامه سوداء، فقال لى: «يا حسن! أحسن وضوءك يحسن اللّه إليک فى الدنيا و الآخره. يا حسن! أما علمت أن الصلاه مكيال و ميزان»؟

فرفعت رأسى فتأملت فإذا هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام، فأسرعت فى طهورى، و جعلت أقفو أثره إذ حانت منه التفاته.

فقال لى: «يا غلام أ لک حاجه»؟

قلت: «نعم يا أمير المؤمنين. تفيدنى كلاما ينفعنى فى الدنيا و الآخره».

۱- تحف العقول: ص ۱۵۶.

قال: «یا غلام إنه من صدق اللّه نجا، و من أشفق من ذنبه أمن الردی، و من زهد فی هذه الدنیا قرّت عیناه بما یری من ثواب اللّه غدا». ثم قال: «یا غلام أ لا أزیدک»؟

قال: «بلی یا أمیر المؤمنین».

قال: «إن سرّک أن تلقی اللّه غدا و هو عنک راض فکن فی هذه الدنیا زاهدا و فی الآخره راغبا، و علیک بالصدق فی جمیع أمورک تنج مع الناجین غدا، یا غلام إن تضع هذا الکلام نصب عینیک، ینفعک اللّه به».

ثم أطلق عنان البغله من یده، فجعلت أقفو أثره، إذ دخل سوقا من أسواق البصره، فسمعته یقول: «یا أهل البصره یا أهل تدمر، یا عبید الدنیا و عمّال أهلها، إذا کنتم بالنهار تخدمون الدنیا، و فی اللیل تنامون، و فی خلال ذلک عن الآخره تغفلون، فمتی تحرزون الزاد، و تفکرون فی المعاد»؟

فقام إلیه رجل من السوق فقال: «یا أمیر المؤمنین إنه لا بد من طلب المعاش فکیف نصنع»؟.

فقال: «أیها الرجل إن طلب المعاش من وجهه الحلال لا یشغلک عن الآخره، فإن قلت لا بد لنا من الاحتکار، لم تکن معذورا». فتولّی الرجل و هو یبکی.

فقال أمیر المؤمنین: «أقبل علیّ یا ذا الرجل أزدک تبیانا،

إنه لا بد لكل عامل من أن يوفّ يوم القيامه أجر عمله، فمن كان عمله للدنيا وحدها، فأجره النار»(۱).

***

البعد الثالث لزهد الإمام، هو الزهد للتأسّی بالفقراء

و المساکین،

فکثیرا ما کان الإمام یرفض مطعما معینا، أو مرکبا معیّنا، أو ملبسا معیّنا لأن بعض أفراد الأمّه لا یملک مثله..

و التأسّی عند الإمام، أصل من أصول الأخلاق، خاصه عند ما کان أمیرا للمؤمنین، فکان یری الزهد فیما لا یملکه الآخرون واجبا علیه باعتباره أمیرا لهم، فلا بدّ أن یعیش کأضعفهم..

یقول علیه السّلام: «و لو شئت لا هتدیت الطریق إلی مصفّی هذا العسل، و لباب هذا القمح، و نسائج هذا القزّ، و لکن هیهات أن یغلبنی هوای، و یقودنی جشعی إلی تخیّر الأطعمه و لعلّ بالحجاز أو الیمامه من لا طمع له فی القرص و لا عهد له بالشبع.

أو أبیت مبطانا و حولی بطون غرثی و أکباد حرّی؟، أو أکون کما قال القائل:

و حسبک داء أن تبیت ببطنه و حولک أکباد تحنّ إلی القدّ

ص:۱۱۳

۱- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۲۹۱-۲۹۲.

أ أقنع من نفسی بأن یقال: أمیر المؤمنین، و لا أشارکهم فی مکاره الدهر؟ أو أکون أسوه لهم فی جشوبه العیش؟!(۱).

فعلیّ إمام المساکین یضرب لهم مثلا فی الصبر و الاحتمال و یعیش کأحدهم، فهو زاهد ناسک، یحب من اللباس ما قصر و من الطعام ما خشن، فإن شعر بزهوّ یتسلل إلی نفسه قمعه بإذلال باطنه للّه، و اخشیشان ظاهره للناس، فهو کما قال عنه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «مخشوشن فی اللّه»!.

یقول أحد أصحابه: «دخلت علی أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب بالخورنق، و هو یرعد تحت سمل بالی فقلت له:

- «یا أمیر المؤمنین، إن اللّه تعالی قد جعل لک، و لأهل بیتک فی هذا المال ما یعمّ، و أنت تصنع بنفسک ما تصنع؟!

فقال: «و اللّه، ما أرزأکم من أموالکم شیئا، و إن هذه لقطیفتی التی خرجت بها من منزلی من المدینه، و ما عندی غیرها»(۲).

و الحق، أن الإمام لم یکن لیکتفی أن یکون کأحد المسلمین، و یعیش مثلهم فحسب، بل عاش أنزل منهم درجه، و أقلّ من أضعف من فیهم..

و فی ذلک روی:

۱- نهج البلاغه: الکتب ۴۵.

۲- کشف الغمّه: ص ۴۹.

«أنّه أتى البزّازين فقال لرجل: بعنى ثوبين.. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين عندى حاجتك، فلمّا عرفه مضى عنه، فوقف على غلام فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثه دراهم و الآخر بدرهمين.

فقال: يا قنبر خذ الّذى بثلاثه.

فقال قنبر: أنت أولى به، تصعد المنبر و تخطب الناس.

فقال: و أنت شابّ و لك شره الشباب، و أنا أستحيى من ربّى أن أتفضّل عليك، سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: «ألبسوهم ممّا تلبسون و أطعموهم ممّا تأكلون». فأخذ قنبر الثوب الذى بثلاثه دراهم و أخذ على الذى بدرهمين.

فلمّا لبس القميص مدّ كمّ القميص فأمر بقطعه و اتّخاذه قلانس للفقراء:

فقال الغلام: هلمّ أكفّه (أى أخيطه لك)، فقال: دعه كما هو، فإنّ الأمر أسرع من ذلك:

فجاء أبو الغلام فقال: إنّ ابنى لم يعرفك، و هذان درهمان ربحهما فقال عليه السّلام: ما كنت لأفعل، قد ماكست و ماكسنى و اتّفقنا على رضى»(۱).

كل ذلك يفعله بنفسه، فى الوقت الذى لو اتخذ أحسن

۱- مناقب آل أبى طالب: ج ۱، ص ۳۰۵.

ملبس و مأكل لم يكن يعترض عليه أحد، بل كثيرا ما كان البعض يطالبه بذلك، خاصه و أنّ الّذين عاصروه كانوا هم قد تزاحموا على الثراء، و المناصب و الجاه و الراحه..

«و لقد تحدّث إليه بعض الّذين لحقوا به من أتقياء أهل الشام و قرائهم عن بذخ معاويه، و عن إغداقه على من يصطنعهم.. فزعموا أن على مائده معاويه عشره أصناف من الحلوى وحدها، و أنه يرتدى كل يوم حلّتين، و قد اتّخذ لسيفه مقبضا من ذهب، و ما هو إلاّ أحد الولاه، فما بال أمير المؤمنين لا يملك غير إزار قصير، من غزل أهل بيته، لا يغطّى إلاّ نصف ساقه؟! و ما بال طعامه أخشن طعام، و ما باله يحمل سيفه على حبل من ليف، و قد اتّخذ من حصير المسجد سرير ملكه»؟!.

فضحك الإمام و قال لهم: «أما و اللّه ما أحبّ الفقر، و لو تمثّل لى الفقر رجلا لقتلته. و لكنى و اللّه لا أرزأ من أموالكم شيئا».

و لاحظ أحد الحاضرين أن أمير المؤمنين ليس عليه ما يكفى من الثياب فسأله: «يا أمير المؤمنين ألم يجعل اللّه لك و لأهل بيتك فى هذا المال نصيبا»؟.

فتبسّم قائلا: «إن مسّ الحصير كان يوجع جنب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و ما شبع هو و أهله من طعام قط و قد حيزت له

الدنيا و ما فيها، و أنا على سنّته.. و لقد سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: لا يحلّ للخليفه من بعدى من مال اللّه إلاّ قصعه يأكلها هو و أهله، و قصعه يتصدّق بها، و حلّه للصيف و حلّه للشتاء! على أنى أعيش على ما يأتينى من ينبع، و أستغنى به عن بيت المال»(۱).

***

البعد الرابع من زهد الإمام، زهد للعطاء للآخرين..

فلكم عاش من دون أن يملك شيئا لأنه أعطى ما يملك لغيره؟ و لكم انشغل عن إسعاد نفسه بإسعاد الآخرين؟ و لكم شعر فى أعماق نفسه بالرضا كلّما أمكنه أن يسدّ حاجه لمحتاج، و لو بكلّ ما عنده، واثقا بما عند اللّه تعالى؟

و لعمرى، إن ذلك هو زهد العارف باللّه، المتّقى له، الراغب فى ثوابه..

كان يرى أنّ المساكين الذين ارتضوه إماما، إذا انقطعت بهم أسباب الرزق لعلّه، أو نحوها، فإنّ عليه دون غيره أن يكفيهم مطالب الحياه، و أن يوفّر لهم المقام الكريم فى هذه الدنيا، فكان لا يكتفى بالعدل، بل يعطى من نفسه، و من حصته لكل

۱- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۲۷-۲۸.

محتاج، حتی یضطرّ إلی بیع سیفه، ذلک السیف العظیم الذی قام علیه الإسلام، و عبد به اللّه، و انتصر به المؤمنون فی الأرض.

فقد روی أنه علیه السّلام عرض ذات مرّه سیفه علی البیع قائلا:

«من یشتری سیفی هذا»؟!

ثم سمعوه یقول: «فو اللّه لو کان عندی ثمن عشاء ما بعته»!

و مرّه أخری عرض سیفه للبیع قائلا: «من یشتری سیفی هذا»؟.

ثم سمعوه یقول: «و لو کان عندی ثمن إزار ما بعته»(۱)!

و روی «أن کمّه، لم یکن یتجاوز أصابعه، و یقول:

«للکمّین علی الیدین فضل». و قد نظر ذات یوم إلی فقیر انخرق کمّ قمیصه، فخرق الإمام کمّه، و ألقاه إلیه(۲)!

لقد أعطی کل ما عنده للناس و لم یبق لنفسه شیئا..

و قال:

- «معاشر الناس: إنی تقلّدت أمرکم هذا فو اللّه ما حبست منه بقلیل و لا کثیر إلاّ قاروره من دهن أهداها إلیّ دهقان»(۳).

۱- مناقب آل أبی طالب: ج ۱، ص ۳۰۵.

۲- انظر: مسند أحمد..

۳- نهج السعاده - للمحمودی: ج ۱، ص ۴۱۳.

و عباره «ما حبست»، تعنی أنه أعطی کل شیء لهم، إلّا قاروره واحده!

و ما ادّخر هو شیئا فوق قوّته، بل إنّه کان یتصدّق بقوته إن سأله جائع، أو محروم.

ذات یوم و هو یصلّی فی المسجد، سأله سائل، فلم یخرج من الصلاه، و لم ینتظر حتی یفرغ منها، بل مدّ یده للسائل و فیها خاتمه، و ما کان یملک غیره، فخلعه السائل من إصبعه.

و مضی لسبیله، و أکمل الإمام صلاته راضیا مرضیا، و أنزل اللّه تعالی قوله: إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاهَ وَ هُمْ راكِعُونَ (۱).

***

البعد الخامس من زهد الإمام: زهده لرفض الترف

و السلطان و الأبّهه و الجلال..

و هو زهد ذو شقّین:

الأول: الزهد لرفض الترف، بکل أشکاله.

الثانی: زهده فی السلطه و مظاهرها المختلفه.

ففی الشق الأول: یقول علیه السّلام: «انظروا إلی الدنیا نظر الزاهدین فیها، الصادفین عنها، فإنّها و اللّه، عمّا قلیل تزیل الثاوی الساکن، و تفجع المترف الآمن، و جلد الرجال فیها إلی

۱- سوره المائده، الآیه: ۵۵.

الضعف و الوهن، فلا تغرّنكم كثره ما يعجبكم فيها، لقلّه ما يصحبكم منها»(۱).

و يقول عليه السّلام: «إيّاك أن تغترّ بها ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها، و تكالبهم عليها فقد نبأك اللّه عنها لك نفسها و تكشفت لك عن مساوئها فإنما أهلها كلاب عاويه، و سباع ضاريه، يهرّ بعضها بعضا»(۲).

و يقول: «التكاثر لهو و لعب و شغل، و استبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير»(۳).

و يخاطب معاويه قائلا: «فإنّك مترف قد أخذ الشيطان منك مأخذه، و بلغ فيك أمله»(۴).

و لأن الترف حرام على الحكّام، فقد رفض الإمام أى شىء فيه رائحه الترف، أو مظهر من مظاهره.

و من ذلك ما روى أنه عليه السّلام أتى بدابه دهقان ليركبها، فلمّا وضع رجله فى الركاب قال:«بسم اللّه» فلما وضع يده على القربوس زلّت يده من الضفّه، فقال: «أديباج هى»؟!

قالوا: «نعم..» فلم يركبها(۵)!

۱- أنساب الأشراف: ص ۲۷۹.

۲- من لا يحضره الفقيه: ج ۳، ص ۳۶۲.

۳- الكافى: ج ۲، ص ۳۹۴.

۴- نهج البلاغه: الكتب ۱۰.

۵- بحار الأنوار: ج ۴۰، ص ۳۲۵.

و من ذلک أیضا: أن خادمته أعطته فی بعض اللیالی قطیفه، فتعجّب من دفئها، فقام لیسأل الخادمه: ما هذه؟

قالت: «هذه من قطف الصدقه»..

فقال: «أحردتمونا، بقیّه لیلتنا»(۱).

و روی عن «سوید بن غفله» قال: «دخلت علی أمیر المؤمنین علیه السّلام یوم عید، فإذا عنده فاثور (الطشت) و علیه خبز السمراء (الحنطه)، و صفحه فیها خطیفه، و ملبنه (ملعقه) فقلت: «یا أمیر المؤمنین.. یوم عید و خطیفه؟!

فقال: «إنما هذا عید من غفر له»(۲).

و روی أنّه جیء إلیه بفالوذج، فأدخل فیه إصبعه، ثم سلبها، و لم یأخذ منه شیئا، فقیل له: أ تحرّمه یا أمیر المؤمنین؟

فقال: «لا.. و لکن أخشی أن تتوق إلیه نفسی» ثم تلا قوله تعالی: أَذْهَبْتُمْ طَیِّباتِکُمْ فِی حَیاتِکُمُ الدُّنْیا (۳).

و روی: «أنه علیه السّلام تزوّج «لیلی» فجعلت له حجله، فهتکها، و قال: «حسب آل علیّ، ما هم فیه(۴).. و تزوج أخری فنجدّت له بیتا، فرفض أن یدخله»(۵).

ص:۱۲۱

۱- مناقب آل أبی طالب: ج ۱، ص ۳۱۲.

۲- المصدر السابق: ص ۳۰۶.

۳- مناقب آل أبی طالب: ج ۱، ص ۳۰۶.

۴- بحار الأنوار: ج ۴۰، ص ۳۲۷.

۵- المصدر السابق: ص ۳۲۷.

و حينما تزوج من الكلابيه، زفّت إليه على حمار بأكاف تحتها قطيفه، و خلفها قفّه معلقه، و لا شىء غير ذلك(۱).

«و لاحظ أحد أصحابه أنه يلبس قميصا جديدا و لكنه يضع عليه رداء قديما فسأله فى ذلك، فقال الإمام ضاحكا: «إنما ألبس هذا الرداء ليكون أبعد لى عن الزهو و الكبر»(۲).

و روى: أنه كان يحمل التمر و الملح بيده، و كان ينشد هذا الشعر:

لا ينقص الكامل من كماله ما جرّ من نفع إلى عياله

و كان عليه الصلاه و السّلام، كما يرويه زيد بن على، يمشى فى خمسه مواضع حافيا، و يعلق نعله بيده اليسرى: يوم الفطر، و النحر، و الجمعه، و عند العياده، و تشييع الجنازه، و يقول: «إنها أحبّ المواضع للّه، و أحبّ أن أكون فيه حافيا»(۳).

و كان يكتفى ببعض الطعام، فيأكل تمرا فقط، ثم يشرب عليه الماء، و يضرب يده على بطنه، و يقول: «من أدخله بطنه النار، فأبعده اللّه» و ينشد قول الشاعر:

۱- المصدر السابق: ص ۳۲۷.

۲- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۳۰۷.

۳- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ۴۳۹.

و إنک مهما تعط بطنک سؤله و فرجک نالا منتهی الذّم أجمعا(۱)

و روی عن نوف قال: بتّ لیله عند أمیر المؤمنین علیه السّلام فکان یصلّی اللّیل کلّه و یخرج ساعه بعد ساعه فینظر إلی السماء و یتلو القرآن، فمرّ بی بعد هدء اللیل فقال: یا نوف أ راقد أنت أم رامق؟

قلت: بل رامق أرمقک ببصری یا أمیر المؤمنین.

قال: یا نوف طوبی للزاهدین فی الدنیا الراغبین فی الآخره، أولئک الّذین اتّخذوا الأرض بساطا، و ترابها فراشا، و ماءها طیبا، و القرآن دثارا، و الدعاء شعارا، و قرّضوا من الدنیا تقریضا علی منهاج عیسی ابن مریم، إنّ اللّه عزّ و جلّ أوحی إلی عیسی ابن مریم: «قل للملأ من بنی إسرائیل: لا یدخلوا بیتا من بیوتی إلاّ بقلوب طاهره، و أبصار خاشعه، و أکفّ نقیّه، و قل لهم: اعلموا أنّی غیر مستجیب لأحد منکم دعوه و لأحد من خلقی قبله مظلمه»(۲).

و روی «أنه ذات صباح لم یجد ما یلبسه إلاّ لباسا من الصوف به خروق، فرقعه و لبسه و خرج إلی الناس، فلما لامه

۱- دعوات الراوندی.

۲- الخصال: ج ۱، ص ۱۶۴.

نفر من أصدقائه من فتيان المهاجرين و الأنصار لم يبسط لهم عذره: إنه لم يجد غيره، و لكنه تبسّم و قال لهم: «إن لبس هذه المرقعه من الصوف تقمع فى الإنسان ما قد يشعر به من كبر، و تقهره على أن يتواضع للّه، و تحمله على الخشوع حملا»(۱)!

أمّا زهده فى السلطه، و كل ما يمتّ إليها بصله، فكان نابعا من إيمانه العميق بقوله تعالى: تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِينَ (۲).

فلم يكن يريد السلطه فى أى يوم من الأيّام، شأنه فى ذلك شأن أصحاب الرسالات العظام فى التاريخ، فما بالإمام - كما يقول أحدهم - «حرص على الإماره بجاهها و سطوتها و سلطانها»(۳).. و هو الذى قال حينما جاؤوه للبيعه بعد مقتل عثمان: «دعونى، و التمسوا غيرى فإنّا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان، لا تقوم له القلوب، و لا تثبت عليه العقول، و إن الآفاق قد أغامت، و المحجّه قد تنكّرت.. و اعلموا: أنى إن أجبتكم، ركبت بكم ما أعلم، و لم أصغ إلى قول القائل، و عتب العاتب، و إن تركتمونى فأنا كأحدكم»(۴).

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۵۰.

۲- سوره القصص، الآيه: ۸۳.

۳- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۳۴۳.

۴- التاريخ - للطبرى: ج ۶، ص ۳۰۶۶.

و كم رفض الخلافه، و كم قبض يده فجذبوها، و كم التفوا حوله، و مشوا معه، لكى يقبل الخلافه، بمفهومه الخاص لها، و هو تحمّل المسؤوليه، و إقامه الحق..

يقول عليه السّلام: «و بسطتم يدى فكففتها، و مددتموها فقبضتها، ثم تداككتم علىّ تداكّ الإبل الهميم على حياضها يوم ورودها حتى انقطع النعل و سقط الرداء و وطىء الضعيف»(١).

«فما راعنى إلّا و الناس كعرف الضبع إلىّ، ينثالون علىّ من كل جانب حتى لقد وطىء الحسنان و شق عطفاى، مجتمعين حولى كربيضه الغنم»(٢).

و عند ما تمّت له البيعه، نهض بالأمر، ليس كسلطان، يبحث عن التاج و الصولجان، بل كصاحب رساله، و كان ما يكابده حقا، هو حرص الإمام على صياغه مجتمع فاضل على أساس وطيد من العدل، و فى ظل الحريه، و الأخلاق.. من أجل ذلك كان يناضل لكى يغرس قيما نبيله شريفه تثمر فى نفوس المسلمين، و تزدهر بالفضائل، لا أن يؤسس ملكا شامخا عضوضا يمنحه الجاه و العزّه و الكبرياء.. فهو يعرف أن الكبرياء و العزّه للّه جميعا..!

و قد روى أنه: كان يخصف نعله ذات يوم بذى قار فدخل

١- المسترشد: ص ٩٥.

٢- الفهرست - لابن النديم: ص ٢٢٤.

علیه وزیره و تلمیذه عبد اللّه بن عباس، فعجب ابن عباس من أن یخصف أمیر المؤمنین نعله بنفسه و هو یحکم نصف الأرض التی یعرفها البشر حینئذ، و الناس قد اجتمعوا خارج خیمته لیسمعوا منه.. فقال لابن عباس: «ما قیمه هذه»؟.

قال: «لا قیمه لها».

فقال الإمام: «و اللّه لهی أحب إلیّ من إمرتکم، إلاّ أن أقیم حقا أو أدفع باطلا»(۱).

تلک کانت قضیته و رسالته: إقامه الحق و دفع الباطل..

و لم یکن یتنافس مع أحد من أجل غیر ذلک.. و هو القائل:

«اللّهمّ إنّک تعلم أنه لم یکن الذی کان منّا منافسه فی سلطان، و لا التماس شیء من فضول الحطام، و لکن لنرد المعالم من دینک، و نظهر الإصلاح فی بلادک، فیأمن المظلومون من عبادک، و تقام المعطله من حدودک»(۲).

صحیح أن أعداءه، کانوا یریدون السلطان، لیحوّلوا الإمامه إلی ملک عضوض یتوارثه الابن من أبیه، و لکنّ الإمام کان یرید إحقاق الحق، و إماته الباطل، و لذلک فإنّ رد فعله إزاء بیعته لم یکن ردّ فعل من یفوز بالانتخابات فیفرح للفوز،

۱- الإرشاد - للمفید: ص ۱۵۴.

۲- دعائم الإسلام - للنعمان: ص ۵۳۱.

و يرتاح إلى النجاح. كما أن ردّه فعله إزاء هزائمه لم تكن كرده فعل مهزوم فى حرب، لأنّه كان يعمل لكى لا يتجافى عن الحق، و لا يرتكب معصيه، أما بعد ذلك فكل شىء كان يهون عنده.

فعند ما قتل محمد بن أبى بكر، رضوان اللّه عليه و سقطت مصر فى يد معاويه فإن الإمام لم يحزن لخساره مصر، بالرغم من عظمتها، لأن الإمام لم يكن يرى مصر يوما غنيمه ليرى سقوطها خساره، بل حزن لمقتل محمد بن أبى بكر و غلبه الباطل.

و لم يزد على أن خطب خطبه موجزه ليوعّى الناس، و كتب رساله مختصره إلى ابن عباس يخبره بذلك..

و فى ذلك يقول المؤرخون:

«جاء عليا رجلان ينعيان إليه محمد بن أبى بكر، أما أحدهما فقد جاء من مصر، يتحدث باكيا عمّا أصاب محمدا، و أما الآخر فقد جاء من الشام يروى عجبا مما رآه فى الشام.

فقد صعد معاويه منبر المسجد الجامع فى دمشق فأذن فى فرح عظيم بقتل محمد بن أبى بكر.. و كأنها بشاره كبرى يبشّر بها أهل الشام!! بقتل محمد!! ثم قرأ كتاب عمرو إلى معاويه، و فيه: «أما بعد فإنّا لقينا محمد بن أبى بكر و كنانه بن بشر فى جموع جمه من أهل مصر، فدعوناهم إلى الهدى و السّنّه و حكم

الکتاب، فرفضوا الحق، فجاهدناهم، و استنصرنا اللّه علیهم، فضرب اللّه وجوههم و أدبارهم، و منحونا أکتافهم، فقتل اللّه محمد بن أبی بکر و کنانه بن بشر و أماثل القوم. و الحمد للّه رب العالمین. و السّلام».

و قال صاحب الإمام الذی جاء من الشام لعلی: «و اللّه یا أمیر المؤمنین قلما رأیت قط قوما أسرّ، و لا سرورا قط أظهر من سرور رأیته بالشام حین أتاهم هلاک محمد بن أبی بکر» فقال علی: «أما أن حزننا علیه علی قدر سرورهم به، لا بل یزید أضعافا»!

فأرسل علیه السّلام إلی مالک بن کعب الذی کان قد أرسله لینجد محمدا فی ألفی رجل، فردّه قبل أن یبلغ مصر، و یهلک بجیشه..

ثم وقف یخطب الناس فقال: «ألا و إن مصر قد افتتحها الفجره أولیاء الجور و الظلم، الّذین صدّوا عن سبیل اللّه، و بغوا الإسلام عوجا. ألا و أن محمد بن أبی بکر قد استشهد رحمه اللّه، و عند اللّه نحتسبه، أما و اللّه لقد کان ما علمت ینتظر القضاء، و یعمل للجزاء، و یبغض شکل الفاجر، و یحب سمت المؤمن، إنی و اللّه لا ألوم نفسی علی تقصیر و لا عجز، و إنی بمقاساه لحرب لجد بصیر، إنی لأقدم علی الحرب، و أعرف وجه الحزم، و أقوم بالرأی المصیب، فأستصرخکم معلنا،

و أنـاديكم مسـتغيثا، فلاـ تسـمعون لى قولاـ و لا تطيعون لى أمرا، حتى تصـير الأمور إلى عواقب المساءه.. و دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع و خمسين ليله... فتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من لا نيه له فى الجهاد، و لا رأى له فى الاكتساب للأجر، ثم خرج إلىّ منكم جنيد (تصغير جند) متذائب (مضطرب) ضعيف، كأنما يساقون إلى الموت و هم ينظرون! فأف لكم»!.

ثم عاد إلى داره(۱).

و كتب إلى ابن عمه و وزيره، عـامله على البصـره عبـد اللّه بن عباس: «سـلام عليك و رحمه اللّه و بركاته. أما بعـد فإن مصـر قد افتتحت، و قـد استشـهد محمـد بن أبى بكر، فعنـد اللّه عزّ و جلّ نحتسـبه، و قـد كنت كتبت إلى النّاس، و تقـدّمت إليهم فى بدء الأـمر، و أمرتهم بإغـاثته قبـل الوقعه، و دعوتهم سـرا و جهرا، و عودا و بـدءا، فمنهم الآـتى كارهـا، و منهم المتعلل كاذبا، و منهم القاعـد خاذلا، أسأل اللّه أن يجعل لى منهم فرجا، و أن يريحنى منهم عاجلا، فو اللّه لو لا طمعى عنـد لقاء عـدوى فى الشـهاده و توطين نفسى عند ذلك، لأحببت ألّا أبقى مع هؤلاء يوما واحدا. عزم اللّه لنا و لك

۱- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۲۶۳-۲۶۴.

على هداه و تقواه إنه على كل شيء قدير. و السّلام عليكم و رحمه اللّه و بركاته»(۱).

و عزّ على عبد اللّه بن عباس أن يبلغ السأم و المضض و الأسى بأستاذه و خليله و إمامه هذا المبلغ. فكتب إليه مواسيا:

«لعبد اللّه علىّ أمير المؤمنين من عبد اللّه بن عباس، سلام على أمير المؤمنين و رحمه اللّه و بركاته. أما بعد، فقد بلغنى كتابك تذكر فيه افتتاح مصر و هلاك محمد بن أبى بكر، و أنك سألت اللّه ربك أن يجعل لك من رعيتك التى ابتليت بها فرجا و مخرجا و أنا أسأل اللّه أن يعلى كلمتك، و اعلم أن اللّه صانع لك، و معزّ دعوتك، و كابت عدوك. و أخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما تباطؤوا ثم نشطوا، فارفق بهم يا أمير المؤمنين و دارهم و منّهم. و استعن باللّه عليهم. كفاك اللّه الهم! و السّلام عليك و رحمه اللّه و بركاته».

و هكذا لم يزد ردّ فعله على خساره مصر التى سمّى أهلها «أعظم أجنادى»(۲) على خطبه قصيره، و رساله مختصره إلى ابن عباس، و لم يحاول استردادها، كل ذلك زهدا فى السلطان، فلقد أدّى ما عليه، و أتمّ الحجّه على من يجب إتمامها عليه، و هو زاهد فى بسط النفوذ، و امتلاك البلاد.

ص:۱۳۰

۱- الكامل - لابن الأثير: ج ۳، ص ۱۷۸.

۲- بشاره المصطفى: ص ۵۲.

البعد السادس لزهد الإمام: هو زهده للالتزام بالعدل -

حيث إن من طبيعه البشر الرغبه فى المزيد مما لديهم، و الطمع فى امتلاك أكثر مما يحتاجون إليه، و التكاثر فى كل شيء، فلا يملأ عينى ابن آدم إلّا التراب، كما يقول الحديث الشريف.

و لعمرى: هذا ما يدفع البعض إلى الطغيان، و تقسيم الناس إلى غنى و فقير، و جائع و متخم، و مسكين و مترف، و عادل و ظالم..

فى الوقت الذى «إن اللّه فرض على أغنياء الناس فى أموالهم قدر الذى يسع فقراءهم، فإذا ضاع الفقراء، أو أجهدوا، أو أعروا فبما يمنع أغنياؤهم، فإن اللّه محاسبهم بذلك يوم القيامه، و معذبهم عذابا أليما»(۱).

و هذا يعنى «أن اللّه سبحانه فرض فى أموال الأغنياء، أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلّا بما متّع به غنىّ، و اللّه تعالى سائلهم عن ذلك»(۲).

فلو زهد الأغنياء فى الدنيا، و أخذوا منها قدر حاجتهم منها لما اختلّ ميزان العدل و لا جاع فقير، فى جنب غنىّ..

ص:۱۳۱

۱- دعائم الإسلام: ج ۱، ص ۲۵۰.

۲- تاريخ بغداد - للخطيب: ج ۵، ص ۳۰۸.

و لو أن أصحاب الأموال نظروا إلى الحياه، كما كان ينظر إليها أمير المؤمنين لما بخلوا بما عندهم على المحتاجين.

و ما ذا يحصل عليه البخلاء من البخل؟

أ ليس يتركون أموالهم بالرغم عنهم و يرحلون؟

«فقد رأيت من كان قبلك ممّن جمع المال، و حذّر الإقلال، و أمن العواقب، (بعد) طول أمل، و استبعاد أجل، كيف نزل به الموت فأزعجه عن وطنه و أخذه من مأمنه محمولا على أعواد المنايا، يتعاطى به الرجال الرجال، حملا على المناكب، و إمساكا بالأنامل..

أما رأيتم الّذين يأملون بعيدا، و يبنون مشيدا، و يجمعون كثيرا، كيف أصبحت بيوتهم قبورا، و ما جمعوا بورا، و صارت أموالهم للوارثين، و أزواجهم لقوم آخرين، لا فى حسنه يزيدون، و لا من سيئه يستعتبون»(۱) ؟

لقد مرّ الإمام عليه السّلام على قذر بمزبله، فقال: «هذا ما بخل به الباخلون»(۲).

و حقا إن نهايه الأموال مزابل، و عاقبه الأشياء قاذورات، و لو أنّ الأثرياء نظروا إلى أموالهم، من خلال نهاياتها لما بخلوا بما عندهم، و لزهدوا فى الاحتكار، و التكاثر..

۱- النهايه: ج ۲، ص ۲۱۰.
۲- بحار الأنوار: ج ۴۰، ص ۳۲۸.

ثم من يستطيع أن يأخذ من الدنيا أكثر من حاجته؟

فمن يستطيع أن يأكل أكثر من حجم معدته؟

و أن ينام فوق أكثر من سرير؟

و أن يسكن فی أكثر من دار؟

و أن يلبس أكثر مما يحتاج؟

و أن يحمل معه من الذهب أكثر مما يستطيع حمله؟

يقول الإمام علی عليه السّلام: «يا ابن آدم.. ما كسبت فوق قوتک، فأنت فيه خازن لغيرک»(۱).

و يقول: «ما يصنع بالمال من عمّا قليل يسلبه، و تبقی عليه تبعته و حسابه»(۲).

إذن «فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله، و ينفى عنك وباله، فالمال لا يبقى لك، و لا تبقى له»(۳).

ثم إن الأموال التی لا تنفع الإنسان مضرّه، لأن «المال يفسد المال و يوسّع الآمال»(۴) كما أن «المال للفتن سبب»(۵) و لذلك فإنه «إذا أحب اللّه سبحانه عبدا بغّض إليه المال، و قصّر منه الآمال، و إذا أراد اللّه بعبد شرا، حبّب إليه المال، و بسّط

۱- الفرج بعد الشدّه: ج ۱، ص ۳۷.

۲- النهايه: ج ۲، ص ۵۱۰.

۳- العقد الفريد: ج ۳، ص ۱۵۵.

۴- غرر الحكم و درر الكلم: ص ۳۳.

۵- المصدر السابق: ص ۳۴.

منه الآمال(۱) حیث إن «کثره المال تفسد القلوب، و تنسی الذنوب»(۲) و هکذا فإن «المال ماده الشهوات»(۳) و «المال یرفع صاحبه فی الدنیا، و یضعه فی الآخره»(۴).

و لهذا فإن «کثره المال مفسده للدّین مقساه للقلوب»(۵) بینما «العلم أفضل من المال: إنه میراث الأنبیاء، و المال میراث الفراعنه»(۶).

و لا یعنی کل ذلک أن الفقر مطلوب، بل یعنی أن علی الأغنیاء أن لا یخافوا الفقر، فیمنعوا جودهم عن الفقراء، و أن لا یحبّوا المال فیترفوا فیه، یکثروا منه، و یمنعوه المساکین و المحتاجین.

و إلاّ فإن «الفقر طرف من الکفر»(۷) غیر أنّ الزهد فی المال عند الأغنیاء قد یرفع الفقر عن الفقراء. فإذا لم یفعلوا ذلک ازداد الشرّ، و قلّ الخیر. و یکون الأمر کما قال الإمام علی علیه السّلام: «قد أصبحتم فی زمن لا یزداد الخیر فیه إلاّ إدبارا

۱- المصدر السابق: ص ۱۴۱.

۲- المصدر السابق: ص ۲۴۴.

۳- مجمع الأمثال: ج ۲، ص ۴۵۴.

۴- غرر الحکم و درر الکلم: ص ۴۷.

۵- تحف العقول: ص ۱۴۱.

۶- منیه المرید: ص ۱۹.

۷- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۱۲.

و الشرّ فيه إلّا إقبالا.. اضرب بطرفک حیث شئت من الناس فهل تبصر إلّا فقیرا یکابد فقرا، أو غنیا بدّل نعمه اللّه کفرا»(۱).

و من هنا، فإنّ «أفضل الفعال صیانه العرض بالمال»(۲) و من لا ینفقه کیف یصون عرضه به؟

و فی الحق أن الإمام علیه السّلام کان زاهدا فی الدنیا، لکی ینشر العدل، و کان یطالب الناس بالزهد، حتی تنتشر الفضیله، و کان ینصح بالعطاء حتی ینشغل الناس بطلب العلم و المکارم، و یقول لأصحابه: «إنّکم إلی مکارم الأفعال أحوج منکم إلی جمع الأموال»(۳).

و یقول: «إنکم إلی اکتساب الأدب أحوج منکم إلی اکتساب الفضه و الذهب»(۴).

و یقول: «أنا یعسوب المؤمنین، و المال یعسوب الفجّار»(۵).

و یقول: «العلم خیر لک من المال: العلم یحرسک و أنت تحرس المال. و العلم تنقصه النفقه، و العلم یزکو علی

۱- نهج البلاغه - الخطب ۱۲۹.

۲- مستدرک نهج البلاغه: ص ۱۸.

۳- غرر الحکم و درر الکلم: ص ۱۳۲.

۴- المصدر السابق: ص ۱۳۱.

۵- الاستیعاب: ج ۴، ص ۱۶۹.

الإنفاق، و صنيع المال يزول بزواله.. هلك خزّان الأموال و هم أحياء، و العلماء باقون ما بقى الدهر»(۱).

فالزهد فى المال مطلوب للتفرّغ للعلم، و للعطاء للناس و لبناء الحضاره. و هو الزهد الذى يشيّد العدل فى المجتمع، و يمنع العوز و البؤس و المسكنه.

و هو النوع الوحيد من الزهد الذى يمكن لولىّ الأمر أن يفرضه على الأغنياء، لأنّ إقامه العدل، واجب من واجباته، فإن لم يجد الوالى فى بيت المال ما يسدّ حاجه الفقراء و المساكين، و ما يبلغ بهم حدّ الكفايه، كان له أن يفرض فى أموال الأغنياء حقا لهم، ففى أموال الأغنياء حقوق غير الزكاه، و إذا احتاجت الأمه فلا مال لأحد.. و قد لعن اللّه أقواما فى الغابرين لأنهم كانوا يصنعون بأموالهم الخاصه ما يشاؤون لا ما يقتضيه الصالح العام، و لا ينفقون أموالهم فى سبيل اللّه، و الإنفاق فى سبيل اللّه، هو الإنفاق على مصالح المجتمع كله، من جهاد لتوفير أمن الأمّه، و إقامه ما يقتضيه صالح الأمه من المرافق فى الصناعه و الزراعه و التعليم و الصحه و التثقيف و نحو ذلك..

۱- تفسير الرازى: ج ۲، ص ۱۹۲.

التواضع

التواضع حـاله روحيه لـدى الفرد، تظهر نتائجهـا فى مفردات حياته اليوميه كطريقه جلوسه و مشـيه، و نوعيه ملبسه و مركبه، و فى تعامله - بشكل عام - مع الآخرين.

و هى حـاله تنبع أساسـا مـن وعى الإنسـان، و معرفتـه من جهه. و من عظمه روحه من جهه أخرى، فكلّمـا ازداد علمـا و رفعه فى النفس ازداد تواضعه. و على العكس، كلّما عظم جهله، و حقرت نفسه ازداد تعاليا و كبرا.

من هنا، فإنه «ما تواضع إلاّ رفيع»(۱) و ما تكبّر إلاّ وضيع.

تماما كما تتدلّى الأغصان و تتواضع كلّما حملت ثمارا، و لكنها ترتفع و تتعالى كلما خليت من الثمار.

فالتواضع إذن قيمه بحدّ ذاتها، كما العلم و الشجاعه

ص:۱۳۷

۱- غرر الحكم و درر الكلم.

و الكرم و غيرها من الفضائل «فزينه الشريف التواضع»(۱) و هو «زكاه الشرف»(۲) و لا يوضع على شيء إلّا زانه، كما أن الكبر لا يوضع على شيء إلّا شانه..

و لذلك كان الأنبياء عليهم السّلام، و هم أنبل بنى البشر، أكثر الناس تواضعا بعد أن «كرّه إليهم اللّه سبحانه التكابر و رضى لهم التواضع فألصقوا بالأرض خدودهم، و عفّروا فى التراب وجوههم، و خفّضوا أجنحتهم للمؤمنين و كانوا قوما مستضعفين»(۳).

و لقد كان الإمام على عليه السّلام: يرى أن «التواضع من أعظم العباده»(۴)، و لا يعتبر للحسب قيمه إلّا به إذ «لا حسب إلّا بتواضع»(۵). يراه صفه أساسيه من صفات المتقين حيث إن «منطقهم الصواب، و ملبسهم الاقتصاد و مشيهم التواضع»(۶).

ثم إنّ التواضع - بالإضافه إلى كل ذلك - سبب من أسباب

۱- بحار الأنوار: ج ۷۵، ص ۱۲۰.
۲- غرر الحكم و درر الكلم.
۳- نهج البلاغه - الخطب ۱۹۲.
۴- بحار الأنوار: ج ۷۵، ص ۱۱۹.
۵- بحار الأنوار: ج ۷۷، ص ۱۶۸.
۶- كنز الفوائد: ص ۳۱.

النجاح، و شرط من شروط حسن الإداره حيث إنه «بخفض الجناح تنتظم الأمور»(۱).

و هو يرفع المؤمن فی عیون أعدائه لأن «التواضع یکسوک المهابه»(۲).

أو لیس قد وصف اللّه الّذین یحبهم و یحبونه من الّذین هم أعزّه علی الکافرین بأنهم أَذِلَّهٍ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ (۳) ؟ فقدم «الذلّه علی المؤمن» علی «العزّه علی الکافر» فلا یکون عزیزا علی الکافرین إلاّ من کان ذلیلا علی المؤمنین و متواضعا لهم.

یقول الإمام علی علیه السّلام فی خطبته المعروفه «بالقاصعه»:

«الحمد للّه الذی لبس العزّ و الکبریاء، و اختارهما لنفسه دون خلقه، و جعلهما حمی و حرما علی غیره و اصطفاهما لجلاله، و جعل اللعنه علی من نازعه فیهما من عباده، ثم اختبر بذلک ملائکته المقرّبین لیمیّز المتواضعین منهم من المستکبرین، فقال سبحانه – و هو العالم بمضمرات القلوب، و محجوبات الغیوب –:

إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (۲۸) فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ (۲۹) فَسَجَدَ الْمَلائِکَهُ

۱- غرر الحکم و درر الکلم.
۲- المصدر السابق.
۳- سوره المائده، الآیه: ۵۴.

كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاّ إِبْلِيسَ (١) اعترضته الحميّه، فافتخر على آدم بخلقه، و تعصب عليه لأصله، فعدّو اللّه إمام المتعصبين و سلف المتكبرين، الذى وضع أساس العصّبيه، و نازع اللّه رداء الجبريّه، و ادرع لباس التعزز، و خلع قناع التذلل، أ لا ترون كيف صغّره اللّه بتكبّره، و وضعه بترفعه، فجعله فى الدنيا مدحورا و أعدّ له فى الآخره سعيرا»(٢) ؟

و يقول عليه السّلام: «اعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم، و إلقاء التعزز تحت أقدامكم، و خلع التكبّر من أعناقكم، و اتخذوا التواضع مسلحه بينكم و بين عدوّكم: إبليس و جنوده، فإن له من كل أمه جنودا و أعوانا، و رجلا و فرسانا، و لا تكونوا كالمتكبر على ابن أمّه من غير ما فضل جعله اللّه فيه سوى ما ألحقت العظمه بنفسه من عداوه الحسد، و قدحت الحميّه فى قلبه من نار الغضب، و نفخ الشيطان فى أنفه من ريح الكبر»(٣).

بهذا كان الإمام يوصى أصحابه...

و كما أوصى كان يعمل.. فكان متواضعا مع الناس، يرفض أن يترفّع عليهم، أو يكون له ما ليس لهم..

فقد كان عليه السّلام لا يحبّ حتى المديح، و يرفضه.. فحينما

١- سوره الحجر، الآيات: ٢٨-٣١.

٢- أعلام النبوّه: ص ٩٧.

٣- نهج البلاغه: الخطب ١٩٢.

أثنی علیه أحد أصحابه و أطال فی ذلک قال له الإمام: «إنّ من حقّ من عظم جلال اللّه سبحانه فی نفسه و جلّ موضعه من قلبه أن یصغر عنده - لعظم ذلک - کلّ ما سواه، و إنّ أحقّ من کان کذلک لمن عظمت نعمه اللّه سبحانه علیه و لطف إحسانه إلیه، فإنّه لم تعظم نعمه اللّه علی أحد إلاّ ازداد حقّ اللّه علیه عظما.

و إنّ من أسخف حالات الولاه، عند صالحی الناس، أن یظنّ بهم حبّ الفخر و یوضع أمرهم علی الکبر، و قد کرهت أن یکون جال فی ظنّکم أنّی أحبّ الإطراء و استماع الثناء، و لست بحمد اللّه کذلک، و لو کنت أحبّ أن یقال ذلک، لترکته انحطاطا للّه سبحانه عن تناول ما هو أحقّ به من العظمه و الکبریاء.

و ربّما استحلی الناس الثناء بعد البلاء، فلا تثنوا علیّ بجمیل ثناء لإخراجی نفسی إلی اللّه سبحانه و إلیکم من البقیّه فی حقوق لم أفرغ من أدائها، و فرائض لا بدّ من إمضائها.

فلا تکلّمونی بما تکلّم به الجبابره، و لا تتحفّظوا منّی بما یتحفّظ به عند أهل البادره، و لا تخالطونی بالمصانعه.

و لا تظنّوا بی استثقالا فی حقّ قیل لی، و لا التماس إعظام لنفسی، فإنّه من استثقل الحقّ أن یقال له أو العدل أن یعرض علیه کان العمل بهما أثقل علیه.

فلا تکفّوا عن مقاله بحقّ أو مشوره بعدل، فإنّی لست فی

نفسی بفوق أن أخطیء و لا آمن ذاک من فعلی إلاّ أن یکفی اللّه من نفسی ما هو أملک به منّی.

فإنّما أنا و أنتم عبید مملوکون لربّ لا ربّ غیره، یملک منّا ما لا نملک من أنفسنا، و أخرجنا ممّا کنّا فیه إلی ما صلحنا علیه، فأبدلنا بعد الضلاله بالهدی، و أعطانا البصیره بعد العمی»(۱).

و کما کان لا یحب المدیح، کان لا یحب المشی فی کبریاء و أبّهه، فقد خرج ذات مره و هو راکب علی الفرس، فمشی البعض خلفه فالتفت إلیهم، و قال:

«أ لکم حاجه؟

فقالوا: لا، یا أمیر المؤمنین، و لکنّا نحب أن نمشی معک».

فقال لهم: «انصرفوا، فإن مشی الماشی مع الراکب مفسده للراکب، و مذلّه للماشی»!

و رکب مره أخری فمشوا خلفه فقال علیه السّلام:

- «انصرفوا، فإن خفق النعال خلف أعقاب الرجال، مفسده لقلوب النوکی»(۲).

و مره أخری و کان علیه السّلام فی طریقه إلی صفّین مرّ هو

۱- روضه الکافی: ص ۳۵۲.

۲- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۵۵.

و أصحابه بمدينه الأنبار، فخفّ وجهاء المدينه و أعيانها إلى استقبال الإمام، يسوقون دوابا مطهمه حملوها أشهى الطعام هديه للإمام و جنوده.

فسألهم الإمام: «ما أردتم بهذا الذى صنعتم»؟

قالوا: «أما هذا الذى صنعنا فهو خلق منا نعظم به الأمراء: فالمطايا هديه لك، و قد صنعنا لك و للمسلمين طعاما، و هيأنا لدوابكم علفا كثيرا».

فقال عليه السّلام: «أما هذا الذى زعمتم أنه منكم خلق تعظمون به الأمراء، فو اللّه ما ينفع هذا الأمراء! و إنكم لتشقّون به على أنفسكم و أبدانكم، فلا تعودوا له. و أما دوابكم هذه فإن أحببتم أن نأخذها منكم فنحسبها من خراجكم أخذناها منكم.

و أما طعامكم الذى صنعتم لنا فإننا نكره أن نأكل من طعامكم شيئا إلاّ بثمن».

قالوا: «يا أمير المؤمنين نحن نقوّمه فنقبل ثمنه».

قال: «و إن غصبكم أحد فأعلمونا»(۱).

و كان عليه السّلام متواضعا فى الدار، كما كان متواضعا فى السوق، فهو فى الدار «كان يحتطب، و يستسقى، و يكنس، بينما كانت زوجته فاطمه عليها السّلام تطحن، و تعجن، و تخبر»(۲).

۱- مناقب آل أبى طالب: ج ۱، ص ۳۱۰.

۲- المصدر السابق: ص ۳۰۹.

و كان فى السوق هو الذى يشترى، و يحمل ما اشتراه فى طرف ردائه، و ذات مره رآه الناس فتبادروا إليه و قالوا:

- يا أمير المؤمنين، نحن نحمله.

فقال: - «ربّ العيال أحق بحمله»(۱).

و كثيرا ما كان يحمل التمر و الملح بيده و يقول:

لا ينقص الكامل من كماله ما جرّ من نفع إلى عياله(۲)

و ربما كان يركب حمارا، و من حوله الّذين يركبون الخيل و البغال المطهمه، و يدلى رجليه من على ظهر الحمار إلى موضع واحد و يقول: «أنا الذى أهنت الدنيا»!!(۳).

و ذات مره قابله رجل فى الطريق و هو يحمل التمر إلى أهله، فأفرط فى الثناء عليه و كان الإمام يتّهم هذا الرجل، فقال له: «أنا دون ما قلت و فوق ما فى نفسك»(۴)..

و كان يمشى فى خمسه حافيا و يعلّق نعليه بيده اليسرى:

يوم الفطر، و النحر، و الجمعه، و عند العياده، و تشييع الجنازه؛ و يقول: «إنها مواضع اللّه، و أحبّ أن أكون فيها حافيا»(۵).

۱- مناقب آل أبى طالب: ج ۱، ص ۳۰۹.

۲- المصدر السابق.

۳- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۲۳۸.

۴- المصدر السابق.

۵- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۵۴.

و كان يعجبه المتواضعون، و يكره المتكبرين فى التاريخ، فيمدح النبى سليمان عليه السّلام مثلا لتواضعه و يقول: «كان سليمان عليه السّلام إذا أصبح تصفّح وجوه الأغنياء و الأشراف حتى يجىء إلى المساكين و يقعد معهم، و يقول: مسكين مع المساكين»(۱).

و على العكس من المتكبرين الّذين كلّما بولغ فى مدحهم ازدادوا فرحا فإن الإمام أقدم على حرق من سلّم عليه بالألوهيه. فقد ذكر المؤرخون أنه «أتى قوم أمير المؤمنين عليه السّلام فقالوا: السّلام عليك يا ربّنا!

فاستتابهم فلم يتوبوا، فحفر لهم حفيره و أوقد فيها نارا، و حفر حفيره إلى جانبها أخرى و أفضى بينهما، فلمّا لم يتوبوا ألقاهم فى الحفيره، و أوقد فى الحفيره الأخرى النار حتّى ماتوا»(۲).

و لقد كان يؤنب كل من يفخر على الناس و يقول له:

«ما بال ابن آدم و الفخر؟ أوله نطفه، و آخره جيفه، لا يرزق نفسه، و لا يدفع حتفه»(۳)!

***

۱- بحار الأنوار: ج ۱۴، ص ۸۳.

۲- فروع الكافى: ج ۷، ص ۲۵۷.

۳- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۷۹.

و حینما کان حاکما علی البلاد الإسلامیه و أمیرا للمؤمنین «ورد علیه أب و ابن، فقام إلیهما و أکرمهما و أجلسهما فی صدر المجلس و جلس بین أیدیهما، ثم أمر بطعام فأحضر فأکلا منه، ثم جاء قنبر بطشت و إبریق خشب و مندیل للیبس و جاء لیصبّ علی ید الرجل فقام أمیر المؤمنین علیه السّلام و أخذ الإبریق لیصبّ علی ید الرجل.

قال الإمام علیه السّلام: اقعد و اغسل، فإن اللّه عزّ و جلّ یراک و أخوک الذی لا یتمیّز منک و لا یتفضّل علیک، یخدمک، یرید بذلک فی خدمته فی الجنه، مثل أضعاف عدد أهل الدنیا و علی حسب ذلک فی ممالیکه فیها.

فقعد الرجل، فقال له الإمام علی علیه السّلام:

أقسمت بعظیم حقی الذی عرفته لما غسلت مطمئنا کما کنت تغسل لو کان الصابّ علیک قنبر.

ففعل الرجل ذلک، فلما فرغ ناول الإمام الإبریق إلی ولده محمد ابن الحنفیه، و قال:

یا بنی لو کان هذا الابن حضرنی دون أبیه لصببت علی یده، و لکن اللّه عزّ و جلّ یأبی أن یسوّی بین ابن و أبیه إذا

جمعهما مكان، و لكن صبّ الأب على يد الأب فليصبّ الابن على يد الابن».

فصبّ محمد ابن الحنفيه على يد الابن»(۱).

ثم إنه إذا كانت «آفه الرئاسه حب الفخر»(۲) فإن أمير المؤمنين، لم تكن عنده ذره منه، و إلّا لم يقم بغسل يد ضيف عادى من عامه الناس، و هو يعتذر إليه، و يقسمه أن يغسل مطمئنا، و كأنّ قنبرا خادمه، هو الذى يقوم بخدمته.

و كما كان الإمام لا يفتخر، فإنه لم يكن يرضى الفخر لأحد.. فقد حدث أن «افتخر عند أمير المؤمنين عليه السّلام رجلان.

فقال لهما:

- «أ تفتخران بأجساد باليه، و أرواح فى النار؟

«إن يكن لك عقل فإن لك خلقا، و إن يكن لك تقوى فإن لك كرما، و إلّا فالحمار خير منك، و لست بخير من أحد»(۳).

و كم كان يوصى أصحابه بالتواضع، و يقول لهم على لسان

۱- الاحتجاج: ص ۲۵۶-۲۵۷.

۲- غرر الحكم و درر الكلم.

۳- بحار الأنوار: ج ۷۰، ص ۲۹۱.

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «إن اللّه أوحى إلىّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، و لا يبغى أحد على أحد»(۱).

و يقول عليه السّلام: «أهلك الناس اثنان خوف الفقر، و طلب الفخر»(۲).

و يقول عليه السّلام: «من صنع شيئا للمفاخره حشره اللّه يوم القيامه أسود»(۳).

و كان يرى المحبه من نتائج التواضع و يقول: «ثمره التواضع المحبّه، و ثمره الكبر المسبّه»(۴).

و يرى أن «التواضع يكسبك السلامه»(۵) و أن «من تواضع قلبه للّه - تعالى - لم يسأم بدنه من طاعه اللّه»(۶) و أن «بالتواضع تتم النعمه»(۷) و أن «التواضع ينشر الفضيله، و التكبّر يظهر الرذيله»(۸).

و كان عليه السّلام يقول: «ما من أحد من ولد آدم إلاّ و ناصيته بيد

۱- الترغيب و الترهيب: ج ۳، ص ۵۸۸.

۲- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۵۴.

۳- بحار الأنوار: ج ۷۳، ص ۲۹۲.

۴- غرر الحكم و درر الكلم.

۵- بحار الأنوار: ج ۷۵، ص ۱۲۰.

۶- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۹.

۷- سراج الملوك - للطرطوشى: ص ۱۰۸.

۸- غرر الحكم و درر الكلم.

ملک، فإن تکبّر جذبه بناصیته إلی الأرض و قال له: تواضع! وضعک اللّه»!

«و إن تواضع جذبه بناصیته ثم قال له: ارفع رأسک! رفعک اللّه، و لا وضعک بتواضعک اللّه»(۱).

و یقول: «التواضع سلّم الشرف، و التکبّر رأس التلف»(۲).

و یقول: «اتّضع ترتفع»(۳).

۱- بحار الأنوار: ج ۷۵، ص ۱۲۰.

۲- غرر الحکم و درر الکلم.

۳- المصدر السابق.

المبادره

الفرص كسحابات الصيف: غنيه بالمطر، جميله فى المنظر، و لكنها سريعه فى المسير. فمن أراد منها الماء فلا بد أن يبادر قبل أن يأتى السحاب، فيهيىء وسيلته، متطلعا نحو الأفق، منتظرا أخباره، فإذا هطل المطر كان له النصيب الأوفر.

أمّا من يبحث عن الوسيله، بينما السحابات تمرّ فوق رأسه، متثاقلا فى حركته، فإنه يضيّع على نفسه أمرين: الوقت و المطر معا.

و هكذا فإن «الفرصه تمرّ مرّ السحاب»(۱) فهى «سريعه الفوت بطيئه العود»(۲).

و كما الطيور التى تقفز فى السماء، تطير بخفّه و سرعه،

ص:۱۵۰

۱- بحار الأنوار: ج ۷۱، ص ۳۳۷.

۲- غرر الحكم و درر الكلم.

فإذا أردنا اصطيادها فلا بدّ أن نهيىء السلاح مسبقا، و نفتح عيوننا جيدا حتى إذا مرّت رميناها فورا، و إلاّ فلن نحصد إلاّ الحسرات..

كذلك الفرصه، تقفز فی الزمن مثل الشهاب، فمن أرادها فلا بدّ أن يتهيأ لها سلفا، فيرميها بنبال مبادرته و إلّا فإن «إضاعه الفرصه غصّه»(۱) و «من انتظر بمعالجه الفرصه مؤاجله الاستقصاء، سلبته الأيام فرصته، لأنّ من شأن الأيام السلب، و سبيل الزمن الفوت»(۲).

و نظرا إلى أن «الفرصه خلسه»(۳) فإن من «أخّر الفرصه عن وقتها فليكن على ثقه من فوتها»(۴) ذلك «أن الشمس و القمر يبليان كل جديد، و يقربان كل بعيد»(۵) فالأيّام ليست ثابته، و الزمن ليس جامدا، و لذلك فإنّ «الفرص» تظهر و تختفى على دقّات الساعات.

من هنا كانت «المبادره» من صفات العظماء.

هذا على بن أبی طالب عليه السّلام كان المبادر فی كل خير..

ص:۱۵۱

۱- نهج البلاغه: الحكم ۱۱۸.

۲- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۲۶۸.

۳- المصدر السابق: ص ۷۹.

۴- غرر الحكم و درر الكلم.

۵- النهايه: ج ۲، ص ۳۴۵.

فهو أوّل من آمن.

و أول من ضرب بالسيف فی سبیل اللّه.

و أول من لبّی و أجاب و أعلن نصرته لرسول اللّه.

و أول من قاتل و جاهد و هاجر بعد رسول اللّه..

و کان یوصی أصحابه بالمبادره و یقول: «أیّها الناس الآن.. الآن من قبل الندم، و من قبل أن تقول نفس یا حَسْرَتی عَلی ما فَرَّطْتُ فِی جَنْبِ اللّهِ وَ إِنْ کُنْتُ لَمِنَ السّاخِرِینَ (۱). أو تقول: لَوْ أَنَّ اللّهَ هَدانِی لَکُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِینَ (۲) ، أو تقول حین تری العذاب: لَوْ أَنَّ لِی کَرَّهً فَأَکُونَ مِنَ الْمُحْسِنِینَ (۳)(۴) و یقول: «بادروا الفرصه قبل أن تکون غصّه»(۵) و یقول: «الجنه غایه السابقین، و النار غایه المفرّطین»(۶).

و کان یخاف علی المؤمنین ضیاع الفرص، و ترک المبادرات، و یری ذلک تفریطا تعقبه الندامه و الحسره، حیث لا تنفع الحسرات. و یقول: «إیاکم و التفریط فتقع الحسره حین

۱- سوره الزمر، الآیه: ۵۶.

۲- سوره الزمر، الآیه: ۵۷.

۳- سوره الزمر، الآیه: ۵۸.

۴- بحار الأنوار: ج ۷۷، ص ۳۷۵.

۵- شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید: ج ۱۶، ص ۹۷.

۶- نهج البلاغه: الخطب ۱۵۷.

لا تنفع الحسره»(۱) لأنّ «من فرّط تورّط»(۲) «فطوبى لـذى قلب سـليم أطاع من يهديه، و بادر الهدى قبل أن تغلق أبوابه، و تقطع أسبابه»(۳).

«عباد اللّه.. إن التقوى حمت أولياء اللّه، فبادروا العمل، و كذّبوا الأمل، و لاحظوا الأجل»(۴).

و حقـا إنّ هنـاك أكثر من عقبه ترصـد الإنسـان مثـل عقبه الموت و عقبه الأـمراض و عقبه الشـيخوخه، و هى عقبـات لاـ يمكن التخلّص منها، فلا بدّ من اغتنام الفرص قبل الوصول إليها.

يقول الإمام عليه السّلام: «بادروا بالأعمال عمرا ناكسا، أو مرضا جالسا»(۵).

و يقول: «بادروا آجالكم بأعمالكم، فإنكم مرتهنون بما أسـلفتم، و مدينون بما قدّمتم»(۶). و هكذا فإن المبادره فى الخير ضروره من ضرورات الحياه، كما أن تركها يؤدّى إلى الندم، و الخسران..

ص:۱۵۳

۱- بحار الأنوار: ج ۱۰، ص ۹۵.

۲- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۲۶۹.

۳- نهج البلاغه: الخطب ۲۱۴.

۴- الأمالى: ج ۲، ص ۱۰۷.

۵- النهايه: ج ۲، ص ۶۱.

۶- نهج البلاغه: الخطب ۱۹۰.

و هكـذا كان الإمام على عليه السّـلام فى عمل الخير، فقد روى أنه فى الكرّ و الفرّ بين أصـحاب الإمام و جنود الشام، كان الإمام يتجنّب إراقه الـدماء لعـلّ و عسـى أن تنفـع الموعظه فى المنـاوئين، فيعودون عن غيّهم، و يتوبون إلى ربّهم، و لكن حينمـا وقعت المواجهه، كان الإمام يطالب أصحابه بأخذ المبادره، و إلّا ستضيع عليهم الفرص.

و لقد صدر منه أقوى أنواع التقريع و العتاب، حينما خسـروا المبادره، و أصبح لمعاويه القدره على أن يشنّ الغارات على المناطق التى كـانت تخضع لحكم الإمـام، و منها الغاره التى شـنّها «سـفيان بن عوف الغامـدى» عامل معاويه على «الأنبار» فقتلوا رجالها و انتهكوا نساءها و نهبوا أموالها حتى حلى النساء و خرجوا عائدين إلى معاويه لم يمسسهم سوء، و لم يصبهم قرح و لا تعرّض لهم أحد.. فوقف الإمام على مرتفع صـنعه بيده من الأحجار، و سيفه على حمائل من ليف، فحمد اللّه و أثنى عليه و صلّى و سلّم على رسوله و آله ثم قال:

«أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنه، فتحه اللّه لخاصه أوليائه، و هو لباس التقوى، و درع اللّه الحصينه، و جنّته الوثيقه. فمن تركه رغبه عنه ألبسه اللّه ثوب الذل، و شمله البلاء، و ديّث بالصغار و القماءه (لوّث و أصبح ديوثا لا غيره

له)، و ضرب على قلبه بالإسهاب (و الإسهاب هو ذهاب العقل و كثره الكلام بلا جدوى). و أديل الحق منه، بتضييع الجهاد، و سيم الخسف، و منع النصف (الإنصاف).

ألا- و إنى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا و نهارا، و سرا و إعلانا، و قلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فو اللّه ما غزى قوم قط فى عقر دارهم إلا ذلّوا، فتواكلتم و تخاذلتم، حتى شنّت عليكم الغارات، و ملكت عليكم الأوطان.

و هذا أخو غامد (عامل معاويه)، و قد وردت خيله الأنبار، و قد قتل حسان بن حسان البكرى، و أزال خيلكم عن مسالحها (المسلحه: المعسكر) و قتل رجالا و نساء كثيرين.

و قد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأه المسلمه، و الأخرى المعاهده (ذات العهد: أى الذميه) و ينتزع حجلها (خلخالها) و قلبها (أساورها) و قلائدها و رعاثها (قرطها)، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع و الاسترحام. ثم انصرفوا وافرين و ما نال رجل منهم كلم (جرح)، و لا أريق لهم دم!

فلو أن امرءا مسلما مات بعد هذا أسفا، ما كان به ملوما، بل كان به عندى جديرا!

فيا عجبا! عجبا و اللّه يميت القلب، و يجلب الهمّ، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، و تفرّقكم عن حقكم! فقبحا

لكم و ترحا (هما و حزنا) حين صرتم غرضا يرمى، يغار عليكم و لا تغيرون، و تغزون و لا تغزون، و يعصى اللّه و ترضون!.

فإذا أمرتكم بالسير إليهم فى أيام الحر قلتم: هذه حمّاره القيظ، (شدّه الحر) أمهلنا ينصرم عنا الحر، و إذا أمرتكم بالسير إليهم فى الشتاء قلتم هذه صبّاره القر (شدّه البرد)، أمهلنا فينسلخ عنّا البرد، فكل هذا فرارا من الحرّ و القرّ، فإذا كنتم من الحرّ و القرّ تفرون، فأنتم و اللّه من السيف أفرّ!.

يا أشباه الرجال و لا رجال! حلوم الأطفال و عقول ربّات الحجال، لوددت أنى لم أركم و لم أعرفكم، معرفه - و اللّه - جرّت ندما و أعقبت سدما (غيظا)!

قاتلكم اللّه! لقد ملأتم قلبى قيحا، و شحنتم صدرى غيظا، و جرّعتمونى نغب التهمام (نغب جمع نغبه كجرعه لفظا و معنى، و التهمام: الهمّ) أنفاسا، و أفسدتم علىّ رأيى بالعصيان و الخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبى طالب رجل شجاع و لكن لا علم له بالحرب.

للّه أبوهم! و هل أحد منهم أشدّ لها مراسا و أقدم فيها مقاما منى! لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين و ها أنا ذا قد ذرفت على الستين! و لكن لا رأى لمن لا يطاع»(۱)!.

***

۱- الأغانى: ج ۱۵، ص ۴۵.

و لا بد من توضیح نقطه هامّه، و هی أن المبادره المطلوبه، هی المبادره فی أمر الخیر، و لیس فی أعمال الشرّ.. ذلک أن الشیطان یدفع بالإنسان عاده إلی استعجال الشّر، أما أعمال الخیر فلا تجد من یدفع إلی استعجالها، إلّا ضمیر الإنسان و دینه..

و القاعـده التی یجب الالـتزام بها هنا هی: «إذا عرض شـیء من أمر الآخره، فابـدأ به، و إذا عرض شـیء من أمر الـدّنیا فتأنّه حتی تصیب رشدک»(۱).

ف «التؤده ممدوحه فی کل شیء إلّا فی فرص الخیر»(۲).

و هذا یعنی أنک: «إذا هممت بخیر فبادر، فإنّک لا تدری ما یحدث»(۳) و ذلک «أن اللّه یحب من الخیر ما یعجّل»(۴)

و هکذا فإن «من همّ بشیء من الخیر فلیعجّله، فإنّ کل شیء فیه تأخیر فإنّ للشیطان فیه نظره»(۵).

و لقد أوصی الإمام علی علیه السّلام فی قضاء الحوائج، بالمبادره فقال: «لا یستقیم قضاء الحوائج إلّا بثلاث: باستصغارها

ص:۱۵۷

۱- بحار الأنوار: ج ۷۱، ص ۲۱۵.

۲- غرر الحکم و درر الکلم.

۳- الکافی: ج ۲، ص ۱۴۲.

۴- میزان الحکمه: ج ۶، ص ۷۴.

۵- الکافی: ج ۲، ص ۱۴۳.

لتعظم، و باستكتامها لتظهر، و بتعجيلها لتهنؤ»(۱) ذلك أنه «ليس من عاده الكرام تأخير الإنعام»(۲).

و بالطبع فإنّ المبادره، تختلف عن العجله، فالاستعجال هو نوع من التسرّع فى غير موقعه، أو المبادره إلى الشّر.. مثل الاستعجال إلى العقوبه قبل التثبّت، و لذلک کان «من کمال الحلم تأخیر العقوبه»(۳).

و لهذا أوصى الإمام ولده الحسن بقوله: «أخّر الشّر فإنک إذا شئت تعجّلته»(۴).

أمّا المبادره المطلوبه، فهی اغتنام فرص الخیر، و الولوج إلى أبواب العمل الصالح فور انفتاحها، و عدم إضاعه الوقت..

۱- قوت القلوب: ج ۲، ص ۲۲۲.

۲- غرر الحکم و درر الکلم.

۳- میزان الحکمه: ج ۶، ص ۷۳.

۴- العقد الفرید: ج ۳، ص ۱۵۵.

الوفاء

من أعظم صفات الرجال: الوفاء، و من أرذلها الغدر.

ذلك أن «الوفاء أشرف الخلائق»(۱) كما أنّ «الغدر شيمه اللئام»(۲) و «الوفاء عنوان النبل»(۳) و «الغدر أقبح الخيانتين»(۴).

و ما أحوج الّذين لهم مكانه فی المجتمع، من الزعماء و الحكّام و أصحاب المناصب، إلی التزام الوفاء و أداء الأمانه.

و ما أقلّهم!.

فكم من رجال فی التاريخ رفعتهم الأحداث إلی مصاف العظماء، ثم غدروا بمن كان معهم، فسقطوا فی حضيض المقبوحين؟ و كم من أناس مغمورين أوفوا للآخرين، فوقف لهم النّاس إجلالا و إكبارا علی مرّ الزمان؟

۱- غرر الحكم و درر الكلم.

۲- ميزان الحكمه: ج ۷، ص ۱۷۴.

۳- غرر الحكم و درر الكلم.

۴- المصدر السابق.

و إذا أخذنا بعين الاعتبار أن «أقلّ الناس وفاء الملوك»(۱) و من يدور فی فلكهم، حيث للشيطان سلطان فی قصورهم، فإن أعظم الحكّام هم أكثرهم وفاء، و التزاما بالعهد، و مجانبه للغدر..

و حقا فإن «الوفاء حصن السؤدد»(۲) «و حفظ الذمام»(۳) و به «يعرف الأبرار»(۴) بينما «الغدر يعظّم الوزر(۵) و مجانب للقرآن»(۶) و «يضاعف السيئات»(۷).

و الغريب أنّ كثيرا من الحكّام ابتلی بالغدر، حتی أصبح ذلك صفه من صفات الملوك و الأمراء، و عاده من عادات أصحاب التاج و الصولجان، و حقا من حقوقهم! و وسيله مشروعه لارتقاء سلالم الحكم! معتبرين ذلك من الحيل التی يجوز التوسّل بها فی الأعمال السياسيه..

و يبدو أنّ ذلك كان من الأمور التی عانی منها الإمام أمير

۱- بحار الأنوار: ج ۷۷، ص ۱۱۲.

۲- غرر الحكم و درر الكلم.

۳- ميزان الحكمه: ج ۱۰، ص ۶۰۲.

۴- غرر الحكم و درر الكلم.

۵- المصدر السابق.

۶- المصدر السابق.

۷- المصدر السابق.

المؤمنین علیه السّلام فی عصره، کما عانی کل الصادقین منه فی التاریخ.

یقول علیه السّلام: «أیّها النّاس: إن الوفاء توأم الصدق، و لا أعلم جنّه أوقی منه، و ما یغدر من علم کیف المرجع، و لقد أصبحنا فی زمان قد اتّخذ أکثر أهله الغدر کیسا (شطاره)، و نسبهم أهل الجهل إلی حسن الحیله.

«ما لهم؟! قاتلهم اللّه!. قد یری الحوّل القلّب (البصیر بتحولات الأمور و تقلباتها) وجه الحیله و دونها مانع من أمر اللّه و نهیه، فیدعها رأی العین بعد القدره علیها، و ینتهز فرصتها من لا حریجه له فی الدّین»(۱).

لقد ابتلی الإمام علیه السّلام بمناویء یتّخذ الغدر، و الاغتیال، و شراء الضمائر وسیلته لمواجهه الإمام و هو «معاویه بن أبی سفیان» الذی کان یرفع شعار: «و اللّه لأغلبنّ بدنیای دین علی»، و کان الإمام یری بأم عینیه کیف تنتقص أطراف مملکته شبرا شبرا بسبب الوسائل التی یستعملها معاویه، و لکنه علیه السّلام کان یرفض أن یستخدم نفس أسالیبه.. و یقول: «و اللّه ما معاویه بأدهی منّی و لکنه یغدر و یفجر، و لو لا کراهیه الغدر لکنت أدهی الناس، و لکن کلّ غدره فجره، و کل فجره کفره،

۱- نهج البلاغه: الخطب ۴۱ - و رسائل الجاحظ: ص ۱۲۵.

و لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامه! «و اللّه ما استغفل بالمكيده، و لا أستغمز بالشديده»(۱).

كان يعرف جيدا داء النّاس و دواءهم، و لكنه كان من أهل «الوفاء»، و من أئمه العدل، و من الأبرار الأخيار الّذين كلّما قوى أعداؤه فى الكذب و الدجل، كان يقوى هو فى الصدق و الصراحه و الحق..

كان الإمام يقول: «و اللّه إنى لأعلم بدائكم و دوائكم و لكن هيهات أن أصلحكم بخراب نفسى».

كان معاويه يستخدم الغدر و الاغتيال لقتل مناوئيه، فيضع السم فى العسل و يهديه لهم ثم يضحك و يقول: «إن للّه جنودا من العسل»، و كان أمير المؤمنين يشير إلى ابن ملجم و يقول:

- «هذا قاتلى»!

- فيقال له أ فلا نقتله؟ فيرفض ذلك و يقول: «إذا تقتلون بى غير قاتلى»!

و كان معاويه يكتب إلى ولاته و عمّاله: «انظروا إلى من روى حديثا لأبى تراب فاقتلوه» و يقول: «خذوهم بالتهمه و اقتلوهم بالظنّه».

و كان أمير المؤمنين يكتب إلى عمّاله: «فلا تغدرنّ بذمّتك

۱- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ۱۰، ص ۲۰۹.

و لا تخيّسن بعهدك، و لا تختّلن عدوّك، فإنه لا يجترىء على اللّه إلاّ جاهل شقى، و قد جعل اللّه عهده و ذمّته أمنا أفضاه بين العباد برحمته، و حريما يسكنون إلى منعته، و يستفيضون إلى جواره فلا ادغال، و لا مدالسه، و لا خداع فيه، و لا يدعونّك ضيق أمر لزمك فيه عهد اللّه إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه، و فضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته، و إن تحيط بك من اللّه فيه طلبه»(۱).

لقد رفض الإمام مجموعه أمور بسيطه، و منها قبول ولايه معاويه، و تثبيته على الشام، و جرّ ذلك عليه الكثير من المشاكل.. فقط لأن الإمام كان يرفض المناورات الشيطانيه و الغدر، و إلاّ كان باستطاعته أن يثبت معاويه أياما ثم يغدر به بكل سهوله.

لقد جاءه المغيره بن شعبه بعد مبايعته، فقال له:

- «إن لك حق الطاعه و النصيحه، و إن الرأى اليوم تحرز به ما فى غد، و إن الضياع اليوم تضيع به ما فى غد، أقرر معاويه على عمله، و أقرر العمال على أعمالهم، حتى إذا أتتك طاعتهم و بيعه الجنود استبدلت أو تركت».

۱- نهج البلاغه: الخطب ۵۳.

فأبى علیه السّلام و قال: «لا أداهن فی دینی، و لا أعطی الدنیئه فی أمری».

قال المغیره: «فإن کنت أبیت علیّ فانزع من شئت و اترک معاویه، فإنّ فی معاویه جرأه، و هو فی أهل الشام یستمع له و لک حجّه فی إثباته.. إذ کان عمر قد ولّاه الشام».

فقال علی علیه السّلام: «لا و اللّه.. لا أستعمل معاویه یومین»(۱).

لقد کان الإمام یرفض الغدر، إلی درجه أنه یعتبر الغادر و الخائن ممّن لا یجوز الوفاء معهما، فمن کسر حرمه الوفاء، فلا بدّ من ردعه بالشده و الحزم، لا باللین و اللطف.

یقول علیه السّلام: «الوفاء لأهل الغدر غدر عند اللّه، و الغدر بأهل الغدر وفاء عند اللّه»(۲).

و یقول: «الخائن لا وفاء له»(۳).

۱- عبقریه الإمام علی علیه السّلام: ص ۱۲۲.

۲- روض الأخیار: ص ۱۳۹.

۳- غرر الحکم و درر الکلم.

التضحیه

لا یمکن أن تنتصر قضیه لیس أصحابها مستعدّین للتضحیه من أجلها.

غیر أن هنا لک فرقا بین من یبحث عن المجد الشخصی، و إحراز الانتصار علی أعدائه فی حیاته، و بین من یمتلک قضیه، و یسعی من أجل انتصارها، حتی و إنّ أدّی ذلک إلی التضحیه بنفسه..

فالأول: إذا خسر، ستکون فی خسارته نهایته.

و الثانی: إذا خسر، فقد تکون فی خسارته نجاحه.

فالأهداف العلیا، کالمثل و القیم و الدّین، ستجد من ینتصر لها یوما، و کل من یقدم حیاته لها یتحوّل إلی رمز مقدس علی مرّ الأیام، و لذلک فمن یموت دون قضیه، یزیدها قوّه و مناعه..

فالتضحیه بالنفس للقضایا.. تقوّیها.

ص:۱۶۵

بينما التضحيه للنفس بالقضايا.. تنهيها.

و على أيّه حال فإن المغامره من أجل الأهداف، و خوض الغمرات فى الدفاع عنها، ضروره من ضرورات العمل للحق.

و أساسا كيف نعرف صدق المدّعين إلاّ حينما يدعون إلى التضحيه و الفداء؟.

إن أدعياء الحق كثيرون، و لكن المستعدين لبذل كل شىء له، هم الصادقون منهم. و هم الأقلون.

«فالناس عبيد الدنيا، و الدين لعق على ألسنتهم، يدورونها ما درت معائشهم فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الدّيانون»(۱).

و يبدو أن ذلك من سنّه اللّه فى الخلق حتى يميّز المجاهدين منهم عن الكاذبين. أَ حَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ (۲) وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ (۳) (۲).

إن الطريق إلى تحقيق المثل العليا، ملىء بالأشواك كما هى الطريق إلى الجنه، فقد «حفّت الجنه بالمكاره و حفّت النار بالشهوات»(۳).

و إذا كانت لنا برسول اللّه قدوه حسنه، فإن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

۱- حياه الإمام الحسين - القرشى.

۲- سوره العنكبوت، الآيتان: ۲-۳.

۳- المحاسن: ص ۶.

«خاض إلى رضوان اللّه كل غمره، و تجرّع فيه كل غصّه و قد تلوّن له الأدنون، و تألّب عليه الأقصون، و خلعت إليه العرب أعنّتها، و ضربت إلى محاربته بطون رواحلها حتى أنزلت بساحته عدواتها، من أبعد الدار و أسحق المزار»(۱).

إذن «لا تفرطوا فی صلاح، و أن تخوضوا الغمرات إلى الحق»(۲).

لقد أوصى الإمام ولده الحسن عليه السّلام - و هو العزيز على قلبه - أن يخوض كأبيه، الغمرات للحق قائلا: «جاهد فی اللّه حق جهاده، و لا تأخذک فی اللّه لومه لائم، و خض الغمرات للحق حيث كان»(۳).

إن التضحيه المطلوبه، لا تعنى بالضروره أن يموت الإنسان من أجل قضيته، و لكنها تعنى حتما الاستعداد للمغامره من أجلها و عدم وضع حدّ لما تتطلّبه من الغالى و الرخيص.

و هكذا كان الإمام على عليه السّلام فقد كان دائما على استعداد للمغامره بحياته فی سبيل الرساله، فما من غزوه إلّا و هو

۱- نهج البلاغه: الخطب ۱۹۴.
۲- الأمالی: ج ۱، ص ۲۲۱.
۳- نهج البلاغه: الكتب ۳۱.

أميرها، أو بطلها، و ما من دعوه تتطلّب التضحيه إلّا و هو أول من يستجيب لها.

و فيما يلى نموذج واحد من ذلك:

روى «أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خرج ذات يوم الفجر، ثمّ قال:

معاشر الناس أيّكم ينهض إلى ثلاثه نفر قد آلوا باللّات و العزّى ليقتلونى، و قد كذبوا و ربّ الكعبه»؟

فأحجم الناس و ما تكلّم أحد، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «ما أحسب علىّ بن أبى طالب عليه السّلام فيكم». فقال له عامر بن قتاده: إنّه وعك فى هذه الليله و لم يخرج يصلّى معك، فتأذن لى أن أخبره؟

فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «شأنك» فمضى إليه فأخبره، فخرج أمير المؤمنين عليه السّلام كأنّه نشط من عقال، و عليه إزار قد عقد طرفيه على رقبته، فقال: يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما هذا الخبر؟ قال النبى: «هذا رسول ربّى يخبرنى عن ثلاثه نفر قد نهضوا لقتلى» فقال على عليه السّلام: يا رسول اللّه أنا لهم سريّه وحدى، هو ذا ألبس علىّ ثيابى، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «بل هذه ثيابى و هذا درعى و هذا سيفى» فدرّعه و عمّمه و قلّده و أركبه فرسه.

و خرج أمير المؤمنين عليه السّلام فمكث النبىّ ثلاثه أيّام لا يأتيه

جبرائیل بخبره و لا خبر من الأرض، و أقبلت فاطمه بالحسن و الحسین علی ورکیها تقول: أوشک أن ییتّم هذان الغلامان.

فأسبل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عینه، ثم قال: «معاشر الناس من یأتینی بخبر علیّ أبشّره بالجنّه»، و افترق الناس فی الطلب لعظیم ما رأوا بالنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و خرج العواتق، فأقبل عامر بن قتاده یبشّر بعلیّ، و أقبل علیّ أمیر المؤمنین علیه السّلام معه أسیران و رأس و ثلاثه أبعره و ثلاثه أفراس.

فسأله رسول اللّه عن قصته؟

فقال علیه السّلام: یا رسول اللّه، لمّا صرت فی الوادی رأیت هؤلاء رکبانا علی الأباعر فنادونی من أنت؟

فقلت: أنا علیّ بن أبی طالب ابن عمّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

فقالوا: ما نعرف للّه من رسول، سواء علینا وقعنا علیک أو علی محمّد، و شدّ علیّ هذا المقتول، و دار بینی و بینه ضربات فضربته، و قطعت رأسه و أخذت هذین أسیرین.

فقال له رسول اللّه: «قدّم إلیّ أحد الرجلین»، فقدّمه فقال: «قل: لا إله إلاّ اللّه و اشهد أنّی رسول اللّه»، فقال: لنقل جبل أبی قبیس أحبّ إلیّ من أن أقول هذه الکلمه! فقال: یا علیّ أخّره و اضرب عنقه، ثمّ قدّم الآخر فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم له: «قل: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه و اشهد أنّی رسول اللّه، قال:

يـا محمّـد ألحقنى بصاحبى فقـال: صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: يـا علىّ أخّره و اضـرب عنقه، و قـام أمير المـؤمنين عليه السّـلام ليضـرب عنقه فهبط جبرائيل على النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرؤك السّلام و يقول: لا تقتله فإنّه حسن الخلق سخىّ فى قومه.

فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «يا علىّ أمسك فإنّ هذا رسول ربّى عزّ و جلّ يخبرنى أنّه حسن الخلق سخىّ فى قومه».

فقال المشـرك تحت السـيف: هذا رسول ربّك يخبرك؟ قال: نعم، قال: و اللّه ما ملكت درهما مع أخ لى قطّ و لا قطبت وجهى فى الحرب، و أنا أشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّك رسول اللّه.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «هذا ممّن جرّه حسن خلقه و سخاؤه إلى جنّات النّعيم»(۱).

۱- الخصال: ج ۱، ص ۴۶-۴۸.

العطاء

العطاء سمه بارزه من سمات أولياء اللّه، فهم يعطون من أنفسهم و أموالهم و أوقاتهم، و حياتهم، من غير ما رغبه فى الجزاء من أحد..

و من هنا فإنهم دائما يبحثون عن ذوى الحاجه و العوز، لا عن ذوى الثروه و المال. و يرون العطاء أصلا من أصول الحياه، و واجبا من واجباتهم، كما يقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «لم نبعث لجمع المال، و لكن بعثنا لإنفاقه»(۱)!

فرسالتهم هى الإنفاق لا الجمع. و العطاء لا التكاثر.

و الكرم لا البخل.

و هكذا كان الإمام على عليه السّلام يقدم الآخرين على نفسه، و يبحث عمن يعطيه و يعتبر ذلك دينا عليه، لا له، و يقول:

۱- مشكاه الأنوار: ص ۱۸۳.

«الكريم يرى مكارم أخلاقه دينا عليه يقضيه، و اللئيم يرى سوالف إحسانه دينا له يقتضيه»(۱).

و لذلك فإنه عليه السّلام كان يبحث عن ذوى الحاجه ليعطيهم، كما يبحث أحدنا عن الدرّ و الجوهر..

و كما يقول أحدهم: «ما كان على لينتظر حتى يسأله سائل، بل كان يبحث هو نفسه عن صاحب الحاجه، و المسكين، و اليتيم، و الفقير و المحروم، يمضى إليهم هو و يعطيهم من ماله ما يعتقد أنه حق لهم معلوم. و كان يقول:

«السخاء ما كان ابتداء أما ما كان عن مسأله فحياء و تذمم» (فرار من الذم).

هكذا كان يؤتى ماله يتزكى، و ما لأحد عنده من نعمه تجزى، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى.. و لسوف يرضى! و قد جعله ربّه رضيّا.

و لشدّه ما كان يرضى إذ يسعد الآخرين!!.. و كان عند ربّه مرضيّا!.. أرضى اللّه و رسوله، فأرضاه اللّه و رسوله(۲).

و حينما رزق اللّه المسلمين غنائم كثيره و اتسع رزق المجاهدين منهم، اتخذ بعضهم المزارع، و الدور الكبيره، و فاخر الرياض.. أما هو و نفر من كبار الصحابه، فقد كانوا

۱- غرر الحكم و درر الكلم.

۲- على إمام المتقين: ج ۱، ص ۴۹.

يتصدّقون بما يغنمون!، بل و لم يكن يؤخّر العطاء من الليل إلى النهار..

فعن سالم الجحدرى قال:

«شهدت علىّ بن أبى طالب عليه السّلام أتى بمال عند المساء، فقال: اقتسموا هذا المال:

فقالوا: قد أمسينا يا أمير المؤمنين فأخّره إلى غد.

فقال لهم: تقبلون لى أن أعيش إلى غد؟

قالوا: ما ذا بأيدينا؟

فقال: لا تؤخّروه حتّى تقسّموه»(۱).

لقد كان كريما بلا حدود، و ضد البخل بلا تحفّظ.

فالسخاء عنده «يزرع المحبه»(۲) و «يثمر الصفاء»(۳) و «يزين الأخلاق»(۴) و «يمحّص الذنوب و يجلب محبّه القلوب»(۵) و هو «ثمره العقل»(۶).

ذلك أن «السخاء خلق اللّه الأعظم»(۷) و «خلق الأنبياء»(۸)

۱- بحار الأنوار: ج ۴۰، ص ۳۲۱.
۲- غرر الحكم و درر الكلم.
۳- المصدر السابق.
۴- ميزان الحكمه: ج ۴، ص ۴۲۰.
۵- غرر الحكم و درر الكلم.
۶- المصدر السابق.
۷- كنز العمال: خ ۱۵۹۲۶.
۸- غرر الحكم و درر الكلم.

و لذلک فإنه «ما جبل اللّه وليا إلاّ على السخاء»(۱) و من هنا فإنّ «ساده النّاس فی الدنيا الأسخياء»(۲).

أمّيا البخل، فعند الإمام هو: «جامع لمساویء العيوب، و هو زمام يقاد به إلی كل سوء»(۳) إذن «البخل أذمّ الأخلاق»(۴) و هو «عار»(۵).

كان عليه السّلام يؤمن بالجزاء و لذلک كان يجود بالعطيه.

و قد روی «أن عليا جلس فی سوق المدينه المنوّره و معه ابنه الحسن و هو صغير، و مرّ سائل مسكين، فرق علیّ له فقال للحسن: «اذهب إلى أمک فقل لها: تركت عندک سته دراهم، فهات منها درهما».

فذهب الحسن إلى أمه ثم رجع إلى أبيه فقال: «أمی تقول لک إنما تركت سته دراهم للدقيق».

فقال علی: «لا يصدق إيمان عبد حتی يكون بما فی يد اللّه أوثق منه بما فی يده، قل لها ابعثی بالدراهم السته جميعا».

۱- كنز العمال: خ ۱۶۲۰۴.
۲- غرر الحكم و درر الكلم.
۳- بحار الأنوار: ج ۷۳، ص ۳۰۷.
۴- بحار الأنوار: ج ۷۲، ص ۱۹۹.
۵- بحار الأنوار: ج ۷۳، ص ۳۰۷.

فبعث بها إليه فدفعها كلها إلى السائل.

و بعد لحظات مرّ به رجل معه جمل يبيعه.

فقال على: «بكم الجمل»؟

قال الرجل: «بمائه و أربعين درهما».

قال على للرجل إنه يشترى الجمل، و لكنه سيدفع ثمنه بعد حين!. فوافق صاحب الجمل، و تركه لعلى و مضى.

ثم أقبل رجل آخر فقال: «لمن هذا البعير»؟.

قال على: «لى».

قال الرجل: «أ تبيعه».

قال الرجل: «بكم»؟.

قال الإمام: «بمائتى درهم». فأخذ الرجل البعير و أعطى عليا المائتين.

فأعطى صاحب الجمل - حين عاد إليه - حقه، و هو مائه و أربعون درهما. و جاء بستين درهما إلى فاطمه عليها السّلام. فقالت:

«ما هذا»؟. قال: «هذا ما وعدنا اللّه على لسان نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من جاء بالحسنه فله عشر أمثالها»(۱).

و كان عليه السّلام يعطى، و لا يتوقّع الشكر، و يقول: «إن مكرمه

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۴۰.

صنعتها إلى أحد من الناس، إنما أكرمت بها نفسك، و زيّنت بها عرضك فلا تطلب من غيرك شكر ما صنعت إلى نفسك»(۱).

قال عنه الشعبى: «كان على عليه السّلام أسخى الناس، كان على الخلق الذى يحبّ اللّه: السخاء و الجود، ما قال «لا» لسائل قطّ. و قال عدوّه و مبغضه الذى يجتهد فى وصمه و عيبه معاويه بن أبى سفيان لمحفن بن أبى محفن الضبىّ لمّا قال:

جئتك من عند أبخل النّاس.

«فقال معاويه: ويحك كيف تقول إنّه أبخل الناس و لو ملك بيتا من تبر و بيتا من تبن لأنفد تبره قبل تبنه؟ و هو الذى كان يكنس بيوت الأموال و يصلّى فيها، و هو الذى قال: يا صفراء و يا بيضاء غرّى غيرى، و هو الّذى لم يخلّف ميراثا و كانت الدنيا كلها بيده إلّا ما كان من الشام»(۲).

و روى «أنّه كان يأتى عليه وقت لا يكون عنده قيمه ثلاثه دراهم يشترى بها إزارا و ما يحتاج إليه، ثم يقسّم كلّ ما فى بيت المال على النّاس، ثم يصلّى فيه فيقول: الحمد للّه الذى أخرجنى منه كما دخلته»(۳).

۱- غرر الحكم و درر الكلم.

۲- شرح نهج البلاغه: ج ۱، ص ۲۱۵.

۳- بحار الأنوار: ج ۴۰، ص ۳۲۱.

كان يكره البخل، و الباخلين، و يقول: «البخيل يذلّ مصاحبه، و يعزّ مجانبه»(۱) و يقول: «البخل بالموجود سوء ظن بالمعبود»(۲) ، و يقول: «ليس لبخيل حبيب»(۳) ، و يقول:

«عجبت للشقى البخيل، يتعجّل الفقر الـذى منه هرب، و يفوته الغنى الـذى إياه طلب، فيعيش فى الدنيا عيش الفقراء، و يحاسب فى الآخره حساب الأغنياء»(۴).

و كان يوصى بالابتعاد عن البخلاء، و يقول: «إيّاك و مصادقه البخيل فإنه يقعد عنك، أحوج ما تكون إليه»(۵) ، و يوصى بعدم استشارته أيضا و يقول: «فلا تدخلن فى مشورتک بخيلا»(۶).

و كان يرى الكرم شرطا لإمامه المسلمين و يقول: «لا ينبغى إمامه المسلمين: البخيل فتكون فى أموالهم نهمته»(۷).

و لقد كان منبع العطاء، و مصدر الكرم، كان يعطى و هو

۱- غرر الحكم و درر الكلم.

۲- المصدر السابق.

۳- ميزان الحكمه: ج ۱، ص ۳۷۵.

۴- بحار الأنوار: ج ۷۲، ص ۱۹۹.

۵- نهج البلاغه: الحكم ۳۸.

۶- نهج البلاغه: الكتب ۵۳.

۷- نهج البلاغه: الخطب ۱۳۱.

محتاج يقول بعض من عاصره: «كانت غلّه علیّ أربعين ألف دينار، فجعلها صدقه، و إنّه باع سيفه و قال: لو كان عندی عشاء ما بعته»(۱).

و يقول ابن عباس: «إن علی بن أبی طالب عليه السّلام كان يملك أربعه دراهم، فتصدّق بدرهم ليلا و بدرهم نهارا و بدرهم سرّا و علانيه، فأنزل اللّه سبحانه فيه: اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۲)(۳).

كان يقول: «لا تستح من إعطاء القليل فإنّ الحرمان أقلّ منه»(۴) و قد روی أنه عليه السّلام نظر إلی فقير انخرق كمّ ثوبه، فخرق عليه السّلام كمّ قميصه و ألقاه إليه(۵).

و كان يعاتب من لا يشجّع علی الكرم، أو يدعو إلی البخل و قد روی: «أن أمير المؤمنين عليه السّلام بعث إلی رجل بخمسه

۱- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۲۶.

۲- سوره البقره، الآيه: ۲۷۴.

۳- كشف الغمّه: ص ۵۰.

۴- المستطرف: ج ۱، ص ۱۶۳.

۵- بحار الأنوار: ج ۴۰، ص ۳۲۳.

أوساق من تمر. فقال له رجل: «و اللّه ما سألک فلان، و لقد کان یجزیه من الخمسه أوساق، وسق واحد..

فغضب علیه السّلام و قال له علیه السّلام: «لا کثّر اللّه فی المؤمنین مثلک، أعطی أنا و تبخل أنت»؟(۱).

لقد کان الإمام یعطی بمقدار کرمه هو، لا بمقدار حاجه من یعطیه.

من ذلک ما روی أن أعرابیا سأله شیئا، فأمر له بألف، فقال وکیله: من ذهب أو فضه؟ (أی دینار أو درهم):

فقال علیه السّلام: «کلاهما عندی حجر، أعط الأعرابی أنفعهما له»(۲).

«و کان إذا أعطی شیئا حتی خطأ، فلا یسترجعه فقد ذکر المؤرخون أن عبد اللّه بن الزبیر قال للإمام: إنی وجدت فی حساب أبی أنّ له کذا من المال؟ فقال له: إن أباک لصادق إن قال هذا، فقضی ذلک، ثم جاءه ابن الزبیر قائلا: غلطت فیما قلت، إنما کان لوالدک علی والدی ما ذکرته لک، فقال:

والدک فی حلّ، و الذی قبضته منی هو لک»(۳).

لقد أوصاه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یکون معطاء حتی مع

۱- الوسائل: ج ۶، ص۳۱۸

۲- السبیل إلی إنهاض المسلمین: ص ۴۴۲.

۳- المصدر السابق: ص ۴۴۲.

أعدائه، فقال له: «يا على، أ لا أدلك على خير أخلاق الأولين و الآخرين»؟.

قال: «بلى يا رسول اللّه».

قال: «تعطى من حرمک، و تعفو عمّن ظلمک، و تصل من قطعک»(۱).

و عملا بهذه الوصيه، لم يكن عطاء الإمام عليه السّلام يقتصر على عامه الناس، أو من له هوى فيه، بل كان يشمل حتى الأعداء.

و هذا هو الامتحان الصعب. فأنت قد تعطى من تحبّه، أمّا أن تعطى من يعاديک و تعاديه، فهو العطاء الذى لا تشوبه شائبه، و لا يمكن إلاّ أن يكون فى سبيل اللّه.

و قد تجلّى ذلک فى موارد كثيره. و لكننا نقتصر على بعض النماذج، فقد روى أنّ عليا عليه السّلام كان يحارب رجلا من المشركين، فقال المشرک:

«يا ابن أبى طالب هبنى سيفک»، فرماه إليه.

فقال المشرک: «عجبا يا ابن أبى طالب فى مثل هذا الوقت تدفع إلىّ سيفک؟!

فقال: «يا هذا إنّک مددت يد المسأله إلىّ، و ليس من الكرم أن يردّ السائل».

۱- كلمه الرسول الأعظم.

فرمی الکافر نفسه إلی الأرض و قال: «هذه سیره أهل الدین، فقبّل جبهته و أسلم»(۱).

و من ذلک أیضا ما جری بینه و بین معاویه فی صفّین، حینما سبق معاویه و جنده، الإمام إلی الماء. و کانت شریعه الماء التی ملکها معاویه هی المورد الوحید علی النهر إلی الماء. و لقد جعل معاویه علیه حرسا کبیرا بقیاده أبی الأعور، و أمرهم أن یمنعوا الماء علیا و جنوده. و جاء جنود علی یشربون فصدّهم جیش معاویه، و شرعوا فی وجوههم الرماح و السیوف، و رشقوهم بالنبال!!

فقال له عمرو بن العاص: «یا معاویه خلّ بین القوم و بین الماء فإنهم لن یعطشوا و أنت ریان. و لکن بغیر الماء فانظر فیما بینک و بینهم».

فأبی معاویه..

فقال عمرو: «یا معاویه ما ظنّک بالقوم إن منعوک الماء غدا کما منعتهم الیوم»؟. قال: «إن علیا لا یستحلّ منّا ما نستحلّ منه».

و لما أحسّ جند الإمام حرّ العطش شکوا إلیه، و طلبوا منه أن یأذن لهم بقتال جند معاویه علی الماء.

فأرسل الإمام إلی معاویه من یقول له: «إنّا سرنا مسیرنا

۱- فضائل العشره: أبو السعادات.

هـذا و نحن نكره قتالكم قبل الإعـذار إليكم، فقـدمت إلينا خيلك و رجلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، و بدأتنا بالقتال! و نحن من رأينـا الكفّ حتى نـدعوك و نحتـجّ عليـك. و هـذه أخرى قـد فعلتموهـا، منعتم الناس من الماء، و الناس غير منتهين أو يشـربوا، فابعث إلى أصـحابك فليخلوا بين الناس و الماء، و ليكفوا لننظر فيما بيننا و بينكم و فيما قـدمنا له. فإن أردت أن نترک ما جئنا له و نقتتل على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب، فعلنا».

فقـام رجـل من أهـل الشـام فقال: «أما و اللّه لو سـبقكم عليّ إلى الماء لسـقاكم منه. أما تعلمون أن فيهم العبـد و الأمه و الأجير و الضـعيف و من لا ذنب له؟ فهذا أول الجور! يا معاويه لقد شـجّعت الجبان، و بصّـِرت المرتاب، و حملت من لا يريد قتالک على كتفيک».

و كان الرجل صديقا لعمرو فقال له معاويه: «يا عمرو اكفنى صديقک»!.

و أمر الإمام جنوده أن يحاربوا على الماء.. فاندفع بهم الأشتر و الإمام يدعو قائلا:

«اللّهمّ إن أظهرتنا على عدوّنا فجنّبنا البغى، و سدّدنا للحق، و إن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهاده و اعصم بقيه أصحابى من الفتنه».

و حمل جند الإمام حمله ضاریه فانهزم جند الشام عن الماء، و صار الماء فی أیدی جند الإمام، فقال رجال منهم:

«و اللّه لا نسقیهم»(۱).

و خاطبوا الإمام قائلین: «امنعهم یا أمیر المؤمنین من الماء، کما منعوک، و لا تسقهم منه قطره، و اقتلهم بسیوف العطش، و خذهم قبضا بالأیدی فلا حاجه لک إلی الحرب».

و کانت الفرصه سانحه للإمام بأن ینتصر فعلا علی معاویه، و لم یکن فی ذلک یفعل إلاّ ما فعله معاویه من قبل، و بحکم الآیه الکریمه: فَمَنِ اعْتَدی عَلَیْکُمْ فَاعْتَدُوا عَلَیْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدی عَلَیْکُمْ (۲) کان للإمام الحق فی ذلک و لکن لم یفعل..

فقد رفض منع معاویه و جنده الماء، و قال لأصحابه: «لا أفعل ما فعله الجاهلون، و لا أکافئهم بمثل فعلهم».

و أضاف علیه السّلام: «خذوا حاجتکم من الماء و ارجعوا إلی عسکرکم، و خلّوا بینهم و بین الماء، فإن اللّه قد نصرکم ببغیهم و ظلمهم».

۱- علی إمام المتّقین: ج ۲، ص ۴۵-۴۶.

۲- سوره البقره، الآیه: ۱۹۴.

و أرسل الإمام إلى معاويه: «إنّا لا نجازيک بصنعک! هلم إلى الماء فنحن و أنتم فيه سواء».

و شعر معاويه بالخجل. و تغيظ عمرو على معاويه. فقال له معاويه: «يا عمرو، كان فلته من رأى أعقبتنى بخطئها» ثم التفت إلى بطانته و قال: «للّه درّ عمرو! ما عصيته فى أمر قطّ إلاّ أخطأت فيه»!(۱).

ص:۱۸۴

۱- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ۴۵۳.

الشجاعه

الشجاعه من الشروط الأساسيه للنجاح، سواء على المستوى العام، للزعماء و أصحاب الرسالات، أم على المستوى الشخصى للآباء و الأمهات، أم للعاملين فى الحقول المختلفه فى الحياه.

و هى حجر الزاويه فى صفات الفروسيه. فهل يمكن تصوّر رجل عظيم جبان؟ و هل هناك شخص واحد نجح من غير إقدام؟

و حقا فإن «الشجاعه نصره حاضره و قبيله ظاهره»(۱) و هى بلا شک «أحد العزّين»(۲).

بينما «الجبن آفه، و العجز سخافه»(۳) كما أنه «عار و منقصه»(۴).

ص:۱۸۵

۱- ميزان الحكمه: ج ۵، ص ۲۶.

۲- المصدر السابق.

۳- غرر الحكم و درر الكلم.

۴- بحار الأنوار: ج ۷۳، ص ۳۰۷.

و کما أن «السخاء و الشجاعه غرائز شریفه یضعها اللّه سبحانه فیمن أحبه و امتحنه»(۱) فإن «الجبن و الحرص و البخل غرائز یجمعها سوء الظن باللّه»(۲).

و قد یتساءل البعض من أین تنبع الشجاعه؟ و ما هو مقدارها فی الرجال؟

و الجواب أن للشجاعه مصادر شتی. منها: «الهمّه العالیه» لأن «شجاعه الرجل علی قدر همّته»(۳).

و منها: «الحمیّه» المترسخه فی النفس لأن «علی قدر الحمیّه تکون الشجاعه»(۴).

و منها: الأنفه» ف «قدر الرجل علی قدر همته، و صدقه علی قدر مروءته، و شجاعته علی قدر أنفته»(۵).

و منها: السخاء بالنفس، و الإباء من الذل، و طلب الذکر. فقد «جبلت الشجاعه علی ثلاث طبائع، لکل واحده منهن فضیله لیست للأخری: السخاء بالنفس. و الأنفه من الذلّ، و طلب الذکر، فإن تکاملت فی الشجاع: کان البطل الذی لا یقام لسبیله،

۱- میزان الحکمه: ج ۵، ص ۲۶.

۲- غرر الحکم و درر الکلم.

۳- المصدر السابق.

۴- میزان الحکمه: ج ۵، ص ۲۷.

۵- نهج البلاغه: الحکم ۴۷.

و الموسوم بالإقدام فى عصره، و إن تفاضلت فيه بعضها على بعض كانت شجاعته فى ذلك الذى تفاضلت فيه أكثر و أشدّ إقداما»(۱).

و لكن متى تظهر شجاعه الرجال؟

فى الادعاء، ربما لا يوجد من يعترف بالجبن. و لكن فى المواجهه تظهر الحقائق. حيث إن «ثلاثه لا تعرف إلّا فى ثلاثه مواطن: لا يعرف الحليم إلّا عند الغضب. و لا الشجاع إلّا عند الحرب. و لا الأخ إلّا عند الحاجه»(۲).

و لعل ذلك هو السبب فى أن الإمام على عليه السّلام الذى اقترن اسمه بكل صفات الفروسيه، و امتزج ذكره مع الشجاعه كواحده من أظهر و أشهر صفاته، لم يتحدّث كثيرا عن الشجاعه. لأنه عليه السّلام كان يمارسها بالفعل، و لم يكن يلهج بذكرها فحسب.. كما يفعل الكثيرون، فحديثه عن الشجاعه، هو مواقفه و أفعاله و ممارساته، و هى أصدق حديث و أقوى كلام.

إن الشجاع يعرف عند الحرب. و هكذا عرف الإمام. ففى كل موقف صعب كان هو العلم و الشاخص. فهو العون فى

۱- تحف العقول: ص ۲۳۷.

۲- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۲۲۹.

النوائب، و الحاضر فی الصعاب، و الرایه فی المغازی، و الرفیق فی البأساء.. یؤمن حینما یکفر الآخرون، و یصمد حینما یهرب الآخرون، و یقاتل حینما یفرّ الآخرون. کرّار غیر فرّار و تلک هی الشجاعه حقا..

«و تدل أخباره - کما تدل صفاته - علی قوه جسدیه بالغه فی المکانه و الصلابه علی العوارض و الآفات. فربّما رفع الفارس بیده فجلد به الأرض غیر جاهد و لا حافل، و یمسک بذراع الرجل فکأنما أمسک بنفسه فلا یستطیع أن یتنفّس، و اشتهر عنه أنه لم یصارع أحدا إلّا صرعه، و لم یبارز أحدا إلّا قتله، و قد یزحزح الحجر الضخم لا یزحزحه إلّا رجال أشدّاء، و یحمل الباب الکبیر الذی یعجز عن تحریکه الأشدّاء، و یصیح الصیحه فتنخلع لها قلوب الشجعان»(۱).

و قد قیل عن ضرباته: «کانت لعلی علیه السّلام ضربتان: إذا تطاول قدّ، و إذا تقاصر قطّ».

و قالوا «کانت ضرباته أبکارا، إذا اعتلی قدّ و إذا اعترض قطّ، و إذا أتی حصنا هدّ».

و قالوا: «کانت ضرباته مبتکرات لا عوانا»(۲).

۱- عبقریه الإمام علی علیه السّلام: ص ۱۵.

۲- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۶۷.

«و كان إلى جانب قوته البالغه شجاعا لا ينهض له أحد فى ميدان مناجزه، فكان لجرأته على الموت لا يهاب قرنا من الأقران بالغا ما بلغ من الصوله، و رهبه الصيت»(۱).

لم يفر من معركه قط، و هو القائل: «استحيوا من الفرّ فإنه عار فى الأعقاب و نار يوم الحساب»(۲) و «إن فى الفرار موجده اللّه و الذل اللازم»(۳) «و أيم اللّه لئن فررتم من سيف العاجله لا تسلموا من سيف الآخره»(۴).

و قد قيل له:

- لم لا تشترى فرسا عتيقا؟

فقال: «لا حاجه لى فيه، و أنا لا أفرّ ممّن كرّ علىّ، و لا أكرّ على من فرّ منّى»(۵)!.

و حقا فإن الذى لا يهاب الموت لا يبالى فى المواجهه، و يتمتع بشجاعه خارقه بينما ضعاف النفوس و اليقين هم الجبناء الخائفون فإن «شدّه الجبن من عجز النفس، و ضعف اليقين»(۶).

ص:۱۸۹

۱- عبقريه الإمام على عليه السّلام: ص ۱۶.

۲- نهج البلاغه: الخطب ۶۶.

۳- الفتوح: ج ۳، ص ۷۳.

۴- نهج البلاغه: الخطب ۱۲۴.

۵- أمالى الصدوق: ص ۱۰۲.

۶- غرر الحكم و درر الكلم.

و لقد كان الإمام قويا فى نفسه، عظيما فى يقينه، و لذلك كان شجاعا فى مواجهه الموت، و هو القائل فى أواخر لحظات حياته: «و اللّه ما فاجأنى من الموت وارد كرهته، و لا طالع أنكرته، و ما كنت إلاّ كقارب ورد، و طالب وجد و ما عند اللّه خير للأبرار»(۱).

و من كانت هذه صفته فلا يبالى بالموت، فقد روى «أن أمير المؤمنين كان يطوف بين الصفين، بصفين، فى «غلاله» فقال له ولده الحسن عليه السّلام: «ما هذا زىّ الحرب»!

فقال عليه السّلام: «يا بنى.. إن أباك لا يبالى وقع على الموت، أو وقع الموت عليه»(۲).

و كان يقول: «و اللّه لا أبالى دخلت إلى الموت، أو خرج الموت إلىّ»(۳).

و يقول: «و اللّه، لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمّه»(۴).

و قال فى الصبيحه التى قتل فيها:

اشدد حيازيمک للموت فإن الموت لاقيكا

و لا تجزع من الموت إذا حلّ بواديكا

۱- مروج الذهب: ج ۲، ص ۴۳۶.
۲- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۲.
۳- نهج البلاغه: الخطب ۵۵.
۴- نهج البلاغه: الخطب ۵.

كما أضحكك الدهر كذاك الدهر يبكيكا(۱)

و لقد رفض أكثر من مره أن يتّخذ حارسا، بالرغم من أن خليفتين قبله كانا قد قتلا فعلا، و هما الخليفه الثانی «عمر بن الخطاب» و الخليفه الثالث «عثمان بن عفان». و بالرغم من أنه كان يخوض حروبا داخليه، و لربما كان يتحول صاحبه خلال ليله واحده إلی عدوّه. و قد قتل فيما بعد علی يد واحد من أمثال هؤلاء و هو الخارجی عبد الرحمن بن ملجم..

و مع ذلک لم يتّخذ حارسا. و حينما كان البعض يتبرّع لذلک كان يرفضه..

من ذلک ما روی أنه: «كان لعلی عليه السّلام غلام اسمه قنبر، و كان يحبّ عليا حبّا شديدا، فإذا خرج علیّ خرج علی أثره بالسيف.

فرآه ذات ليله فقال: يا قنبر ما لک؟

قال: جئت لأمشی خلفک، فإنّ الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين، فخفت عليک.

قال: ويحک أمن أهل السماء تحرسنی أم من أهل الأرض؟

قال: لا بل من أهل الأرض؟

۱- علی من المهد إلی اللّحد.

قال: إنّ أهل الأرض لا يستطيعون بی شيئا إلّا بإذن اللّه عزّ و جلّ من السماء فارجع فرجع»(۱).

و فی معركه الجمل خرج إلی عدوّه للاحتجاج و هو حاسر فقال أصحابه: «أ لا نحرسک»؟ فقال: «حرس امرأ أجله».

فقالوا: «لا تخرج و أنت بقميص واحد و حاسر»!.

فقال: «لقد قاتلت مع النبی و أنا حاسر، أكثر مما قاتلت و أنا دارع. إنما أنا ذاهب إلی الزبير حواری رسول اللّه، و ابن عمته»(۲)!!

و فی نهايات معركه «صفّين» قرّر بعض أصحابه أن يختاروا كل ليله عشره منهم يبيتون بالسلاح ساهرين علی حراسته دون أن يستأذنوه.. و رآهم ذات ليله فسألهم: «ما يجلسكم»؟ قالوا: «نحرسك يا أمير المؤمنين»: فقال ساخرا: «من أهل السماء»؟! ثم قال: «إنه لا يكون فی الأرض شیء حتی يقضی فی السماء، و إنه ليس من الناس أحد إلّا و قد وكّل به ملكان يدفعان عنه فإذا جاء القدر خلّيا عنه، و إنه لا يجد عبد حلاوه الإيمان حتی يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، و ما أخطأه لم يكن ليصيبه»(۳).

***

۱- التوحيد: ص ۳۵۰.
۲- علی إمام المتّقين: ج ۱، ص ۲۷۰.
۳- المصدر السابق: ج ۲، ص ۳۸۹.

و لقد ظهرت شجاعه الإمام مبكرا، و هو بعد فی العاشره من عمره، حینما نزل الوحی علی رسول اللّه و وقفت قریش فی وجه الرساله، و بدأت تؤذی النبی بشتّی الوسائل، و منها دفع الأطفال للاعتداء علیه، و رمیه بالحجاره. فما کان من الإمام إلّا و قد نصّب نفسه حارسا أمینا لرسول اللّه، فکان إذا خرج، خرج معه و أیّما طفل من أطفال قریش یحاول إیذاء النبی کان علی یصرعه علی الأرض و لربما یقضم أنفه، أو یعضّ أذنه، فسمّوه «القضم» و خافوا منه خوفا شدیدا، فکانوا یبتعدون عن رسول اللّه، کلما کان معه «علی» و یتجرؤون علیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إن لم یکن معه..

و لیله الهجره بات علی فراش رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیؤمّن تغطیه خروج النبیّ حتی لا تعلم قریش بذلک، بعد أن عزموا علی قتله..

و فی المواقع التی شهدها مع رسول اللّه - فیما بعد - منذ أُذِنَ لِلَّذِینَ یُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللّهَ عَلی نَصْرِهِمْ لَقَدِیرٌ (۱) ، کانت الشجاعه تتلبسه، فإذا هو الفارس الأول، و المحور الأساسی للمعارک، و صاحب الرایه فی کثیر منها، و قائدها فی أغلب الأحیان..

«و لقد کان فی نحو العشرین، یوم بدر.. و تقدم أقوی

ص:۱۹۳

۱- سوره الحج، الآیه: ۳۹.

فرسان قریش یتحدّون المسلمین، و یستفزون محمدا، و یطلبون أقوی فرسانه للمبارزه.

فقد برز من صنادید المشرکین عتبه و أخوه شیبه و ابنه الولید فقالوا: «من یبارز»؟. فخرج من المسلمین فتیه من الأنصار.

فقال عتبه: «لا نرید هؤلاء، و لکن یبارزنا من بنی أعمامنا من بنی عبد المطلب».

فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «قم یا حمزه، قم یا عبیده، قم یا علی».

فبرز حمزه لعتبه فقتله، و برز علی للولید بن عتبه فقتله، و قتل عبیده بن الحارث شیبه بمساعده حمزه و علی، بعد أن قطع شیبه رجل عبیده.

و نزلت فی ذلک الآیه الکریمه: أَمْ نَجْعَلُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ کَالْمُفْسِدِینَ فِی الْأَرْضِ (۱). فالذین آمنوا هم حمزه و علی و عبیده بن الحارث. و «المفسدون فی الأرض» هم عتبه و شیبه و الولید بن عتبه»(۲).

و عند ما التحم الجمعان فعل حمزه و علی فی جیش

۱- سوره ص، الآیه: ۲۸.

۲- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۴۱.

المشركين الأفاعيل، كما أبلى المجاهدون فى سبيل اللّه بلاء حسنا.

قال على: «قاتلت يوم بدر قتالا ـ ثم جئت إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإذا هو ساجد يقول: يا حىّ يا قيّوم. ثم ذهبت فقاتلت ثم جئت فإذا النبى ساجد يقول: يا حىّ يا قيّوم. ففتح اللّه عزّ و جلّ عليه».

و فى يوم بدر قتل على أصحاب ألويه قريش جميعا، فأبصر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جماعه من مشركى قريش فقال لعلى:

«احمل عليهم» فحمل عليهم ففرّق جمعهم، و فرّوا، و قتل منهم سيد بنى جمح. ثم أبصر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جماعه أخرى من المشركين فقال لعلى: «احمل عليهم». فحمل عليهم ففرّقهم و قتل منهم سيد بنى عامر بن لؤى.

و فى يوم بدر قتل على كثيرا من زعماء قريش(۱).

***

أمّا فى يوم أحد فقد ظهر فى شجاعه الإمام، و هو لا يزال فتى يافعا، أكثر من كل الصحابه، و لو لا الإمام فلربّما كانت المعركه تنتهى إلى مقتل النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هزيمه المسلمين جميعا بل إنه سرت إشاعه مقتله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فعلا مما دفع الكثير من المسلمين

۱- المصدر السابق: ص ۴۲.

إلى الهرب بينما وقف الإمام، وقفه الرجال. يقول الإمام عن ذلک - «لحقنی من الجزع ما لا أملک نفسی، و کنت أمامه أضرب بسیفی، فرجعت أطلبه فلم أره، فقلت: ما کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیفرّ و ما رأیته فی القتلی و أظنّه رفع من بیننا، فکسرت جفن سیفی و قلت فی نفسی: لأقاتلنّ به حتّی أقتل، و حملت علی القوم، فأفرجوا فإذا أنا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قد وقع علی الأرض مغشیا علیه، فوقفت علی رأسه، فنظر إلیّ و قال:

ما صنع الناس یا علیّ؟

قلت: کفروا یا رسول اللّه، ولّوا الدبر من العدوّ و أسلموک».

«ثم إنّه أبصر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کتیبه معاویه فقال لعلی:

«احمل علیهم»، فحمل علیهم و فرّق جمعهم، و قتل عمرو بن عبد اللّه الجمحیّ؛ ثم أبصر کتیبه أخری فقال لعلی: ردّ عنّی، فحمل علیهم ففرّق جماعتهم، و قتل شیبه بن مالک العامریّ، ثم رأی کتیبه أخری فقال: احمل علیهم، فحمل علیهم فهزمهم، و قتل هاشم بن أمیّه المخزومیّ، فقال جبرئیل: یا رسول اللّه إنّ هذه لهی المواساه، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إنّه منّی و أنا منه، فقال جبرئیل: و أنا منکما، فسمعوا صوتا یقول:

لا سیف إلاّ ذو الفقار و لا فتی إلاّ علیّ»(۱).

ص:۱۹۶

۱- مناقب آل أبی طالب: ج ۱، ص ۵۹۲.

و لقد أصابته فى هذه المعركه ست عشره ضربه، فظلّ يطعن و يتلقّى الطعنات، فيعالج و يعود للطعان، و خرج إليه طلحه بن أبى طلحه صاحب لواء المشركين فقال: «يا أصحاب محمد تزعمون أن اللّه يعجلنا بأسيافكم إلى النار، و يعجلكم بأسيافنا إلى الجنه فأيكم يبرز إلىّ»؟.

فبرز إليه على بن أبى طالب و قال: «و اللّه لا أفارقك حتى أعجلك بسيفى إلى النار». فاختلفا ضربتين، فضربه على فسقط إلى الأرض جريحا، و بانت عورته. فتوسّل إلى على قائلا:

«أنشد اللّه و الرحم يا ابن العم». فانصرف على عنه.

فقال المسلمون: «يا على هلا أجهزت عليه»؟. فقال:

«ناشدنى اللّه و الرحم! و لن يعيش». و ظل طلحه ينزف حتى مات من ساعته.

و عاد من أحد بصحبه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و سيفاهما يقطران دما، فصليّا بالمسجد، ثم دفعا بسيفيهما إلى فاطمه فغسلت عنهما الدماء. و عاد الرسول إلى بيته(۱).

***

و فى غزوه الخندق، التى جنّد المشركون لها كل قواهم، مما اضطر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يتّخذ - على غير عادته - موقف الدفاع لا الهجوم، واجه الإمام على عليه السّلام الموقف بشجاعه نادره..

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۴۲.

حيث إن فـارس الجزيره العربيه حينـذاک «عمرو بن ودّ العامری» «الـذی کان یقوّم بألف رجل»(۱) و هو «مقاتـل غادر فاتک من رؤوس المشرکین»(۲) کان قد عبر الخندق الذی حفره المسلمون، و بدأ یطلب البراز قائلا:

- «أ لا رجل یبرز؟ أین جنتکم التی زعمتم أنکم داخلوها إن قتلتم؟

و کان رسول اللّه، یقول لأصحابه:

- «من یأتینی برأس عمرو أضمن له الجنه؟

و لکن المسلمون یحجمون، لهیبه الموقف من جهه، و لما یعرفونه من «عمرو» من القوه و الشجاعه و البأس من جهه أخری..

و الوحید الذی وقف قائلا: «أنا یا رسول اللّه..» کان علی علیه السّلام:

فقال له النبی فی المره الأولی:

- «اجلس یا علی، إنه عمرو..

فجلس. و کرّر عمرو نداءه:

- «أ لا رجل یبرز؟ یا محمد اخرج إلیّ؟ هل من مبارز؟

و قام النبی مره أخری یقول لأصحابه:

۱- عبقریه الإمام علی علیه السّلام: ص ۱۶.

۲- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۴۲.

- «من لعمرو أضمن له الجنّه؟

و يقول على عليه السّلام: «أنا يا رسول اللّه..» بينما الآخرون كأن على رؤوسهم الطير.. فيقول له النبىّ: «اجلس، إنه عمرو»!.

و يصرخ «عمرو»:

- «من يبارز؟ من يأتينى منكم حتى أرسله إلى الجنه؟!

و ينشد:

و لقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز

و وقفت إذ جبن الشجاع بموقف البطل المناجز

إنّى كذلك لم أزل متسرّعا نحو الهزاهز

إنّ الشجاعه و السماحه فى الفتى خير الغرائز(۱)

فيكرّر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للمره الثالثه قوله:

- «من يأتينى برأس عمرو أضمن له الجنه؟».

فيقول على عليه السّلام «أنا يا رسول اللّه..».

فيقول له النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «اجلس، إنه عمرو».

فيقول على عليه السّلام: «.. و أنا على»!

فيأذن له النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يعمّمه بعمامته، فيخرج الإمام إلى عمرو، مهرولا و هو ينشد قائلا:

لا تعجلنّ فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

۱- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۸۹.

ذو نيّه و بصيره و الصبر منجى كلّ فائز

إنّى لأرجو أن أقيم عليك نائحه الجنائز

من ضربه نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز(۱)

و قد وقف النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ينظر إلى علىّ، و هو يقول: «خرج الإيمان كلّه إلى الشرک كلّه».

و حينما تواجها قال له على: «يا عمرو قد كنت عاهدت اللّه لقريش ألّا يدعوك رجل إلى إحدى خلّتين إلّا قبلت منه إحداهما». فقال عمرو: «أجل».

فقال له على: «فإنى أدعوك إلى اللّه عزّ و جلّ و إلى رسوله، و إلى الإسلام. فقال عمرو: «لا حاجه لى فى ذلک».

فقال له على عليه السّلام: «فإنّى أدعوك إلى البراز».

فقال: «من أنت»؟.

قال على - و لم يزد -: «أنا على»:

قال عمرو: «ابن عبد مناف»؟

قال على: «ابن أبى طالب».

قال عمرو: «يا ابن أخى.. من أعمامك من هو أسنّ منك فلم برزت أنت؟».

و أضاف: «أما أمن ابن عمك حيث أرسلك إلىّ، أن

۱- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۸۹.

أشيلك برمحى هذا، بين السماء و الأرض، لا أنت حىّ و لا ميّت؟».

فقال على عليه السّلام: «أرسلنى ابن عمى و هو يعلم إن قتلتنى كنت أنا فى الجنه و أنت فى النار، و إن قتلتك كنت أنت فى النار و أنا فى الجنه».

قال عمرو: «كلتاهما لك يا على؟ تلك إذن قسمه ضيزى!».

و أضاف: «كان أبوك نديما لى، و إنى أكره أن أهريق دمك».

فقال على عليه السّلام: «و لكنى، و اللّه لا أكره أن أهريق دمك»..

فغضب عمرو، و قال: «ما كنت أظن أن أحدا من العرب يرومنى على ذلك، ثم أهوى إليه بسيفه الذى كان يصفه البعض بقولهم كأنه شعله من نار»(۱).

و استقبل علىّ الضربه بدرقته، فقدّها السيف و أصاب رأسه، ثم ضربه علىّ على حبل عاتقه، فسقط و نهض، ثم سقط و نهض و ثار الغبار، فما انجلى إلاّ عن عمرو صريعا و على عليه السّلام يجأر بالتكبير(۲).

۱- عبقريه الإمام على عليه السّلام: ص ۱۷.

۲- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۹۰. على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۴۳.

و سمع المسلمون صوته فصرخ رسول اللّه قائلا:

- «ضربه علی يوم الخندق أفضل من عباده الثقلين»(۱).

«و كأنما كانت شجاعته هذه القضاء الذی لا يؤسی علی مصابه، لأنه أحجی المصائب، و أقلّها معابه ألّا يدفع، فكانت أخت عمرو تقول فی التأسّی بعد موته:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبدا ما دمت فی الأبد

لكنّ قاتله من لا نظير له و كان يدعی أبوه بيضه البلد

فكانت شجاعته عليه السّلام من الشجاعات النادره التی يشرّف بها من يصيب بها، و من يصاب»(۲).

و ذكر بعض المؤرخين أن عليا حينما قطع رجل عمرو رماها نحو معسكر المشركين فخاف من هيبتها رجلان و وقعا فی الخندق!

و قال الطبری: و وجدوا «نوفلا» فی الخندق فجعلوا يرمونه بالحجاره، فقال لهم: «قتله أجمل من هذه» فنزل إليه علی عليه السّلام فطعنه فی ترقوته بالسيف حتی أخرج من مراقه.. ثم خرج إليه منيه بن عثمان العبدری، و خاف و هرب. فأنشأ علی عليه السّلام يقول:

۱- الغدير للعلامه الأمينی.

۲- عبقريه الإمام علی عليه السّلام: ص ۱۸.

و کانوا علی الإسلام إلبا ثلاثه و قد فرّ من تحت الثلاثه واحد(۱)

***

و فی غزوه خیبر یروی أبو رافع مولی الرسول قال:

«خرجنا مع علی حین بعثه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم برایته، فلما دنا من الحصن خرج إلیه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من یهود فطرح ترسه من یده، فتناول علی بابا کان عند الحصن، فترّس به نفسه، فلم یزل فی یده و هو یقاتل حتی فتح اللّه علیه، ثم ألقاه من یده حین فرغ، فلقد رأیتنی فی نفر مع سبعه أنا ثامنهم نجهد علی أن نقلب ذلک الباب فما نقدر»!(۲).

کان علی رأس هذا الحصن أحد شجعان یهود و اسمه مرحب، و هو الذی طرح الترس من ید علی، فانقضّ علیه علیه السّلام و بارزه متحصنا بباب الحصن الثقیل، و طالت المبارزه، حتی أهوی علی بسیفه علی وجه مرحب، و سقط الحصن و استأسر من فیه، و غنم منه المسلمون مغانم کثیره.

من أجل ذلک صاح نفر من المسلمین: «لا فتی إلاّ علی»!.. و کان هذا النداء یرجّ الآفاق کلما اشتبک فی قتال، فیلهب منه الحماسه و یثیر الحمیه..

۱- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۹.

۲- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۴۴.

و قد شهدت أم سلمه (أم المؤمنين) غزوه خيبر فقالت:

«و سمعت وقع سيف على بن أبى طالب فى أسنان مرحب»!.

و قال على بن أبى طالب: «و اللّه ما قلعت باب خيبر بقوه جسديه و لكن بقوه ربانيه».

***

و فى يوم حنين كان على بن أبى طالب من أشدّ الناس قتالا بين يدى الرسول.

و عند ما حاصر الرسول بنى قريظه، و كان اللواء بيد على صاح يستحثّ جنده: «يا كتيبه الإيمان». ثم تقدّم هو و الزبير بن العوام و قال: «و اللّه لأذوقنّ ما ذاق حمزه أو لأفتحنّ حصنهم».

و فتح اللّه الحصن على يديه الكريمتين!.

***

و على كل حال فإن الشجاعه فى الإمام، كانت من أبرز صفاته، و كان يوصى بها بنيه أن لا يخافوا فى اللّه أحدا، كما كان يوصى الناس بأن لا يستشيروا جبانا. يقول عليه السّلام: «لا تشركنّ فى رأيك جبانا يضعفك عن الأمر، و يعظم عليك ما ليس بعظيم»(1) ، و كان يوصى ولاته بأهل الشجاعه خيرا، و يقول عليه السّلام: «ثم الصق بذوى المروءات و الأحساب، و أهل

۱- غرر الحكم و درر الكلم.

البيوتات الصالحه، و السوابق الحسنه، ثم أهل النجده و الشجاعه و السخاء و السماحه فإنهم جماع من الكرم»(۱).

***

و لقد كان الإمام بالإضافه إلى شجاعته النادره، مثيرا للحماسه، مديرا للمعارك مشاركا فيها على الرغم من كبر سنّه فيما بعد الرسول، أيام خلافته و كان يوصى أصحابه بوصايا الشجاعه و الثبات.

ففى صفّين نظم الإمام عليه السّلام جيشه، ثم قال لأصحابه:

«إن اللّه يحب الّذين يقاتلون فى سبيله صفّا كأنهم بنيان مرصوص. فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص و قدّموا الدارع، و أخّروا الحاسر، و عضوا على الأضراس، فإنه أنبى للسيوف.. و غضوا الأبصار، فإنه أربط للجأش، و أسكن للقلوب. و أميتوا الأصوات، فإنه أطرد للفشل، و أولى بالوقار. راياتكم فلا تميلوها و لا تزيلوها و لا تجعلوها إلّا بأيدى شجعانكم. و استعينوا بالصدق و الصبر، فإنه بعد الصبر ينزل النصر».

و بدأت المعركه، و استحر القتال.. و ما يسمع غير وقع الحديد على الحديد.

۱- نهج البلاغه: الكتب ۵۳.

و کـان الحسن و الحسـین و محمـد بنو الإمام معه، و النبل یمرّ بین عاتقه و منکبه، فلما دنا منه أهل الشام و أطلقوا علیه السـهام و النبال یریدون قتله، قال له الحسن أکبر بنیه: «ما ضـرّک لو سـعیت حتی تنتهی إلی هؤلاء القوم من صـحبک فتلقوا بجمعکم أهل الشام؟» فقال: «یا بنی إن لأبیک یوما لا یعدوه و لا یبطیء به عند السـعی، و لا یعجل به إلیه المشی، إن أباک و اللّه لا یبالی أوقع علی الموت أم وقع الموت علیه»!(۱).

و لربّمـا کان الإمام فی مثل هـذه المواقف بلا مثیل، حیث إن رئیس الـدوله یشترک فی الحرب، بل و یحمی العشیره، و لا یـدع العشیره تحمیه.

فقد رأی الإمام - بعد أن اسـتعر الحرب، فی صـفّین، و اشـتجرت القنا و اشـتبکت الرماح و تقارعت السیوف و الحراب، رأی ابنه الحسن علیه السّلام فی حومه الوغی، فقال:

«ابعدوا عنی هذا الغلام لا یهدنی».

و کان الإمام قـد نهی بنیه و بنی عمه عن الدعوه إلی المبارزه، فکان إذا دعی أحد منهم بارز الإمام عنه.. هکذا بارز عن ابن عمه عبد اللّه بن عباس و صرع متحدیه، و عرض أن یبارز عن ابنه محمد ابن الحنفیه، و لکن متحدیه ولّی.

۱- علی إمام المتّقین: ج ۲، ص ۵۹.

إنّه علیه السّلام یحمی العشیره و لا یدع العشیره تحمیه.. کما ضنّ بعدد من کبار الصحابه من غیر المقاتلین من أهل الزهاده و النسک فمنعهم من القتال، و قاتل هو عنهم، و اکتفی بصحبتهم یعظون المقاتلین، و یأمرون بالمعروف و ینهون عن المنکر، و یمجدون الجهاد فی سبیل اللّه(۱).

***

و کم ظهرت شجاعته فی المواقف المختلفه؟ و المشاهد الصعبه؟ و کم شارک شخصیا فی القتال، و هو رئیس الدوله؟

یقول جابر بن نمیر الأنصاری: «لکأنّی أسمع علیا بعد لیله الهریر بعد أن طحنت الرحی بأمر عظیم تشیب منه النواصی، حتّی استقلّت الشمس و قام قائم الظهیره و علیّ علیه السّلام یقول لأصحابه:

حتی متی نخلّی بین هذین الحیّین؟ قد فنینا و أنتم وقوف تنظرون، أما تخافون مقت اللّه؟ ثمّ انفتل إلی القبله و رفع یدیه إلی اللّه عزّ و جلّ.

ثمّ نادی: یا اللّه یا رحمن یا واحد یا صمد یا اللّه یا إله محمّد، إلیک اللّهمّ نقلت الأقدام، و أفضت القلوب، و رفعت الأیدی، و مدّت الأعناق، و شخصت الأبصار، و طلبت

۱- المصدر السابق: ص ۹۶.

الحوائج، اللّهمّ إنّا نشكو إليك غيبه نبيّنا، و كثره عدوّنا، و تشتّت أهوائنا، ربّنا افتح بيننا و بين قومنا بالحقّ و أنت خير الفاتحين: سيروا على بركه اللّه» ثمّ نادى: «لا إله إلاّ اللّه و اللّه أكبر كلمه التقوى».

«فلا و الذى بعث محمدا نبيا ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق السماوات و الأرض أصاب بيده فى يوم واحد ما أصاب، إنّه قتل فيما ذكر العادّون زياده على خمسه مائه من أعلام العرب، يخرج بسيفه منحنيا فيقول: معذره إلى اللّه و إليكم من هذا، لقد هممت أن أفلقه و لكن يحجزنى عنه أنّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: «لا سيف إلاّ ذو الفقار و لا فتى إلاّ علىّ» و أنا أقاتل به دونه».

فكنّا نأخذه و نقوّمه، ثم يتناوله من أيدينا فيتقحّم به عرض الصفّ، فلا و اللّه ما ليث بأشدّ نكايه منه فى عدوّه»(۱).

و برز للإمام أربعه من أبطال الشام فصرعهم الواحد بعد الآخر.. و اشتبک الجيشان، و تساقط الناس صرعى، و عزّ ذلک على الإمام. فنادى بأعلى صوته: «ويحک يا معاويه! ابرز إلىّ و لا تفن العرب بينى و بينک»!.

۱- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ۱، ص ۲۲۰.

فقال له عمرو بن العاص: «اغتنمه و هو مجهد فإنه قد أثخن بقتل هؤلاء الأربعه»!.

فقال له معاويه: «و اللّه لقد علمت أن عليا لم يقهر قط.

إنما أردت قتلى لتصيب الخلافه بعدى»!.

و اشتدّ القتال من جديد، و الإمام يدعو اللّه: «اللّهمّ إليك رفعت الأبصار و دعت الألسن، و أفضت القلوب.. اللّهمّ أعنّا عليهم بفتح تعجله، و نصر تعزّ به سلطان الحق و تظهره».

ثم قال لأصحابه: «قال اللّه تعالى لقوم: قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاّ قَلِيلًا (۱) ، و أيم اللّه لئن فررتم من سيف الدنيا لا تسلمون من سيف الآخره»(۲).

و تضرّجت السيوف و الحراب من مهج المسلمين، و تطايرت الرؤوس و سقط القتلى.

فصاح الإمام مره أخرى: «يا معاويه» فقال معاويه:

«اسألوه ما شأنه» قال الإمام: «أحب أن يظهر لى فأكلمه كلمه واحده» فبرز معاويه و معه عمرو بن العاص، فقال عليه السّلام:

۱- سوره الأحزاب، الآيه: ۱۶.

۲- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۷۶.

«یا معاویه ویحک! علام تقتیل الناس بینی و بینک؟ ابرز إلیّ فأیّنا یقتل صاحبه فالأمر له».

فالتفت معاویه إلی عمرو فقال: «ما تری أبا عبد اللّه؟ أ أبارزه»؟

فقال عمرو «اعلم أنه إن نکلت مره أخری لم تزل سبّه علیک و علی عقبک ما بقی عربی».

قال معاویه: «یا عمرو بن العاص، لیس مثلی یخدع عن نفسه. و اللّه ما بارز ابن أبی طالب رجلا قطّ إلّا سقی الأرض من دمه. و اللّه إن ترید إلّا أن أقتل فتصیب الخلافه بعدی».

ثم انصرف معاویه راجعا و معه عمرو، فاختبآ فی آخر الصفوف.

فضحک الإمام(۱).

و لم تکن هذه هی المره الأولی التی یطلب فیها الإمام علی علیه السّلام من معاویه، أو أی عدو آخر من أعدائه البراز لمواجهته. بل تکرّر ذلک مع معاویه بالذات عدّه مرات.. و فی کل مره کان هذا الأخیر یتهرّب منه، للفارق الکبیر بین شجاعه الإمام، و بینه..

فمثلا حینما رأی ابن الصباح و هو من رؤساء أهل الشام

۱- علی إمام المتّقین: ج ۲، ص ۷۶.

فداحه الخسائر فى الرجال، وقف يخاطب أصحابه قائلا:

«و اللّه إنى يا أهل الشام لأظن أن اللّه قد آذن بفنائكم، ويحكم! خلوا بين على و معاويه فليقتتلا، فأيهما قتل صاحبه ملنا معه».

فلما علم عليّ بذلك قال: «و اللّه ما سمعت بخطبه منذ وردت الشام أنا بها أشدّ سرورا من هذه».

أما معاويه فإنه لمّا سمع ابن الصباح، اندسّ فى آخر الصفوف، و اختبأ، و قال لمن حوله: «إنى لأظنّ ابن الصباح قد أصيب فى عقله»! فقالوا له: «و اللّه إنه لأفضلنا دينا و رأيا و بأسا، و لكنك تكره مبارزه على»(۱).

***

و مره أخرى لما رأى الإمام عليّ كثره الضحايا من الجانبين، و وجد معاويه مصمما على القتال، خشى فناء العسكرين فنادى: «يا معاويه. علام يذهب الناس؟ على ملكك إن نلته كان لك دونهم و إن نلته أنا كان لى دونهم؟ ابرز إلىّ ودع الناس فيكون الأمر لمن غلب».

فقال عمرو بن العاص: «أنصف الرجل يا معاويه».

فقال معاويه: «ما أراك إلّا مازحا».

۱- المصدر السابق: ص ۹۸.

فقال عمرو: «و اللّه ما أدری أشجاع أنت أم جبان»؟ قال معاویه:

شجاع إذا ما أمکنتنی فرصه فإن لم تکن لی فرصه فجبان

و رفض معاویه أن یبارز علیّا.. و توقفت الحرب عند ما جاء اللیل..

و مضی الإمام إلی معسکر القرّاء، فلما رأوه بلا خوذه و لا دروع قالوا مشفقین: «یا أمیر المؤمنین أ تقتل أهل الشام بالغداه و تخرج فی العشی بإزار و رداء»؟! فقال: «أ بالموت أخوّف؟! و اللّه ما أبالی أسقط علیّ الموت أم سقطت علیه»!(۱).

و حینما حرّض معاویه عمرو بن العاص علی مبارزه علی، قال له عمرو: «بارزه أنت فتکون علی إحدی الحسنیین، إما أن تقتله فتکون قد قتلت قاتل الأقران و تزداد شرفا إلی شرفک، و إما أن یقتلک فتکون قد استعجلت مرافقه الشهداء و الصالحین و حسن أولئک رفیقا».

فقال معاویه: «یا عمرو! الثانیه شرّ من الأولی».

و کان معاویه واقفا علی تل یشاهد المعرکه و علیّ یفلق الهامات، و ما من أحد یقوی علیه، و الصفوف تنهزم أمامه هو و فرسان ربیعه و همدان، و جیش الشام ینهار، و صنادیده یفرّون یلتمسون النجاه من علیّ و أصحابه!!

۱- المصدر السابق: ص ۶۵.

فقال معاویه و هو یتأمل کلّ ذلک: «تبا لهؤلاء الرجال و قبحا! أما فیهم من یقتل علیا مبارزه أو غیله»؟ فقال له الولید بن عقبه: «ابرز إلیه أنت فإنک أولی الناس بمبارزته»:

فقال معاویه: «و اللّه لقد دعانی إلی البراز حتی استحییت من قریش! إنی و اللّه لا أبرز إلیه. و ما جعل العسکر بین یدی الرئیس إلاّ وقایه له»(۱).

و بمقدار ما کان الإمام شجاعا، و صامدا، و صابرا علی الشدائد، فإنّه کان یطلب من أصحابه الشجاعه و الصمود حتی بعد موته.. فقد ذکر أحد أصحابه قائلا:

«کنّا فی بیت مع علی علیه السّلام و نحن خواصّه، فالتفت إلینا فلم ینکر منّا أحدا، فقال: إنّ هؤلاء القوم سیظهرون علیکم فیقطعون أیدیکم و یسملون أعینکم» فقال رجل منّا: و أنت حیّ یا أمیر المؤمنین؟

فقال: «أعاذنی اللّه من ذلک».. فالتفّت فإذا واحد یبکی.

فقال له: «یا ابن الحمقاء أ ترید باللّذات فی الدنیا الدرجات فی الآخره؟ إنّما وعد اللّه الصابرین»(۲).

۱- علی إمام المتّقین: ج ۲، ص ۸۸.

۲- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۱۳۲.

قضاء حوائج الناس

«إن للّه عبادا يختصّهم بالنعم لمنافع العباد، فيقرّها فى أيديهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، ثم حوّلها إلى غيرهم»(۱).

و هذا يعنى أن «من كثرت نعم اللّه عليه كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام للّه بما يجب فيها عرّضها للدوام و البقاء، و من لم يقم فيها بما يجب عرّضها للزوال و الفناء»(۲).

فقضاء حوائج الناس ليس مجرد عمل من أعمال الخير التى يجوز للناس أن يتركوه، بل هو واجب لا بد من أدائه..

ذلك أنه ضروره لبقاء المجتمع و بناء الحضاره، لأنّ «قوام الدين و الدنيا بأربعه: عالم مستعمل علمه، و جاهل لا يستنكف أن يتعلّم، و جواد لا يبخل بمعروفه، و فقير لا يبيع آخرته

۱- نهج البلاغه: الحكم ۴۲۵.

۲- نهج البلاغه: الحكم ۳۷۲.

بدنیاه، فإذا ضیّع العالم علمه، استنکف الجاهل أن یتعلّم، و إذا بخل الغنی بمعروفه، باع الفقیر آخرته بدنیاه»(۱).

و کما یجب أن نترک الشر، فلا بد أن نفعل الخیر «فإذا رأیتم خیرا فأعینوا علیه، و إذا رأیتم شرا فاذهبوا عنه، فإن رسول اللّه کان یقول: یا بن آدم! اعمل الخیر، ودع الشر، فإذا أنت جواد قاصد(۲) «فلیس لما وعد اللّه من الخیر ترک و لا فیما نهی عنه من الشر مرغب»(۳).

و فی الحقیقه فإن إغاثه الملهوف، و السعی فی الخیرات، و رفع الحیف عن المظلومین و قضاء حوائج الناس هی من صفات أهل المروءه، و طلاّب الحق، و صنّاع المعروف، و لها ثواب عظیم عنـد اللّه و علی ترکها یترتّب عقاب شدیـد... «فإن من أحب عباد اللّه إلیه عبدا لا یدع للخیر غایه إلاّ أمّها، و لا مظنّه إلاّ قصدها»(۴) و «لا خیر فی الدنیا إلاّ لرجلین: رجل أذنب ذنوبا فهو یتدارکها بالتوبه، و رجل یسارع فی الخیرات»(۵) ف «الماشی فی حاجه أخیه کالساعی بین الصفا

۱- المناقب، للخوارزمی: ص ۲۶۶.

۲- تفسیر العیاشی: ج ۲، ص ۲۶۲.

۳- النهایه: ج ۲، ص ۵۱۰.

۴- نهج البلاغه: الخطب ۸۷.

۵- العقد الفرید: ج ۴، ص ۷۴.

و المروه»(۱) و «من قضی لأخیه المؤمن حاجه قضی اللّه له یوم القیامه مائه ألف حاجه»(۲) و «من أغـاث أخاه المؤمن اللّهفان اللهثـان عنـد جهـده، فنفّس کربته، و أعـانه علی نجاح حاجته کتب اللّه تعالی له بـذلک اثنتین و سـبعین رحمه من اللّه، یعجّل له منها واحـده یصلح بها أمر معیشته، و یـدّخر له إحـدی و سـبعین رحمه لأفزاع یوم القیامه و أهواله»(۳). و «من نفّس عن مـؤمن کربه، نفّس اللّه عنه کرب الآخره و خرج من قبره و هو ثلـج الفؤاد»(۴) و «من سعی فی حاجه أخیه المؤمن فکأنما عبد اللّه تسعه آلاف سنه صائما نهاره، قائما لیله»(۵).

أمّا إذا امتنع عن ذلک «و هو یقـدر علیها من عنـده أو من عند غیره، حشـره اللّه یوم القیامه، مغلوله یده إلی عنقه، حتی یفرغ اللّه من حساب الخلق»(۶) لأنه: «ما من مؤمن یخذل أخاه، و هو یقدر علی نصـرته، إلا خذله اللّه فی الدنیا و الآخره»(۷) و «أیما رجل مسلم أتاه رجل مسلم فی حاجه و هو

۱- بحار الأنوار: ج ۷۶، ص ۳۶۷.

۲- بحار الأنوار: ج ۷۴، ص ۳۲۲.

۳- جامع السعادات: ج ۲، ص ۲۳۳.

۴- المصدر السابق.

۵- میزان الحکمه: ج ۲، ص ۵۳۷.

۶- بحار الأنوار: ج ۷۴، ص ۲۸۷.

۷- بحار الأنوار: ج ۷۴، ص ۲۸۷.

یقدر علی قضائها فمنعه إیاها عیّره اللّه یوم القیامه تعییرا شدیدا، و قال له: أتاک أخوک فی حاجه - قد جعلت قضاءها فی یدک - فمنعته إیاها، زهدا منک فی ثوابها؟! و عزّتی لا أنظر إلیک فی حاجه، معذبا کنت أو مغفورا»(۱).

ثم إن علی الإنسان أن یقوم شخصیا بعمل الخیر، و إغاثه الملهوف، و رفع حاجات الناس، و خاصه رئیس الدوله، فلا یجوز أن یکتفی بعمل الموظفین و المسؤولین وحدهم لأنه کلما کان لامریء موقع عظیم کانت مواقفه قدوه للآخرین، فهو من جهه یکسب الثواب کفرد، و هو کمسؤول یتحوّل إلی نموذج فی عمل الخیر..

هکذا یجب أن یکون قائد المسلمین و أمیرهم..

و هکذا کان الإمام علی علیه السّلام فقد تعوّد فی الحرب و السّلام، أن یأخذ بید من یسقط أمامه، أو بالقلیل یدعه فلا یجهز علیه!.. کان شعاره: «أحسن کما تحب أن یحسن الناس إلیک. و من ظنّ بک خیرا فصدق ظنّه».

أمّا إغاثه الملهوف، و الرفق بالضعیف، و النجده، و العطف علی المستعطف... فکل أولئک کانت خصائص

۱- بحار الأنوار: ج ۷۵، ۱۷۴.

فتوته، و أخلاقه التی لابسها و لابسته حتی أو شکت أن تکون خلیقه لا تخلقا، و طبعا لا تطبعا!..

کان یقول لمن حوله: «أعینوا الضعیف، و انصروا المظلوم، و تعاونوا» و یقول: «البغی و الزور یزریان بالمرء» و یقول: «الفقر منقصه للدین داعیه للمقت». و یقول: «من کفارات الذنوب العظام إغاثه الملهوف و التنفیس عن المکروب»(۱).

و لقد کاد بعض هذه الفضائل أن یورده موارد الحتوف، فی مواطن کثیره مما سیستقبله من الحوادث و الرجال.. و لکنه ما نبا بهاتیک الفضائل، و لا نبت عنه!(۲).

کان یفعل الخیر، و یوصی أصحابه بفعله، فیقول لکمیل ابن زیاد:

«یا کمیل.. مر أهلک أن یروحوا فی کسب المکارم، و یدلجوا فی حاجه من هو نائم، فو الذی وسع سمعه الأصوات، ما من أحد أودع قلبا سرورا، إلّا و خلق اللّه له من ذلک السرور لطفا، فإذا نزلت به نائبه جری إلیها کالماء فی انحداره حتی یطردها عنه کما تطرد غریبه الإبل»(۳).

۱- نهج البلاغه: الحکمه ۲۳۰.

۲- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۴۸.

۳- ربیع الأبرار: ج ۱، ص ۲۰۶.

و لقد كان عليه السّلام حاكما على خمسين دوله، و مع ذلك كان يخرج إلى الطرقات يبحث عن الخير ليفعله، و عن الملهوف ليسعفه، و عن المظلوم لينصره، و عن المحتاج ليسدى إليه، و عن السائل ليعطيه..

روى أن سعيد بن القيس الهمدانى رآه فى شدّه الحرّ، فى فناء حائط، فقال له:

- «يا أمير المؤمنين (أ تخرج) بهذه الساعه؟».

فقال عليه السّلام: «ما خرجت إلّا لأعين مظلوما أو أغيث ملهوفا»(۱).

فهو يبحث عن الملهوف، و ليس ينتظر حتى يأتيه إلى داره، مع ألف حاجب و حاجب كما يفعل حكّام الجور عاده..

يقول المؤرخون إن أمير المؤمنين كان يأتى السوق كل يوم يصنع ما تعوّد أن يصنعه: يعين الحمّال على حمولته، و يرشد الضالّ، و يعظ التجّار.. و ينصح من يجده فى السوق ممّن يلون أمرا من أمور المسلمين (أى الموظفين و المستخدمين) ألّا يقبلوا الهدايا من أهل السوق، و لا من أحد من الرعيه، و يحتجّ

۱- الاختصاص: ص ۱۵۶.

بالحديث الشريف: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا (راتبا)، فأخذ أكثر من رزقه فهو غلول (رشوه)»(۱).

و لم يكن بين الإمام و بين الناس أستار و حجاب، كان يمشى فى السوق، يحادث الناس، و يسألهم و يسألونه، و ينصح التجّار.. و يقول لهم: «بيعوا و لا تحلفوا، فإن اليمين تنفق السلعه و تمحق البركه» روى نافع بن أبى مطر قال: «خرجت من مسجد الكوفه فإذا رجل ينادى من خلفى: ارفع إزارك فإنه أنقى لثوبك، و أتقى لك، و خذ من رأسك إن كنت مسلما».

فمشيت خلفه و هو مؤتزر بإزار و مرتد برداء و معه الدره (عصا صغيره)، كأنه أعرابى بدوى فقلت:

من هذا؟

فقال لى رجل: أراك غريبا بهذا البلد.

فقلت: «أجل أنا رجل من أهل البصره».

قال: هذا على بن أبى طالب أمير المؤمنين(۲).

ثم مرّ مجتازا بأصحاب التمر فقال: «يا أصحاب التمر أطعموا المساكين يرب (يزد) كسبكم» ثم مرّ مجتازا و معه

۱- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۲۹۸.

۲- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۲۳۷.

المسلمون حتی انتهی إلی أصحاب السمک فقال: «لا یباع فی سوقنا سمک فاسد...».

و روی أحد أصحابه: «کان علی یمشی فی الأسواق وحده و هو خلیفه، یرشد الضال، و یعین الضعیف، و یمر بالتجّار فیفتح القرآن و یقرأ: تِلْکَ الدّارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذِینَ لا یُرِیدُونَ عُلُوًّا فِی الْأَرْضِ وَ لا فَساداً (۱). ثم یقول «نزلت هذه الآیات فی أهل العدل و التواضع من الولاه و أهل القدره من سائر الناس»(۲).

و مشی فی السوق، فمر ببائع یحلف فقال له:

لا تحلف. ویل للصانع و ویل للتاجر من (لا و اللّه) و (بلی و اللّه)! یا معشر التجّار، ألا إن کل یمین فاجره تذهب بالبرکه.

فاتقوا (لا و اللّه)! و (بلی و اللّه). فقد کنّا نتحدث أن التاجر فاجر و فجوره أنّه یحلّی السلعه بما لیس فیها. قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

«الیمین الکاذبه منفقه (مروّجه) للسلعه، ممحقه للربح! و اعلموا أن التاجر فاجر إلّا من أخذ الحق و أعطاه». و قد قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

«ألا إن التجار هم الفجّار، إلا من اتّقی و برّ و صدق.

و قال: یا معشر التجّار تحشرون مع الفجّار إلّا من اتقی ربه

۱- سوره القصص، الآیه: ۸۳.

۲- المصدر السابق: ص ۲۳۸.

و صدق». كما أنه عليه الصلاه و السّلام قال: «التاجر الصدوق مع النبيين و الصدّيقين»(۱).

كان عليه السّلام يوصى الحاكم بالمحكوم، و التاجر بالعامه، و الأغنياء بالفقراء و يقول لهم، معاتبا، مزمجرا، مهددا:

«قد أصبحتم فى زمن لا يزداد الخير فيه إلاّ إدبارا، و الشرّ فيه إلاّ إقبالا، و الشيطان فى هلاك الناس طمعا، فهذا زمان قويت عدّته (عدّه الشيطان)، و عمت مكيدته، و أمكنت (سهلت) فريسته.

اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، هل تبصر إلاّ فقيرا يكابد فقرا، أو غنيا بدّل نعمه اللّه كفرا، أو متمرّدا كان بأذنه عن سمع المواعظ وقرا؟

أين خياركم و صلحاؤكم؟ و أحراركم و سمحاؤكم؟ و أين المتورّعون فى مكاسبهم؟ و المتنزّهون فى مذاهبهم؟ أ ليسوا قد ظعنوا (رحلوا) جميعا عن هذه الدنيا الدنيه و العاجله المنغصه؟؟ و هل خلقتم إلاّ فى حثاله لا تلتقى بذمهم الشفتان استصغارا لشأنهم، و ذهابا عن ذكرهم؟ ف إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ! ظهر الفساد فلا منكر متغيّر، و لا زاجر مزدجر! أ فبهذا تريدون أن تجاوروا اللّه فى دار قدسه، و تكونوا أعزّ

۱- المصدر السابق: ص ۲۴۹.

أوليائه عنده؟! هيهات! لا يخدع اللّه عن جنته، و لا تنال مرضاته إلّا بطاعته. لعن اللّه الآمرين بالمعروف التاركين له، و الناهين عن المنكر العاملين به.

«ألا و إن أفحش الظلم ظلم الحاكم للمحكوم، و القوى للضعيف، و المحتكر للعامه! يا معشر التجّار ألا إن التجار هم الفجّار إلّا من اتقى ربه و صدق، و برّ، و وصل، و أدّى الأمانه، و التاجر الصدوق مع النبيين و الشهداء»(۱).

و كان عليه السّلام يهتم بأصغر الحاجات، كما يهتم بأكبرها، و يقول لأصحابه:

«افعلوا الخير و لا تحقروا منه شيئا، فإن صغيره كبير، و قليله كثير، و لا يقولنّ أحدكم: إن أحدا أولى بفعل الخير منّى، فيكون - و اللّه - كذلك، إن للخير و الشر أهلا فمهما تركتموه منهما كفاكموه أهله»(۲).

و كما قال فعل، فقد روى: «أن قصابا كان يبيع اللحم من جاريه و كان يحيف عليها، فبكت و خرجت فرأت عليا فشكته إليه.

فمشى عليه السّلام معها نحوه، و دعاه إلى الإنصاف فى حقّها،

۱- نهج البلاغه: الخطب ۱۲۹.

۲- نهج البلاغه: الحكم ۴۲۲.

و كان يعظه و يقول له: ينبغى أن يكون الضعيف عندك بمنزله القوى فلا تظلم الناس»(۱).

و مرّ أيضا على جاريه قد اشترت لحما من قصّاب، و هى تقول: زدنى.

فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: «زدها فإنّه أعظم للبركه»(۲).

و روى «أنه عليه السّلام كان يمشى فى الأسواق وحده و هو ذاك يرشد الضال، و يعين الضعيف، و يمرّ بالبياع و البقّال فيفتح عليه القرآن و يقرأ:

تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِی الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِینَ (۸۳) (۳).

و هكذا فإنه كان يقوم بدور الموجّه و الناصح، كما كان يقوم بدور صاحب القرار.. و كان يتفقّد ولاته و عمّاله، كما كان يتفقّد أمور عامه الناس فى السوق و الطرقات، و لم يكن يكتفى ببسط العدل فى المجتمع، بل كان يرعاه بنفسه، و لا يكتفى بالتقارير تصل إليه بل يتعهّد الخير فى كل مكان و فى هذا المجال لم يكن إلّا مع الضعيف ضد القوى، و مع الفقير ضدّ المترف، و مع الناس ضد المحتكرين، و كان يقول: «القوى العزيز عندى

۱- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۲۰۳.

۲- فروع الكافى: ج ۵، ص ۱۵۲.

۳- المناقب: ج ۱، ص ۳۱۰، سوره القصص، الآيه: ۸۳.

ذلیل حتی آخذ الحق منه، و الضعیف الذلیل عندی قوی حتی آخذ الحق له»(۱).

و قد روی «أن أمیر المؤمنین علیه السّلام کان کلّ بکره یطوف فی أسواق الکوفه سوقا سوقا و معه الدرّه علی عاتقه، و کان لها طرفان و کانت تسمّی «السبیه»، فیقف علی کل سوق فینادی:

«یا معشر التجّار قدّموا الاستخاره، و تبرّکوا بالسّهوله، و اقتربوا من المبتاعین، و تزیّنوا بالحلم، و تناهوا عن الکذب و الیمین، و تجافوا عن الظلم، و أنصفوا المظلومین، و لا تقربوا الربا أَوْفُوا الْمِکْیالَ وَ الْمِیزانَ بِالْقِسْطِ وَ لا تَبْخَسُوا النّاسَ أَشْیاءَهُمْ وَ لا تَعْثَوْا فِی الْأَرْضِ مُفْسِدِینَ (۲) و کان یطوف فی جمیع أسواق الکوفه فیقول هذا، ثمّ یقول:

تفنی اللّذاذه ممّن نال صفوتها من الحرام و یبقی الإثم و العار

تبقی عواقب سوء فی مغبّتها لا خیر فی لذّه من بعدها نار(۳)

و فی ذلک کان إذا رأی ظلما یقاومه، أو إهانه ضد أحد فیردّها له، أو یجد طالب حاجه فیرفع حاجته.. فقد حدث:

أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام مرّ بأصحاب التمر فإذا هو بجاریه تبکی.

فقال: یا جاریه ما یبکیک؟

۱- المحاسن و المساویء: ج ۱، ص ۸۵.

۲- سوره هود، الآیه: ۸۵.

۳- أمالی الصدوق: ص ۲۹۸.

فقالت: بعثنی مولای بدرهم فابتعت من هذا تمرا فأتیتهم به فلم یرضوه، فلمّا أتیته به أبی أن یقبله!

فتوسّط الإمام لها و قال للتمّار: یا عبد اللّه إنّها خادم و لیس لها أمر، فاردد إلیها درهمها و خذ التمر.

فقام إلیه الرجل فلکزه، فقال الناس له: ویلک هذا أمیر المؤمنین»! فربا الرجل و اصفرّ و أخذ التمر و ردّ إلیها درهمها ثمّ قال: یا أمیر المؤمنین ارض عنّی.

فقال: «ما أرضانی عنک إن أصلحت أمرک. و وفیت الناس حقوقهم»(1).

و کما کان یرعی حقوق الضعفاء من المسلمین، فإنه کان یراعی حقوق أمثالهم من أهل الملل الأخری، فحتی المستضعفین من النصاری و الیهود کانوا یجدون من رعایته و تفقّده ما کان سائر المسلمین یجدونه منه، بل کان یعاتب المسلمین إذا تعرّض نصرانی للإهمال، و هو أهل حاجه..

فقد روی: «إن أمیر المؤمنین علیه السّلام مرّ بشیخ مکفوف کبیر، و هو یسأل الناس». فقال علیه السّلام: «ما هذا»؟!

قالوا: - «یا أمیر المؤمنین نصرانی»!

۱- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۴۸.

فقال عليه السّلام: «استعملتموه حتى إذا كبر، و عجز منعتموه»؟؟!

ثم التفت إلى مسؤولى بيت المال، و قال:

- «أنفقوا عليه من بيت المال»(۱).

***

و إذا كان البعض يحجم عن عمل الخير، لأنه لا يجد التقدير عليه، فإن الإمام كان يقول له: «لا يزهدنّك فى المعروف من لم يشكره، فقد يشكرك عليه من لا- يستمتع بشىء منه، و قد تدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر، و اللّه يحب المحسنين»(۲).

و لربما كان بعضهم يستحى من إعطاء القليل، فكان يقول له: «لا تستح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقلّ منه»(۳) و إذا كان يصل إلى بعض أصحابه شيء من المال، فإنه كان يقول له:

«من آتاه اللّه مالا فليصل به القرابه، و ليحسن منه الضيافه، و ليفكّ به الأسير و العانى، و ليعط منه الفقير و الغارم، و ليصبر نفسه على الحقوق و النوائب ابتغاء الثواب، فإن فوزا بهذه

۱- الوسائل: ج ۱۱، ص ۴۹.
۲- ديوان المعانى: للعسكرى، ج ۱، ص ۱۵۴.
۳- نهايه الإرب: ج ۳، ص ۲۰۴.

الخصال شرف مكارم الدنیا، و درک فضائل الآخره إن شاء اللّه»(۱).

و لربما کان یتعرّض للإهانه، و هو یسدی المعروف، إلاّ أنه کان ما یطلبه من ثواب اللّه تعالی أکثر مما یتوقعه من الناس من شکر. و قد روی فی المناقب عن الإمام محمد بن علی الباقر علیه السّلام قال:

إن علیا علیه السّلام رجع إلی داره فی وقت القیظ فإذا امرأه قائمه تقول: «إنّ زوجی ظلمنی، و أخافنی، و تعدّی علیّ و حلف لیضربنی!».

فقال: «یا أمه اللّه اصبری حتی یبرد النهار، ثم أذهب معک إن شاء اللّه؟».

فقالت: إذن یشتدّ غضبه علیّ!

فطأطأ رأسه ثم رفعه و هو یقول:

- «لا و اللّه، أو یؤخذ للضعیف حقّه غیر متعتع!» ثم التفت إلیها و قال:

- «أین منزلک»؟

فدلّته إلیه.

۱- نهج البلاغه: الخطب ۱۴۲.

فمضى علیه السّلام إلی بابه فوقف فقال: «السّلام علیکم» فخرج شاب.

فقال علیّ علیه السّلام: «یا عبد اللّه، اتّق اللّه فی أهلک، فإنک قد أخفتها و أخرجتها».

فقال الفتی - و هو لا یعرف أمیر المؤمنین علیه السّلام: و ما أنت و ذاک، و اللّه لأحرقنّها لکلامک!

فسلّ الإمام سیفه و قال له:

- «آمرک بالمعروف و أنهاک عن المنکر.. تستقبلنی بالمنکر و تنکر المعروف؟».

فأقبل الناس من الطرق و هم یقولون: السّلام علیکم یا أمیر المؤمنین:

فسقط الرجل فی یدیه فقال:

- «یا أمیر المؤمنین أقلنی فی عثرتی، فو اللّه لأکونن لها أرضا تطأنی.

فأغمد علی علیه السّلام سیفه و قال: یا أمه اللّه ادخلی منزلک، و لا تلجئی زوجک إلی مثل هذا و شبهه»(۱).

ص:۲۲۹

۱- مناقب آل أبی طالب: ج ۱، ص ۳۱۱.

الإيثار

ينبغى للمؤمن أن يتّصف بثلاث فضائل:

الأول: العدل. و يعنى التعامل بالمثل، فتعطى من يعطيك، و تحسن إلى من يحسن إليك، و تصل من يصلك.

الثانى: الإحسان. و يعنى إعطاء الأفضل للطرف الآخر، فتعطى من يعطيك بأكثر مما أعطى، و تحسن إليه بأفضل من إحسانه، و تجازيه بأكثر مما يستحقّ.

الثالث: الإيثار. و يعنى تقديم الآخرين على الذات. فتعطى لهم ما أنت أحوج إليه منهم، و تقدّم حاجتهم على حاجتك، و نفوسهم على نفسك.

أمّا العدل، فهو للتعامل مع العدوّ.

و أمّا الإحسان، فهو للتعامل مع الناس.

و أمّا الإيثار، فهو للتعامل مع المؤمنين.

ص:٢٣٠

يقول الإمام على عليه السّلام: «عامل سائر الناس بالإنصاف، و عامل المؤمنين بالإيثار»(۱).

و هكذا فإن «الإيثار أحسن الإحسان و أعلى مراتب الإيمان»(۲) كما هو «أعلى مراتب الكرم و أفضل الشيم»(۳).

و فى الحقيقه فإنه من دون «الإيثار» و المخاطره بالعطاء بلا حساب لن يستطيع أحد أن يملك قلوب الرجال إذ إن «بالإيثار تسترقّ الأحرار»(۴) و به «تملك الرقاب»(۵) ، و ليس هنا لك من يقبل الوقوف إلى جانب رجل أنانى، ليس مستعدا أن يؤثر رجاله على نفسه. أمّا القائد الذى يعطى بلا حدود، و يؤثر الآخرين على نفسه، فهو يجمع حوله أصحاب الشيم و الفضيله.

و هكذا كان أمير المؤمنين عليه السّلام لقد اشترى ثوبا فأعجبه فتصدّق به و قال:

- سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: «من آثر على نفسه، آثره اللّه يوم القيامه الجنه»(۶).

۱- غرر الحكم و درر الكلم.

۲- المصدر السابق.

۳- المصدر السابق.

۴- غرر الحكم و درر الكلم.

۵- المصدر السابق.

۶- تفسير نور الثقلين: ج ۵، ص ۲۸۵.

و لقد كانت حياته كلها إيثارا، ففى ليله «الهجره» آثر رسول اللّه على نفسه و نام فى فراشه، و حوله أربعين سيفا متعطّشا لإراقه دمه.. و قد جاء فى الحديث: «بات على بن أبى طالب عليه السّلام على فراش رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأوحى اللّه تعالى إلى جبرئيل و ميكائيل: إنى آخيت بينكما، و جعلت عمر الواحد منكما أطول من عمر الآخر، فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياه؟

فاختار كلاهما الحياه..

فأوحى اللّه - تعالى - إليهما: أ فلا كنتما مثل على بن أبى طالب، آخيت بينه و بين محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فبات على فراشه، يفديه بنفسه، فيؤثره بالحياه؟

«فأنزل اللّه تعالى قوله: وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ (۱)(۲).

***

و روى المفسّرون «أنّه لم يكن يملك إلاّ أربعه دراهم، فتصدّق بدرهم ليلا و بدرهم نهارا و بدرهم سرّا و بدرهم علانيه،

۱- سوره البقره، الآيه: ۲۰۷.

۲- تنبيه الخواطر: ص ۱۴۲.

فأنزل فيه اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيَةً (۱)(۲).

كان عليه السّلام شديد المروءه، و كان يقول: «من آثر على نفسه بالغ فى المروءه»(۳) و يقول: «من آثر على نفسه استحق اسم الفضيله»(۴) يقول: «لا تكتمل المكارم إلّا بالعفاف و الإيثار»(۵).

و كان - كما جاء فى التاريخ - «أشبه النّاس طعمه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يأكل الخبز و الخلّ و الزيت و يطعم النّاس الخبز و اللّحم»(۶).

و روى عنه «إنه كان يستقى بيده لنخل قوم من يهود المدينه حتّى مجلت يده، و يتصدّق بالأجره و يشدّ على بطنه حجرا»(۷).

كل ذلك ليس من أجل شىء إلّا لكسب رضا اللّه تعالى حيث كان يرى «الإيثار أفضل عباده و أجلّ سياده»(۸) ، و من هنا عوّد أهله على ذلك فقد روى عن أبى هريره قال:

۱- سوره البقره، الآيه: ۲۷۴.

۲- شرح نهج البلاغه: ابن أبى الحديد: ج ۱، ص ۱۴۴.

۳- غرر الحكم و درر الكلم.

۴- التفسير المعين، ص ۳۱۶.

۵- غرر الحكم و درر الكلم.

۶- المحاسن: ص ۲۸۳.

۷- شرح نهج البلاغه: ج ۱، ص ۲۱۵.

۸- غرر الحكم و درر الكلم.

جاء رجل إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فشكا إليه الجوع، فبعث رسول اللّه إلى بيوت أزواجه فقلن: ما عندنا إلّا الماء.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من لهذا الرجل اللّيله؟

فقال علىّ بن أبى طالب عليه السّلام: أنا له يا رسول اللّه.

و أتى فاطمه عليها السّلام فقال لها: ما عندك يا بنت رسول اللّه؟

فقالت: ما عندنا إلّا قوت الصبيه نؤثر ضيفنا.

فقال علىّ عليه السّلام: يا ابنه محمّد نوّمى الصبيه و أطفئى المصباح ففعلت ذلك و أعطوا طعامهم للرجل..

فلمّا أصبح علىّ عليه السّلام غدا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأخبره الخبر، فلم يبرح حتّى أنزل اللّه عزّ و جلّ وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَهٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۱)(۲).

***

و ذات مره حدث أن مرض الحسن و الحسين و هما صبيان فعاودهما جدهما و معه بعض صحابته. و نبّه فاطمه و هو على باب دارهما أن معه غرباء، و رمى إليها بردته و هى خلف الباب لتغطّى بها من جسمها ما لا ينبغى أن يراه الغريب!

۱- سوره الحشر، الآيه: ۹.

۲- الأمالى: للطوسى، ص ۱۱۶.

و قال أحد الصحابه لعلى: «يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك نذرا». فقال على: «إن برئا مما بهما صمت للّه عزّ و جلّ ثلاثه أيام شكرا». و قالت فاطمه كذلك. و قال الغلامان كذلك. فلما برئا أصبح الجميع صياما و ما فى الدار شىء من طعام يفطرون عليه.

فغدا على بن أبى طالب على جار يهودى له يدعى شمعون، كان يعالج الصوف، فقال له: «هل لك أن تعطينى جزه من الصوف تغزلها لك بنت محمد بثلاثه أصوع من شعير»؟.

قال: «نعم». فأعطاه فجاء بالصوف و الشعير، فأخبر فاطمه، فقبلت و أطاعت. ثم غزلت ثلث الصوف، و أخذت صاعا من شعير فطحنته و عجنته و خبزته.. و صلّى علىّ المغرب بالمسجد مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، ثم أتى منزله ليفطر، فوضع الخوان فجلسوا فأوّل لقمه كسرها على، إذا مسكين واقف على الباب فقال: «يا أهل بيت محمد. أنا مسكين من مساكين المسلمين.. أطعمونى أطعمكم اللّه من موائد الجنّه».

فدفع على الطعام إلى المسكين. و باتوا جياعا، و أصبحوا صياما!.

و فى اليوم التالى طحنت فاطمه الصاع الثانى، و خبزته،

و وضعت الطعام ليفطروا، إذ وقف بالباب يتيم من أولاد المهاجرين استشهد أبوه، فأعطوه الطعام!. و فى اليوم الثالث طحنت آخر صاع و خبزته، و عند المغرب وضعت الطعام، إذ وقف بالباب أسير يقول: «السّلام عليكم يا أهل بيت النبوّه، تأسروننا و لا تطعموننا. أطعمونى فأنا أسير». فأعطوه الطعام..!

و أقبل على و معه الحسن و الحسين يرتعشان كالفرخين من شدّه الجوع على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: «يا أبا الحسن! لشدّ ما يسوؤنى ما أدرككم. انطلقوا بنا إلى ابنتى فاطمه». فانطلقوا إليها و هى فى محرابها، و هى قد غارت عيناها من شدّه الجوع، فقال عليه الصلاه و السّلام: «وا غوثاه»!.. ثم ضمّها إليه.

فأنزل اللّه تعالى آيات من سوره الإنسان.. هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (۱). إلى وَ جَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّهً وَ حَرِيراً (۲). و فيها يتحدّث سبحانه عن الأبرار:

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (۷) وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً (۳) (۴).

۱- سوره الإنسان، الآيه: ۱.

۲- سوره الإنسان، الآيه: ۱۲.

۳- سوره الإنسان، الآيتان: ۷، ۸.

۴- على إمام المتّقين: ج ۱۹۰، ص ۳۶-۳۷.

الحلم

بدون أن يكون الإنسان حليما لا يكون عظيما.

ذلک أن «الحلم و الأناه توأمان ينتجهما علوّ الهمّه»(۱) ، فصاحب القلب الكبير يتحمّل الشیء الكثير، بينما أصحاب القلوب الصغيره يغضبون و يثورون لأتفه الأشياء..

و هكذا فإن «الحلم رأس الرئاسه»(۲) شأنه فی ذلک، شأن سعه الصدر، فإن «من حلم ساد»(۳) و الغضوب أبعد شیء عن السياده إذ إن «أول عوض الحليم من خصلته أن الناس أعوانه على الجاهل»(۴) «فبالحلم تكثر الأنصار»(۵) و «من حلم من عدوّه ظفر به»(۶).

ص:۲۳۷

۱- البديع: لابن المعتزّ، ص ۲۱.
۲- غرر الحكم و درر الكلم.
۳- بحار الأنوار: ج ۷۷، ص ۲۰۸.
۴- بحار الأنوار: ج ۷۱، ص ۴۲۵.
۵- غرر الحكم و درر الكلم.
۶- بحار الأنوار: ج ۷۱، ص ۴۲۸.

و علی کل حال فإن «الحلم قدام السفینه»(۱) و «نور جوهره العقل»(۲) و «حجاب من الآفات»(۳) و «حلیه العلم و علّه السلم»(۴) و «نظام أمر المؤمن»(۵).

و قد یتساءل البعض: ما هو الحلم؟ و کیف یکون الإنسان حلیما؟

و الجواب: «إنما الحلم کظم الغیظ و ملک النفس»(۶).

فلیس الحلم أن لا تثور فی داخلک، بل هو أن تملک غضبک و لا تنساق معه، و تتحمّل الأذی، و لا تردّ علی کل ما یقال عنک، و بکلمه فإن «الحلیم من احتمل إخوانه»(۷).

أمّا کیف نحصل علی فضیله الحلم، فبالتصمیم علی ذلک، و بذل المحاوله و التدریب «فإن لم تکن حلیما فتحلّم فإنّه قلّ من تشبّه بقوم إلّا أوشک أن یکون منهم»(۸) «فمن تحلم حلم»(۹)

۱- غرر الحکم و درر الکلم.

۲- المصدر السابق.

۳- المصدر السابق.

۴- المصدر السابق.

۵- المصدر السابق.

۶- غرر الحکم و درر الکلم.

۷- المصدر السابق.

۸- بحار الأنوار: ج ۷۱، ص ۴۲۷.

۹- غرر الحکم و درر الکلم.

و «من لم يتحلم لم يحلم»(۱) و هكذا فإنه ليس ضروريا أن تكون حليما فی داخلك، بل يكفی أن تظهر الحلم مع قطع النظر عن حالتك النفسيه، و لذلك فإنه «قد يتزيّا بالحلم غير الحليم»(۲).

ثم إن الحلم، و ضبط النفس لهما القيمه حين القدره على الرّد و الانتقام، لا عند العجز عن ذلك. ف «من أحسن أفعال القادر أن يغضب فيتحلّم»(۳) «فليس الحليم من عجز فهجم و إذا قدر فانتقم. إنما الحليم من إذا قدر عفا و كان الحلم غالبا على أمره»(۴).

و هكذا كان أمير المؤمنين عليه السّلام و قد جاء فی كتب التاريخ: «أن عليا عليه السّلام كان إذا صلّى الفجر لم يزل معقّبا إلى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء و المساكين و غيرهم من الناس، فيعلّمهم الفقه و القرآن، و كان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك، فقام يوما فمرّ برجل، فرماه بكلمه هجا فيها الإمام: فرجع عوده على بدئه، و أمر فنودی:

الصلاه جامعه.

۱- بحار الأنوار: ج ۷۷، ص ۲۸۳.

۲- غرر الحكم و درر الكلم.

۳- المصدر السابق.

۴- المصدر السابق.

ثم صعد المنبر فحمد اللّه و أثنى عليه و قال:

أيّها الناس إنّه ليس شىء أحبّ إلى اللّه و لا أعمّ نفعا من حلم إمام و فقهه، و لا شىء أبغض إلى اللّه و لا أعمّ ضررا من جهل إمام و خرقه.

ألا و إنّه من لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من اللّه حافظ.

ألا و إنّه من أنصف من نفسه لم يزده اللّه إلاّ عزّا.

ألا و إنّ الذلّ فى طاعه اللّه أقرب إلى اللّه من التعزّز فى معصيته».

ثمّ قال: أين المتكلّم آنفا؟ فلم يستطع الإنكار، فقال: ها أنا ذا يا أمير المؤمنين.

فقال: أما إنّى لو أشاء لقلت.

فقال الرجل إن تعفو و تصفح فأنت أهل لذلك؟

فقال: عفوت و صفحت(۱).

***

و لقد تعلّم الإمام من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الكثير فى هذا المجال، فقد أوصاه النبى حين زوّجه ابنته فاطمه الزهراء عليها السّلام قائلا:

۱- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۱۳۳.

«یا علی! لا تغضب، و إذا غضبت فاقعد و تذكّر قدره اللّه تعالی علی العباد، و حلمه عنهم. و إذا قیل لک: اتّق اللّه، فاترک غضبک عنک و ارجع لحلمک»(۱). و علّمه: «من كظم غیظا و هو یقدر علی إنفاذه ملأه اللّه إیمانا و أمنا»(۲). و علّمه:

«ثلاث من لم تكن فیه واحده منهنّ فلا تعتدّوا بشیء من علمه:

تقوی تحجزه عن معاصی اللّه، و حلم یكفّ به السفیه، و خلق یعیش به فی الناس»(۳) و علی هذه التعالیم التی تلقاها منذ نعومه أظفاره، عاش الإمام علی علیه السّلام و تربّی.

و لكم عفا و كظم غیظه؟

و لكم حلم و ضبط غضبه؟

و لكم واجه السفهاء بوقاره و حلمه؟

و قد روی فی ذلک ذات مره عربد علیه أحد حسّاده، فنصحه بعض أن یشكوه إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فرفض ذلک و قال: «إنّی لأستحی من اللّه أن یكون هناک ذنب أعظم من عفوی، أو جهل أعظم من حلمی، أو عوره لا یداریها ستری، أو خلّه (الحاجه و الفقر) لا یسدّها جودی»(۴).

۱- علی إمام المتّقین: ج ۱.
۲- المصدر السابق.
۳- جامع السعادات: ج ۱، ص ۳۳۲.
۴- علی إمام المتّقین: ج ۲، ص ۴۰.

و فی حادثه أخری: روی أن امرأه جمیله فی الکوفه مرّت قرب الإمام أمیر المؤمنین علیه السّلام و هو جالس مع جماعه، فرمقها بعض القوم بأبصارهم، فنهاهم أمیر المؤمنین علیه السّلام عن ذلک قائلا:

«إن عیون هذه الرجال لواقح، و إن ذلک سبب هلاکها، فإذا نظر أحدکم إلی امرأه تعجبه فلیلتمس أهله، فإنما هی امرأه کامرأه.

فقال رجل من الخوارج: «قاتله اللّه من کافر ما أفقهه» فوثب القوم إلیه یریدون تأدیبه، فقال علیه السّلام ناهیا لهم:

رویدا إنما هو سبّ بسبّ، أو عفو من ذنب.

ثم عفا عنه و ترکه و شأنه(۱).

***

حقا إنّ أمیر المؤمنین نموذج عظیم یجب الاقتداء به من قبل کل الحکّام و الرؤساء إذا أرادوا کسب رضا اللّه تعالی.

فعدا عن عفوه العظیم، کانت له قدره کبیره علی ضبط النفس، و الحلم عن جهل الجاهلین.. رغم قدرته علی أن ینتقم و یجازی.

فبعد معرکه الجمل و انتصاره علی طلحه و الزبیر و عائشه

۱- السبیل إلی إنهاض المسلمین: ص ۴۴۰.

أمر الإمام بأن توضع عائشه باحترام فی بیت «عبد اللّه بن خلف الخزاعی» و کان قصرا کبیرا، له حدیقه و فناء واسع، و قام بزیارتها أکثر من مرّه، فی الأولی منها استقبلته «صفیه بنت الحارث» بشکل غیر مؤدّب فقالت له:

- «یا علی.. یا قاتل الأحبّه.. أیتمّ اللّه منک بنیک، کما أیتمت بنی عبد اللّه».. و کانوا قد قتلوا فی المعرکه مع عائشه.

فلم یجبها الإمام بشیء، سوی دعائه لها بالصبر.

و حینما خرج من عند عائشه أعادت صفیه کلامها البذیء السابق. فقال لها الإمام:

- «لو کنت قاتل الأحبّه لقتلت من فی هذه الدار»!. و کان فیه کثیر من الجرحی من أنصار عائشه و غیرهم من قاده جیشها.

و حاول بعض من کان مع الإمام أن یبطش بها فزجرهم الإمام زجرا عنیفا(۱).

حقا إنّ «الحلم یطفیء نار الغضب، و الحدّه تؤجج إحراقه»(۲). و «کفی بالحلم ناصرا»(۳).

ص:۲۴۳

۱- حیاه الإمام الحسین علیه السّلام: ص ۴۹.
۲- غرر الحکم و درر الکلم.
۳- الکافی: ج ۲، ص ۱۱۲.

و لهذا فإنه «ليس الخير أن يكثر مالك و ولدك و لكن الخير أن يكثر علمك و يعظم حلمك»(۱).

و لقد سئل الإمام عليه السّلام: من أقوى الخلق؟ فقال الحليم»(۲).

۱- جامع السعادات: ج ۱، ص ۳۳۳.

۲- بحار الأنوار: ج ۷۷، ص ۳۷۸.

العمل اليدوی

العمل اليدوی ليس عيبا بل هو مقدّس.

فالإنتاج الشخصی، و ممارسه مهنه من المهن شيمه من شيم عظماء التاريخ، فما من نبی إلّا و كان يسترزق من كدّ يمينه و عرق جبينه، فمنهم من كان زارعا، و منهم من كان حدادا، و منهم من كان يصنع الجلود، و منهم من كان تاجرا، و كثير منهم كانوا رعاه أغنام..

نبينا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يعمل راعيا للأغنام، و أمينا على أموال خديجه، و يعمل بيديه فی أكثر الأحيان. و كان يقول: «من أكل من كدّ يده نظر اللّه إليه بالرحمه، ثم لا يعذّبه أبدا»(۱) و يوصی أصحابه بالاعتماد على أيديهم و يقول: «من أكل من كدّ يده كان يوم القيامه فی عداد الأنبياء، و يأخذ ثواب الأنبياء»(۲).

ص:۲۴۵

۱- بحار الأنوار: ج ۱۰۳، ص ۹.

۲- المصدر السابق: ص ۱۰.

و «کان أمیر المؤمنین علیه السّلام یضرب بالمر (المسحاه)، و یستخرج الأرضین، و أنه أعتق ألف مملوک من کدّ یده»(۱).

و ربما «کان یخرج و معه أحمال النوی، فیقال له: یا أبا الحسن، ما هذا معک؟ فیقول: «نخل إن شاء اللّه» فیغرسه، فما یغادر منه واحده»(۲).

و کان یقول: «من لم یصبر علی کدّه، صبر علی الإفلاس»(۳). و یقول: «إن الأشیاء لمّا ازدوجت، ازدوج الکسل و العجز فنتج منهما الفقر»(۴).

و روی «أن أمیر المؤمنین علیه السّلام لمّا کان یفرغ من الجهاد یتفرّغ لتعلیم الناس و القضاء بینهم، فإذا فرغ من ذلک اشتغل فی حائط له، یعمل فیه بیدیه، و هو مع ذلک ذکر اللّه تعالی»(۵).

و بالإضافه إلی أن العمل الیدوی عند الإمام کان ضروریا للصحه و السلامه الجسمیه، فإنّ الإمام علیه السّلام کان یعمل بیدیه حتی لا یأکل من بیت المال، فهو یرید أن یعطی لا أن یأخذ، حتی بمقدار حقّه کفرد مسلم من عامه النّاس، و لذلک فإنه علیه السّلام

۱- میزان الحکمه: ج ۴، ص ۱۲۱.

۲- فروع الکافی، ج ۵، ص ۷۵.

۳- غرر الحکم و درر الکلم.

۴- الحیاه: ج ۴، ص ۳۱۹.

۵- المستدرک: ج ۲، ص ۴۱۷.

كثيرا ما كان ينفق سهمه فى سبيل اللّه.. ثم يعمل أجيرا لدى بعض أصحاب الأراضى حتى يسترزق..

كما أنه عليه السّلام، كان يرفض أن يعيش عاله على أحد، و يقول: «استغن عمّن شئت تكن نظيره»(۱) و يقول: «و إن استطعت أن لا يكون بينك و بين اللّه ذو نعمه فافعل، فإنك مدرک قسمک و آخذ سهمک»(۲).

فمهما كان فإن فى مقدور أى إنسان أن يكون منتجا بمقدار حاجته، و عاملا فى الحياه قدر استطاعته و معمرا للأرض على قدر همّته «فإن اللّه تعالى فى قوله: هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيها (۳) أعلمنا أنه قد أمرهم بالعماره، ليكون ذلک سببا لمعايشهم، بما يخرج من الأرض من الحبّ و الثمرات و ما شاكل ذلک مما جعله اللّه معايش للخلق(۴).

و لهذا فقد جاءت الروايات تترى فى ضروره العمل اليدوى، و الإنتاج الشخصى مثل الحديث الذى يقول: «ما أكل

۱- نهج البلاغه: الحكم.

۲- شرح نهج البلاغه: ج ۱۶، ص ۹۳.

۳- سوره هود، الآيه: ۶۱.

۴- الوسائل: ج ۱۳، ص ۱۹۵.

أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده»(۱) و «أزكى الأعمال كسب المرء بيده»(۲) و «ما أكل عبد طعاما أحب إلى اللّه تعالى من كدّ يده، و من بات كالاّ من عمله بات مغفورا له»(۳) و «أطيب الكسب عمل الرجل بيده»(۴) و «مرّ داود بإسكافى فقال: يا هذا اعمل و كل، فإن اللّه يحب من يعمل و يأكل و لا يحب من يأكل و لا يعمل»(۵). و «من أكل من كدّ يده حلالا فتح اللّه له أبواب الجنّه، يدخل من أيّها شاء»(۶) و «من أكل من كدّ يده نظر اللّه إليه بالرحمه ثم لا يعذّبه أبدا»(۷) «و من أكل من كدّ يده يكون يوم القيامه فى عداد الأنبياء و يأخذ ثواب الأنبياء»(۸) و لقد تعلّم الإمام على عليه السّلام من أستاذه العظيم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فيما تعلّم من معانى القرآن أن اللّه لا يكتفى من العبد المطيع التقى بالإيمان وحده، بل اللّه يقرن الإيمان

۱- كنز العمال: ۹۲۲۳.

۲- المصدر السابق: ۹۲۲۰.

۳- التفسير المعين: ص ۵۸۲.

۴- كنز العمال: ۹۱۹۶.

۵- تنبيه الخواطر: ص ۳۵.

۶- الصياغه الجديده: ص ۱۶۹.

۷- المصدر السابق.

۸- المصدر السابق.

بالعمل.. فكلما ذكر اللّه تعالى الإيمان فى آيه عطف عليه العمل الصالح: اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ (۱).

أما الإيمان فمعروف، و فيه أداء العبادات المفروضه، و أما العمل الصالح فهو ما ينهض بأدائه و إتقانه كل إنسان فى أيه جماعه إنسانيه من أعمال مشروعه تكفل له معاشه، و تحقق المصلحه للأمه جميعا..

لقد تعلّم عليّ من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن من يسعى فى طلب الرزق كمن ينقطع للعباده، و أن طلب العلم فريضه، و أن العمل شرف و إتقانه واجب شرعى، و أن الجهاد فى سبيل اللّه و العمل لعماره الأرض و إسعاد الناس، و الجهد فى تحقيق مصالح الأمه، هى أفضل ما يتقرّب به العبد الصالح إلى اللّه، و هى الأعمال التى يحبّها اللّه.

و لذلك فقد روى «أن أمير المؤمنين كان يكدح بكدّ يده، ثم إذا جمع مالا اشترى عبدا فأعتقه فى سبيل اللّه»(۲).

و روى: «أن عليا عليه السّلام كان يعمل بيده، و يجاهد فى سبيل اللّه، و أقام على الجهاد أيّام حياه رسول اللّه، و منذ قام بأمر الناس إلى أن

۱- سوره البقره، الآيه: ۲۵.

۲- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ۴۴۲.

قبضه اللّه، و كان يعمل فی ضياعه ما بين ذلک. فأعتق ألف مملوک، كل ذلک من كسب يده»(۱).

و هكذا فإنه كان يعتبر العمل اليدوی تأسّيا بالأنبياء و يقول:

«.. و لقـد كان فی رسول اللّه كاف لک فی الأسوه... و إن شـئت ثلّثت بـداود عليه السّلام صاحب المزامير، و قاریء أهل الجنّه، فلقد كان يعمل سفائف الحوض بيده، و يقول لجلسائه: أيّكم يكفينی بيعها؟ و يأكل قرص الشعير من ثمنها»(۲).

۱- دعائم الإسلام.

۲- نهج البلاغه: الخطب ۱۶۰.

التوازن بين الدنيا و الآخره

هل «الدنيا و الآخره عدوان متفاوتان، و سبيلان مختلفان، فمن أحبّ الدنيا تولّاها و أبغض الآخره و عاداها، و هما بمنزله المشرق و المغرب، و ماش بينهما، كلّما قرب من واحد بعد من الآخر، و هما بعد ضرّتان»(۱) ؟.

و هل «أن فی طلب الدنیا إضرارا بالآخره، و فی طلب الآخره إضرارا بالدنیا(۲)!

و هل «طلب الجمع بینهما من خداع النفس»(۳) ؟

و هل هما «ککفتّی المیزان فأیّهما رجح ذهب بالآخر»(۴) ؟

و هل کلما فات من الدنیا غنیمه(۵) ؟

ص:۲۵۱

۱- حلیه الأولیاء: ج ۱، ص ۸۳.

۲- بحار الأنوار: ج ۷۳، ص ۶۱.

۳- غرر الحکم و درر الکلم.

۴- بحار الأنوار: ج ۷۳، ص ۹۲.

۵- میزان الحکمه: ج ۳، ص ۳۲۶.

و هل «مراره الدنيا حلاوه الآخره، و حلاوه الدنيا مراره الآخره»(۱) ، و أن «ما زاد فی الدنیا نقص فی الآخره، و ما نقص فی الدنیا زاد فی الآخره»(۲) ؟

أم أن الدنيا و الآخره وجهان لعمله واحده و أن «الدنيا مزرعه الآخره»(۳) و «بالدنيا تحرز الآخره»(۴) و أنه «لنعم العون الدنيا على الآخره»(۵) ؟

و فی الحقیقه إنّ الـدنیا لیست بالنسبه إلی الجمیع واحـده، فهی لیست إمّـا خیرا أو شـرا، بـل إن «الـدنیا دنیاوان: دنیا بلاغ، و دنیا ملعونه»(۶).

فمن جعل همّه الدنيا، فأراد الدنيا لذاتها، و اعتبرها هدفا له و لا شـیء وراء ذلك كانت بالنسبه إليه ملعونه، لأن فی ذلك هلاكه، فهی إذن شرّ، لأنه خسر نفسه فيها و لم يربح شيئا.

أمّا من جعلها مزرعه لآخرته، و دارا بها يبلغ مبتغاه فی العقبى، فهی نعم الدار. «لمن لم يرض بها دارا»، و «محلّ من

۱- غرر الحكم و درر الكلم.

۲- المصدر السابق.

۳- ميزان الحكمه: ج ۳، ص ۲۸۵.

۴- الاحتجاج: ج ۱، ص ۳۲۶.

۵- بحار الأنوار: ج ۷۳، ص ۱۲۷.

۶- بحار الأنوار: ج ۷۲، ص ۶۸.

لم يوطنها محلا»(۱) فالدنيا «دار الظالمين إلّا العامل فيها بالخير فإنها له نعمت الدار»(۲) «فاللّه سبحانه جعل الدنيا لما بعدها، و ابتلى فيها أهلها، ليعلم أيّهم أحسن عملا، و لسنا للدنيا خلقنا، و لا بالسعى فيها أمرنا»(۳).

إن «الدنيا قنطره»(۴) و نحن فيها «كعابرى سبيل»(۵) و مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ (۶) و «إنما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر بنا بهم منزل جديب فأمّوا منزلا خصيبا، و جنابا مريعا فاحتملوا و عثاء الطريق، و فراق الصديق، و خشونه السفر، و جشوبه المطعم ليأتوا سعه دارهم و منزل قرارهم»(۷).

و ما مثل أحدنا «و مثل الدنيا إلّا كراكب سار فى يوم صائف فاستظلّ تحت شجره ساعه من نهار ثم راح و تركها»(۸).

«فالدنيا أمد و الآخره أبد»(۹).

۱- شرح نهج البلاغه: ج ۱۱، ص ۲۳۹.

۲- بحار الأنوار: ج ۷۷، ص ۳۶.

۳- الطراز لليمانى: ج ۲، ص ۳۹۳.

۴- بحار الأنوار: ج ۱۴، ص ۳۱۹.

۵- بحار الأنوار: ج ۷۳، ص ۹۹.

۶- سوره النساء، الآيه: ۷۷.

۷- العقد الفريد: ج ۳، ص ۱۵۵.

۸- بحار الأنوار: ج ۱۶، ص ۲۳۸.

۹- غرر الحكم و درر الكلم.

و هكـذا، فإنه ليست الـدنيا إلّا لكى «يتزوّد العبـد من دنياه لآخرته و من حياته لموته، و من شـبابه لهرمه فإن الـدنيا خلقت لكم و أنتم خلقتم للآخره»(۱).

و بهذه النظره الصائبه إلى الدنيا، فإنها تكون للناس على نوعين:

الأول: من يغترّ بها، و يعبدها و يفنى فيها.

الثانى: من يعبر منها، و يتزوّد فيها، و يكسب بها الآخره.

و لا ـ شـك أننـا لا ـ يمكن أن نسـتغنى عن الحدّ الأدنى من الـدنيا إذ كيف تعيش، و تعمل، و تطيع اللّه، و تنفع العباد إذا تركناها جمله و تفصيلا. و هل يمكن تصوّر ترك الدنيا كامله إلّا فى صوره الانتحار، أو الإضراب عن الطعام و الشراب حتى الموت؟

إن الحدّ الأدنى من الدنيا ضـروره، و لذلك لا يجرى الحديث حول مشروعيتها و عدمه، لأن الأمر ليس متروكا لنا، مثلما الحفاظ على الحيـاه ضـروره. أمّـا الحـدّ الأعلى منها فهو غير ضـرورى، بل إنه وبال على الإنسان، لأن ما يزيـد عن الحاجه غنمه لغيرك و غرمه عليك.

۱- تنبيه الخاطر: ص ۳۶.

إذن، فما هو ضروری لک من الدنیا فهو واجب.

و ما هو غیر ضروری لک فهو زائد..

نعم، قـد یتطرّف البعض فی الزهـد، أو یفهمه خطأ، أو یظن أن المؤمنین مکلفون بترک الـدنیا لأهل الکفر و الفسق و الفجور، أو أن الزهد فی الدنیا یعنی الزهد فی العمل و النشاط، و إشاعه الخیر. کما قد یتطرّف البعض فی البحث عن الدنیا إلی درجه الطمع و الجشع و الترف و التکاثر..

فالحدّ الوسط هو أن نسعی لـدنیانا من أجل آخرتنا، فنجعل ما فیها لما بعدها. لا العکس. و أن نعمل لأجل الآخرین حتی تکون لهم حیاه حره کریمه. فیکون زهـدنا فی الـدنیا زهـد المقتدر لا زهد العاجز، و زهد الذی یرید الآخره، و یبتغی بما أتاه اللّه الدار الآخره و لکنه لا ینسی نصیبه من الدنیا..

إننـا مطالبون بالکـدّ فی الـدنیا، و العمل لعمارتها، کما نحن مطالبون بالالتزام بالقیم و المثل و أحکام الشـرع. فالمطلوب لیس هو الزهـد فی الـدنیا بـل الزهـد عنها. فلیس الزهـد عن تعمیر الأرض للآخرین و تطویرها لعباد اللّه، و بنائها للنفع العام، إلّا زهـدا فی النشاط، و ترکا للعمل و الطاعه، و هو زهد مرفوض.

کما أنّ الانشغال بکل ما سبق عن العباده، و هدایه الناس،

و العمل الصالح هو الولع الباطل بالدنيا، و هو رأس كل خطيئه..

إن الدنيا وسيله.. فكيف نستخدمها بجعلها خيرا، أو شرا، صالحا أو ضارا، طاعه، أو معصيه.

إن «الـدنيا سوق ربح فيها قوم و خسـر آخرون»(۱) ربحهـا من نظر إليهـا «نظر الزاهـد المفارق»(۲) و خسـرها من نظر إليهـا «نظر العاشق الوامق»(۳). ربحها من يعطى منها، و خسرها من يعطى لها. ربحها من اشترى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ (۴).

و خسرها من وَ آثَرَ الْحَياهَ الدُّنْيا (۵).

إن «النـاس أبناء الـدنيا و لا يلام الرجل على حبّ أمه»(۶) لأن الولد مطبوع على ذلك(۷) ، و إنمـا يلامون إذا نسوا الآخره، و لم يعملوا لها، فاستعبدوا في الدنيا، و فارقوها بلا أعمال صالحه، و لا مواقف نافعه..

يقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «لا تسبوا الدنيا فنعمه مطيّه المؤمن

۱- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۳۶۶.

۲- غرر الحكم و درر الكلم.

۳- المصدر السابق.

۴- سوره البقره، الآيه: ۲۰۷.

۵- سوره النازعات، الآيه: ۳۸.

۶- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۱۴.

۷- غرر الحكم و درر الكلم.

فعليها يبلغ الخير و بها ينجو من الشر. إنه إذا قال العبد: لعن اللّه الدنيا، قالت الدنيا: لعن اللّه أعصانا للرّب»(۱).

إذن ف «ليس من حب الدنيا طلب ما يصلحك»(۲) و قد روى أن رجلا قال للإمام: «إنّا لنحب الدنيا. فقال له الإمام:

«و ما ذا تصنع بها»؟ قال: «أتزوج منها، و أحجّ، و أنفق على عيالى و أنيل أخوانى، و أتصدّق. فقال عليه السّلام: «هذا ليس من (حب) الدنيا، هذا من (حب) الآخره»(۳).

من هنا فليس الفقر خيرا. و لا البؤس فخرا، و لا الحاجه صلاحا و لا الجوع فلاحا. «لأن الفقر (هو) الموت الأكبر»(۴) و قد «كاد الفقر أن يكون كفرا»(۵) و ذلك لأن «الفقر يخرس الفطن عن حاجته»(۶) و «الفقر فى الوطن غربه(۷) بينما الغنى فى الغربه وطن»(۸).

إن الحفاظ على التوازن بين طلب الحدّ الأدنى من الدنيا،

ص:۲۵۷

۱- بحار الأنوار: ج ۷۷، ص ۱۷۸.

۲- المصدر السابق: ج ۷۳، ص ۱۲۸.

۳- ربيع الأبرار: ج ۱، ص ۳۶۲.

۴- بحار الأنوار: ج ۷۲، ص ۴۷.

۵- بحار الأنوار: ج ۷۲، ص ۴۷.

۶- شرح نهج البلاغه: ج ۱۸، ص ۸۷.

۷- نهج البلاغه: الحكم ۵۶.

۸- غرر الحكم و درر الكلم ۳۳.

و العمل لأجل الحدّ الأعلى من الآخره، هو أعلى أنواع الصلاح، ثم تتدرّج مراتبه حسب اختلال هذا التوازن. فقد يطلب أحدنا الحدّ الأعلى من الدنيا و الحد الأدنى من الآخره، فيعيش فى قضايا دينه على الحافه، و لكنه فى قضايا دنياه يطلب النصيب الأعلى، فهو ليس من أهل الباطل و لكنه ليس من السابقين السابقين أولئك المقرّبون.

و على كل حال فقد روى: «إن أعظم الناس هما المؤمن: «يهتمّ بأمر دنياه و أمر آخرته»(۱) و روى أيضا:

«اجعلوا لأنفسكم حظا من الدنيا بإعطائها ما تشتهى من الحلال، و ما لا يثلم المروءه، و ما لا سرف فيه، و استعينوا بذلك على أمور الدّين، فإنه روى «ليس منا من ترک دنياه لدينه، أو ترک دينه لدنياه»(۲).

إن من سوء الفهم لدى البعض الإسراف فى الانكباب على الدنيا متعللا بقوله تعالى: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ (۳).. أو الإعراض عن العمل

ص:۲۵۸

۱- كنز العمال: خ ۷۰۲.

۲- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۳۲۱.

۳- سوره الأعراف، الآيه: ۳۲.

و العزوف عن الحياه متمسحا بقوله تعالى: وَ مَا الْحَيَاهُ الدُّنْيا إِلّا مَتاعُ الْغُرُورِ (۱).

يقول الإمام على عليه السّلام: «ألا و إنّ من البلاء الفاقه، و أشدّ الفاقه مرض البدن، و أشدّ من مرض البدن، مرض القلب.

و أفضل من سعه المال صحّه البدن، و أفضل من صحه البدن تقوى القلب»(۲).

لقد كان الإمام عليه السّلام مع الفقراء.. و لكنه عليه السّلام لم يكن يريد لهم الفقر، بل الغنى، و لم يكن يريد لهم المرض بل الصحه، فهو لم يكن يدفع الفقراء جانبا و يطردهم كما يفعل المترفون، بل كان يعيش معهم حتى يرفعوا الفقر عن أنفسهم، و يزيلوا البؤس عنها. «فالخير: الصحّه و الغنى.. و الشر: المرض و الفقر»(۳) و «الحرمان خذلان»(۴) و «القلّه ذلّه»(۵) و لقد قال الإمام لولده محمد ابن الحنفيه: «يا بنى.. إنى أخاف عليك

۱- سوره آل عمران، الآيه: ۱۸۵.

۲- غرر الحكم و درر الكلم.

۳- بحار الأنوار: ج ۸۱، ص ۲۰۹.

۴- غرر الحكم.

۵- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۱۲.

الفقر فاستعذ باللّه منه، فإنّ الفقر منقصه للدين، مدهشه للعقل، داعيه للمقت»(۱).

***

إن الإمام على عليه السّلام يذمّ أهل الدنيا، ممّن غرّتهم بهارجها فنسوا الآخره، فظن بعض أصحابه أنه يدعوهم إلى الخروج عمّا أحلّ اللّه تعالى من متاع الحياه فترک أحدهم - و هو «عاصم بن زياد» - أهله و بنيه، و لبس مرقعه، و اعتكف للعباده، فجاء أخوه «الربيع بن زياد» إلى أمير المؤمنين و شكاه، و قال:

إنه قد غمّ أهله، و أحزن ولده بذلک، فدعاه الإمام فلمّا رآه عبس فى وجهه، و قال له: أما استحييت من أهلك؟ أما رحمت ولدك؟ أ ترى اللّه أحلّ لک الطيّبات و هو يكره أخذك منها؟ أنت أهون على اللّه من ذلک، أو ليس اللّه يقول:

وَ الْأَرْضَ وَضَعَها لِلْأَنامِ (١٠) فِيها فاكِهَهٌ وَ النَّخْلُ ذاتُ الْأَكْمامِ (٢) ؟ أو ليس يقول: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ (١٩) بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ (٣) إلى قوله: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ (۴)

ص:۲۶۰

۱- ربيع الأبرار: ص ۳۶۲.

۲- سوره الرحمن، الآيتان: ۱۰، ۱۱.

۳- سوره الرحمن، الآيتان: ۱۹-۲۰.

۴- سوره الرحمن، الآيه: ۲۲.

فباللّه لابتذال نعم اللّه بالفعال أحبّ إليه من ابتذالها بالمقال و قد قال اللّه عزّ و جلّ: وَ أَمّا بِنِعْمَهِ رَبِّک فَحَدِّثْ (۱)(۲).

فدع التواضع فی الثیاب فالله یعلم ما تجن و تکتم

تخوّفا

فرثاث ثوبک لا یزیدک زلفه عند الإله و أنت عبد مجرم

و بهاء ثوبک لا یضرّک بعد أن تخشی الإله و تتّقی ما یحرم

فاعلم رحمک اللّه أنه لا بأس بالغنی لمن اتقی، و اعلم أن الإیمان أن تؤثر الصدق حیث یضرّک علی الکذب حیث ینفعک، و أن لا یکون فی حدیثک فضل (زیاده) علی عملک، و أن تتّقی اللّه فی حدیث غیرک... فلا تعتزل الناس، فلا رهبانیّه فی الإسلام.. و تدبّر قول الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «رهبانیه أمّتی الجهاد». و تعلّم و علّم غیرک، فما أخذ اللّه علی أهل الجهل أن یتعلّموا حتی أخذ علی أهل العلم أن یعلموا. و کفاک أدبا لنفسک اجتناب ما تکرهه لغیرک. فخذ من الدنیا ما أتاک، و تولّ عمّا تولّی عنک»(۳).

فقال عاصم بن زیاد:

«یا أمیر المؤمنین.. تنهانی عن العزوف عن زینه الحیاه

۱- سوره الضحی، الآیه: ۱۱.
۲- أصول الکافی: ج ۱، ص ۴۱۰.
۳- علی إمام المتّقین: ج ۲، ص ۳۱.

التی أحلّ اللّه لعباده و الطیبات من الرزق، فعلام اقتصرت فی مطعمک علی الجشوبه و فی ملبسک علی الخشونه؟ و ترکت قصر الإماره و نزلت منزل أفقر أهل الکوفه؟!».

فضحک الإمام سلام اللّه علیه، و قال: «إن اللّه الذی جعلنی إماما لخلقه فرض علیّ التقدیر فی نفسی و مطعمی و مشربی و ملبسی و مسکنی کضعفاء الناس» و أضاف: «ویحک إن اللّه تعالی فرض علی أئمّه العدل أن یقدّروا أنفسهم بضعفه الناس کیلا یتبیّغ بالفقیر فقره».

فألقی عاصم بن زیاد العباء و لبس الملاء (و هو ثوب یلبس علی الفخذین)(۱).

و فی الحق أن العمل لإصلاح الدنیا و عمارتها لا العزوف عن العمل و اعتزال الدنیا، کان جوهر دعوه الإمام علی علیه السّلام إلی الزهد.. و العمل الصالح الذی یحضّ علیه، لیس هو أداء العبادات المفروضه فحسب، و إنما هو العمل المنتج فی المعاملات.. و هو العمل الذی به عماره الأرض، و علیه تقوم مصالح العباد..

من أجل ذلک اهتم بألوان النشاط الإنسانی التی تخدم المجتمع و انشغل بها و حضّ علیها.. یدویه کانت أم فکریه!..

۱- أصول الکافی: ج ۱، ص ۴۱۱.

إنه ينكر الانقطاع عن الدنيا زهدا فيها كما يرفض الانقطاع لها انشغالا بها.. من أجل ذلك عرف الزهد بقوله: «الزهد كلمه بين كلمتين فى القرآن. قال سبحانه: لِكَيْلاـ تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ وَ اللّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ (۱). فمن لم يأس على الماضى، و لم يفرح بالآتى فقد أخذ الزهد بطرفيه»(۲)..

و يقول: «للمؤمن ثلاث ساعات، فساعه يناجى فيها ربه، و ساعه يروم فيها معاشه، و ساعه يخلى فيها بين نفسه و بين لذتها فيما يحل و يجمل.. و ليس للعاقل أن يكون شخصا إلاّ فى ثلاث: مرمه لمعاش، أو خطوه فى معاد، أو لذّه فى غير محرم».

***

لقد رأى الإمام رجلا قد بنى دارا واسعه كبيره، فقال له:

لقد اتّخذت دارا واسعه، ما كنت تصنع بسعه هذه الدار فى الدنيا و أنت إليها فى الآخره كنت أحوج». فأجابه صاحبه فى حياء و ندم: «بلى يا أمير المؤمنين».

فقال الإمام: «بلى.. إن شئت بلغت بها الآخره: تقرى

۱- سوره الحديد، الآيه: ۲۳.

۲- مجمع البيان: ج ۹، ص ۲۴۱.

بها الضيف، و تصل فيها الرحم، و تطلع منها الحقوق مطالعها.

فإذا أنت بلغت بها الآخره»(۱).

و هكذا، فإن نظره المؤمن إلى الدنيا، ليست نظره العازف عن الحياه بل نظره الحكيم الذى يعرف أن وراءها هدفا، و لذلك فإن أهل التقوى يحصلون من الدنيا ما يحصل الآخرون منها مع فارق واحد هو أن المتقين يحصلون على الدنيا و الآخره بينما غيرهم قد يحصل على الدنيا و لكن ليس له فى الآخره من نصيب.

يقول الإمام على عليه السّلام «اعلموا - عباد اللّه - أن المتّقين ذهبوا بعاجل الدنيا و آجل الآخره، فشاركوا أهل الدنيا فى دنياهم، و لم يشاركهم أهل الدنيا فى آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، و أكلوها بأفضل ما أكلت فحظوا من الدنيا بما حظى به المترفون، و أخذوا منها ما أخذه الجبابره المتكّبرون، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ، و المتجر الرابح، أصابوا لذّه زهد الدنيا فى دنياهم، و تيقّنوا أنهم جيران اللّه غدا فى آخرتهم، لا ترد لهم دعوه، و لا ينقص لهم نصيب من لذّه»(۲).

۱- تلبيس إبليس: ص ۱۹۴.

۲- بشاره المصطفى: ص ۵۲.

ثم إن هناك من يكون زهده فى الدنيا هروبا من مواجهه الصعاب، و تحمّل المشاقّ فهو عاشقها و لكنه عاجز عنها. أو أنّه يحاول أن يلقى كـل المسؤوليه عن تردّى أوضـاع النـاس، و أوضـاعه على الـدنيا، لتكون مسؤوليه صـلاح الأرض على غيره و مسؤوليه الفساد على مجهول..

لقد سمع الإمام على عليه السّلام رجلا من هذا النوع، يذمّ الدنيا هروبا من جهه و تخلّصا من المسؤوليه من جهه أخرى، فقال له:

- «أيّها الذامّ للدنيا، المغترّ بغرورها المخدوع بأباطيلها، أ تغترّ بالدنيا ثم تذمّها؟».

«أنت المتجرّم عليها أم هى المتجرّمه عليك»؟

«متى استهوتك؟ أم متى غرّتك؟ أ بمصارع آبائك من البلى؟ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى»؟

«كم علّلت بكفّيك؟ و كم مرّضت بيديك، تبتغى لهم الشـفاء و تستوصف لهم الأطباء، غداه لا يغنى عنهم دواؤك، و لا يجدى عليهم بكاؤك، لم ينفع أحدهم إشـفاقك، و لم تسعف فيه بطلبتك، و لم ترفع عنه بقوّتك!، و قد مثّلت لك به الدّنيا نفسك، و بمصرعه مصرعك».

«إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، و دار عافيه لمن فهم عنها، و دار غنى لمن تزوّد منها، و دار موعظه لمن اتّعظ بها.

مسجد أحباء اللّه، و مصلّى ملائكه اللّه، و مهبط وحى اللّه، و متجر أولياء اللّه.. اكتسبوا فيها الرّحمه، و ربحوا فيها الجنّه».

«فمن ذا يذمّها و قد آذنت ببيّنها، و نادت بفراقها، و نعت نفسها و أهلها، فمثلت لهم ببلائها البلاء، و شوّقتهم بسرورها إلى السرور؟ راحت بعافيه، و ابتكرت بفجيعه ترغيبا و ترهيبا، و تخويفا و تحذيرا، فذمّها رجال غداه الندامه، و حمدها آخرون يوم القيامه. ذكّرتهم الدنيا فتذكروا، و حدّثتهم فصدّقوا، و وعظتهم فاتّعظوا»(۱).

فالدنيا إذن، دار صدق لمن صدق معها، و اتّعظ بما فيها، و هى دار غرور لمن اغترّ بها. و هكذا فإن الدنيا كما سبق دنياوان دنيا بلاغ، و دنيا ملعونه. أعاذنا اللّه من شرورها و غرورها إن شاء اللّه..

۱- البيان و التبيين: ج ۱، ص ۲۱۹.

الدعابه

هنا لک من یتّخذ الحیاه لهوا و لعبا.

و هناک من یتّخذها شدّه و غضبا.

و کلاهما علی خطأ!

ففی الحیاه ساعات جدّ، لا بـد أن یکون المرء فیها، کجلمود الصـخر، جادا بلا حـدود.. و فیها ساعات فرح فلا بـد أن یتمتّع فیها بالمرح.

إن العظمـاء، شـأنهم شأن بـاقی النـاس، یتمتعون بقلوب ملؤهـا الرحمه، و العطف و الحب.. و من هنـا فإنهم، کغیرهم من البشـر، یحبون المرح الحق، فی ساعاته، و یمارسون المزاح و الدعابه مع من حولهم، و لا یقولون إلّا حقا..

و حدهم الجبّارون هم الّذین لا یتضاحکون، و لا یمزحون.

ص:۲۶۷

يقول الحديث الشريف: «المؤمن: دعب لعب، و المنافق: قطب غضب»(١).

و لذلك فإنه «ما من مؤمن إلّا و فيه دعابه»(٢).

إلاّـ أن المزاح له حـدود، فليس المؤمن كـثير المزاح لأـن «من جعـل ديـدنه الهزل، لم يعرف جدّه»(٣) ، و «مـن كـثر مزاحه قلّ وقاره»(۴).

و على كل حال «فإن اللّه يحب المداعب فى الجماعه بلا رفث»(۵).

و قد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «إنى لأمزح و لا أقول إلّا حقا»(۶).

و هكذا الإمام على عليه السّـلام كان مع أصـحابه كأحدهم يمزح معهم حينا، و يسوقهم إلى الحق بجد أحيانا.. حتى لقد قالوا فيه بعد وفاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنه أحق الناس بالخلافه، لو لا أن فيه دعابه!

و قد نشروا ذلك عنه فى الشام، حتى قال عليه السّلام: «عجبا

١- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ١۵٣.
٢- بحار الأنوار: ج ٧۶، ص ۶٠.
٣- غرر الحكم.
۴- غرر الحكم.
۵- الكافى: ج ٢، ص ۶۶٣.
۶- شرح نهج البلاغه: ج ۶، ص ٣٣٠.

لابن النابغه، يزعم لأهل الشام أنّ فىّ دعابه، و أنى امرؤ تلعابه، أعافس و أمارس، لقد قال باطلا، و نطق آثما»(۱).

فدعابه الإمام كانت فى حق، لا فى باطل فلم يكن عليه السّلام «تلعابه» و لم «يعافس» أو «يمارس»..

و إليكم بعض مزاحه.. كما جاء فى التاريخ:

«أقبل رجلان من شيوخ القبائل يهنئان أمير المؤمنين بالعوده و بالنصر، فأراد أن يكرمهما، فألقى إليهما بوسادتين فقعد أحد الرجلين على الوساده، و لم يقعد الآخر، بل قعد على الحصير كما يقعد أمير المؤمنين، فقال له الإمام مداعبا:

«اقعد على الوساده يا رجل، فلا يأبى الكرامه إلاّ حمار»! و ضحكوا جميعا، و قعد الرجل، و ذهبت مثلا»(۲)!.

و حينما اقتحم أصحاب الجمل دار الصحابى الجليل «عثمان بن حنيف» و نتفوا شعر لحيته و رأسه و شعر عينيه تنكيلا به، ثم تركوه ذهب «عثمان» هذا إلى أمير المؤمنين و هو يستريح فى موضع على طريقه إلى البصره، فلما رآه يبكى أراد الإمام أن يهوّن عليه فقال له مداعبا:

۱- نهج البلاغه: (خ ۸۴)-۱.

۲- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۱۴۳.

«ويحك يا عثمان بن حنيف، أرسلناك و أنت شيخ كثيف الشعر، فعدت إلينا بلا شعر كغلام أمرد»!(۱).

***

و كما كان عليه السّلام يمزح مع أصحابه، كان أصحابه أيضا يمزحون معه.. أو يذكرون عنده طرائف الحكم حسب ما أوصى به رسول اللّه حين قال: «إن هذه القلوب تملّ كما تملّ الأجسام فاطلبوا لها طرائف الحكم».

فقد لا حظ «أبو الأسود» بعد معارك صفّين أن أمير المؤمنين لم يعد ضاحك السن كما عرفه من قبل، فأراد أن يسرى عنه فقال له: «يا أمير المؤمنين ما زلت أعمل بنصيحتك: «سل عن الجار قبل الدار و عن الرفيق قبل الطريق» حتى ابتليت بجار حسبته صالحا، فإذا به يقذفنى بالحجاره كل يوم، فبعت الدار، فعيّرنى الناس بأنى بعت دارى، فقلت لهم:

ما بعت دارى بل بعت جارى»!.

فضحك الإمام من دعابته، و ضحك معه الحاضرون(۲).

۱- المصدر السابق: ج ۲، ص ۲۵۹.

۲- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۳۷۵.

قد تکون المعارضه لحکم باطل لا یشوبه حق.

و قد تکون لحق یشوبه باطل.

فی الصوره الأولی، مثل معارضه الاحتلال الأجنبی، و سیاده أهل الباطل ممّن لم یأت إلی الحکم باختیار الناس بل عنوه عنهم. أو حکم الکفر الصراح، فلا بدّ أن تکون المعارضه شامله، و بلا حدود إلّا حدود المثل و القیم، لأن الطرف الآخر یرید القضاء علیک، و سحق شخصیتک.

و فی الصوره الثانیه، مثل المعارضه لحکم انتخبه الناس، و لکن علیه مآخذ مثل ممارسه بعض الظلم، و عدم تطبیق الحق بشکل کامل، فإنّه لا بدّ أن تلتزم المعارضه بحدودها الأخلاقیه، و موازینها الشرعیه.

و هذه الحدود تشمل - فیما تشمله - الأمور التالیه:

أولا: أن لا تقع المعارضه فی الأخطاء التی وقع فیها الحکم القائم، فإذا کان المأخذ الذی علی الحکم هو الظلم و العدوان، فلا یجوز للمعارضه أن تمارس - هی الأخری - الظلم بأی شکل من الأشکال، و فی أی حدّ من الحدود، و بحقّ أی شخص کان.

ثانیا: أن تلتزم المعارضه بالأخلاق، مهما کانت الظروف و الأسباب التی قد تدعوها إلی خلاف ذلک. لکی تکون البدیل الحضاری حقا، و لا تکون معارضتها ضمن إطار الصراع علی السلطه.

ثالثا: أن لا تقف المعارضه ضد منافع الناس، و لا تقدم مصالحها علی مصالحهم. و أن تقتصر مواجهتها للسلطات علی ما تعارضه فیها، و لا تتعدّاه إلی غیر ذلک..

إنّ الأخلاقیه، هی التی تعطی للمعارضه مشروعیتها الحقیقیه و هی التی تمیّزها عن الأوضاع القائمه.. و أیّ تجاهل لها یسلبها مشروعیتها، و من ثمّ یبتعد عنها الناس..

لقد کانت للإمام علی علیه السّلام آراؤه الخاصه، بما جری بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و کان معارضا له، کما کانت زوجته فاطمه الزهراء علیها السّلام حامله الرایه فی مواجهته، و مع ذلک فإنّ الإمام لم

يخرجه غضبه عن الحق، كما لم يدخله رضاه فی باطل. بقی معارضا فتره خمسه و عشرين عاما لاّ أنّه لم يتجاوز الحق، و لم يخالف الشرع، و لا ترک الالتزام بالأخلاق الفاضله، حتی مع من کان يعارضه.

کان عليه السّلام يری نفسه الأحق بالخلافه، و يصرّح بذلک جهارا، حتی لقد قال - بعد أن وصلت إليه أنباء السقيفه - و هو مشغول بغسل رسول اللّه، و تدفينه - «ما قالت الأنصار»؟ قالوا:

«قالت منّا أمير و منکم أمير».

فقال عليه السّلام: «فهلاّ احتججتم عليهم بأن رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم وصّی بهم بأن يحسن إلی محسنهم، و يتجاوز عن مسيئهم؟».

قالوا: و ما فی هذه من حجّه؟

فقال عليه السّلام: «لو کانت الإمامه فيهم، لم تکن الوصيّه بهم».

ثم قال عليه السّلام: «فما ذا قالت قريش؟» قالوا: «احتجّت بأنها شجره الرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم!».

فقال عليه السّلام: «احتجّوا بالشجره، و أضاعوا الثمره»(۱) ؟!

و کان يقول عليه السّلام: «أنا خليفه رسول اللّه و وزيره و وارثه. أنا

۱- نهج البلاغه: الخطب ۶۷.

أخو رسول اللّه و وصيّه و حبيبه. أنا صفىّ رسول اللّه و صاحبه.

أنا ابن عمّ رسول اللّه و زوج ابنته و أبو ولده. أنا سيّد الوصيين و وصىّ سيد النبيين، أنا الحجّه العظمى و باب النبىّ المصطفى»(۱).

و كان بناء على ذلك يرى نفسه مظلوما، قد ظلم فى حقه، و يروى فى ذلك أنه سمع صارخا ينادى: «أنا مظلوم».

فقال له عليه السّلام: «هلمّ فلنصرخ معا، فإنى ما زلت مظلوما منذ قبض رسول اللّه(۲) و ما لقى أحد من الناس ما لقيت»(۳).

و قال: «.. لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّى لم أردّ على اللّه، و لا على رسوله ساعه قط.

و لقد واسيته بنفسى فى المواطن التى تنكص فيها الأبطال، و تتأخّر فيها الأقدام، نجده أكرمنى اللّه بها».

«و لقد قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إنّ رأسه لعلى صدرى.

و لقد سالت نفسه فى كفّى، فأمررتها على وجهى، و لقد ولّيت غسله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الملائكه أعوانى، فضجّت الدار و الأفنيه: ملأ

۱- بحار الأنوار: ج ۳۹، ص ۳۳۵.
۲- شرح نهج البلاغه: ج ۹، ص ۳۰۵.
۳- المصدر السابق: ج ۴، ص ۱۰۳.

يهبط، و ملأ يعرج، و ما فارقت سمعى هينمه منهم، يصلّون عليه، حتى واريناه فى ضريحه»..

«فمن ذا أحقّ به منّى حيا و ميتا»(۱) ؟؟

و لقد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأصحابه: «إن تولّوا عليا تجدوه هاديا مهديا يسلك بكم على الطريق المستقيم»(۲).

و مع إيمان الإمام بذلك، لا تشوبه شائبه، إلاّ أنه وقف يعارض بشرف و أخلاق، بل و نصح الخلفاء و منحهم من عطفه، و ساعدهم فى مشاكلهم، و علّمهم ما جهلوه، و قضى لهم فيما أشكل عليهم، و حاول مساعده من تعرّض منهم للرفض من قبل المسلمين..

لقد كان الإمام سخى النفس حتى فيما يرتبط بالخلافه، أو ليس هو الذى قال لبعض أصحابه الذى سأله: «يا أمير المؤمنين.. كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام و أنتم أحقّ به»؟

قال عليه السّلام: «يا أخا بنى أسد: إنّك لقلق الوضين، ترسل فى غير سدد (استقامه) و قد استعلمت فاعلم: أمّا الاستبداد

۱- نهج البلاغه: الخطب ۱۹۷.

۲- تاريخ ابن عساكر: ج ۳، ص ۶۹.

علینا بهذا المقام و نحن الأعلون نسبا، و الأشدّون برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نوطا (تعلّقا) فإنّها کانت إثره (استئثار) شحّت علیها نفوس قوم، و سخّت عنها نفوس (قوم) آخرین، و الحکم للّه و المعوّد إلیه القیامه»(۱).

و قد لخّص الإمام موقفه العام فی الخطبه المعروفه بالشقشقیه و التی یقول فیها: «أما و اللّه لقد تقمّصها ابن أبی قحافه، و إنه لیعلم أن محلّی منها محلّ القطب من الرّحی، ینحدر عنی السیل، و لا یرقی إلیّ الطیر، فسدلت دونها (الخلافه) ثوبا، و طویت عنها کشحا، و طفقت أرتئی بین أن أصول بید جذاء (مقطوعه) أو أصبر علی طخیه (ظلمه) عمیاء یهرم فیها الکبیر، و یشیب فیها الصغیر، و یکدح فیها مؤمن حتی یلقی ربه».

«فرأیت أن الصبر علی هاتان أحجی (أولی) فصبرت و فی العین قذی و فی الحلق شجی، أری تراثی نهبا، حتی مضی الأول لسبیله، فأدلی بها (الخلافه) إلی فلان بعده:

شتان ما بینی علی کورها و یوم حیان أخی جابر

فیا عجبا.. بینا هو یستقیلها فی حیاته، إذ عقدها لآخر

۱- علل الشرائع: باب ۱۱۹.

بعد وفاته - لشدّ ما تشطرا ضرعيها - فصيّرها فی حوزه خشناء يغلظ كلمها و يخشن مسّها، و يكثر العثار فيها، و الاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبه (الإبل الجامحه) أن أشنق لها (شدّد لها) خرم (قطع) و أن أسلس لها تقحّم، فمنی الناس (ابتلوا) بخبط و شماس (بحيره و التباس) و تلوّن و اعتراض.

«فصبرت علی طول المدّه، و شدّه المحنه، حتی إذا مضی لسبيله جعلها فی جماعه زعم أنی أحدهم»..

«فيا للّه و للشوری.. متی أعترض الريب فیّ مع الأول منهم، حتی صرت أقرن إلی هذه النظائر»؟.

«لكنّی أسففت إذ أسفّوا، و طرت إذ طاروا.. فصغی رجل منهم لضغنه (حقده) و مال الآخر لصهره مع هن و هن. إلی أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله (الروث) و معتلفه، و قام معه بنو أبيه يخضمون مال اللّه خضم الإبل نبته الربيع».

«إلی أن انتكث عليه فتله، و أجهز عليه عمله، و كبت به بطنته»(۱).

ذلک هو رأی الإمام فيما جری بعد رسول اللّه، و مع ذلک فإنّه لم يبخل بكل ما فی وسعه بالمساعده مع الخلفاء لإقامه

۱- فهرست ابن النديم: ص ۲۲۴.

الحق و تحقیق العدل و الحفاظ علی منافع العامه و هدایه الناس.

و هو الذی قال: «اللّهمّ إنک تعلم أنه لم یکن الذی کان منا منافسه فی سلطان، و لا التماس شیء من فضول الحطام، و لکن لنرد المعالم من دینک، و نظهر الإصلاح فی بلادک، فیأمن المظلومون من عبادک و تقام المعطله من حدودک»(۱).

و لأنّه لم یکن ینطلق من معارضته من منطلق «التنافس علی السلطان» فلم یکن لدیه مانع من أن یسدی النصح للحاکمین فیما یرتبط ب «رد المعالم» من دین اللّه و «الإصلاح» فی البلاد، و الحفاظ علی «أمن المظلومین» و «إقامه الحدود المعطله..».

فکمّ من معضله فی عهد أبی بکر، حلّها لهم الإمام، حتی قال أبو بکر أکثر من مره «لا أبقانی اللّه لمعضله لیس لها أبو الحسن»؟.

و کم من مسأله استعصت علی عمر بن الخطاب، فأعطی الإمام الرأی الأصوب فیها، حتی قال عمر أکثر من مره «لو لا علی لهلک عمر»؟

و کم من محاولات بذلها لإصلاح الأوضاع فی عهد

۱- تذکره الخواص: ص ۱۲۰.

عثمان بن عفان، و منع تدهورها حتى قال عثمان أكثر من مره:

«لا أبقانى اللّه فى بلد ليس فيها علىّ»؟.

من ذلك ما أشار إليه فى عهد عمر بن الخطاب، حينما أراد الخروج إلى قتال الروم و لكن عليا بن أبى طالب أقنعه أن فى الجيوش التى كان قد أعدّها أبو بكر كفايه، و قد حقق قوادها نجاحا كبيرا، و كل ما يحتاج هؤلاء القواد هو المدد من عمر.

و لكن عمر رأى أن مسيره لا- مندوحه عنه ليقود المجاهدين بنفسه، فيثير فيهم الحماسه، و يحقق اللّه به النصر المبين. فقال له على: «إنّك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتنكب، و لا تكن للمسلمين كانفه (أى كنف) دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلا مجربا، و احفز معه أهل البلاد النصيحه. فإن أظهره اللّه فذاك ما تحب، و إن تكن الأخرى، كنت ردءا للناس و مثابه للمسلمين»(۱).

فولّى عمر أبا عبيده على الجيش.

و فتحت جيوش المسلمين أرض العراق و الشام كلها

۱- نهج البلاغه: الخطب ۱۳۴.

و مصر، و هرب هرقل إلى القسطنطينيه و نظر إلى آخر معاقله فی سوريا فبكى و هو يقول: «سلام عليک يا سوريه، سلام لا اجتماع بعده»(۱).

و مره أخرى، حينما أراد عمر بن الخطاب أن يخرج بنفسه إلى الحرب مع الفرس.. فاستشار عليا فی الخروج بنفسه، فقال له الإمام: «إن هذا الأمر لم يكن نصره و لا خذلانه بكثره و لا بقله، و هو دين اللّه الذى أظهره و جنده الذى أعدّه و أمدّه حتى بلغ ما بلغ. و نحن على موعد مع اللّه و اللّه منجز وعده، و ناصر جنده. و مكان القيّم بالأمر مكان النظام (أى السلک) من الخرز، يجمعه و يضمّه، فإذا انقطع النظام تفرّق الخرز و ذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا.

و العرب اليوم و إن كانوا قليلا منهم كثيرون بالإسلام عزيزون بالاجتماع. فكن قطبا و استدر الرحى بالعرب، و أصلهم دونک نار الحرب، فإنک إن شخصت من هذه الأرض، انتقضت عليک العرب من أطرافها و أقطارها، حتى يكون ما تدع وراءک من العورات أهم إليک مما بين يديک. إن الأعاجم إن ينظروا إليک غدا يقولوا: هذا أصل العرب، فإذا

۱- كتاب الأموال: ص ۲۵۲.

قطعتموه استرحتم، فيكون ذلک أشدّ لكلبهم (تكالبهم) عليک، و طمعهم فيک.

فأما ما ذكرت من سير القوم لقتال المسلمين، فإن اللّه سبحانه، هو أكره لمسيرهم منک، و هو أقدر على تغيير ما يكره. و أما ما ذكرت من عددهم فإنّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثره، و إنما كنّا نقاتل بالنصر و المعونه (من اللّه تعالى)(۱).

***

و استطاع المسلمون بقياده سعد بن أبى وقاص و سلمان الفارسى أن يفتحوا أرض فارس «المدائن» عاصمه الفرس، و اتّخذ سعد إيوان كسرى مصلى. و قرأ فى صلاته قوله تعالى:

كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ (۲۵) وَ زُرُوعٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ (۲۶) وَ نَعْمَهٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ (۲۷) كَذلِكَ وَ أَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ (۲).

و أرسل سعد إلى عمر بالمدينه كنوز كسرى و تيجانه، و بنات كسرى، و أسيافه... و كان الفرس من قبل قد غزوا الهند و الترک. و منهم غلبت الروم فى أدنى الأرض، و نهبوا جواهر ملوک الهند و الترک و أباطره الروم، فآل كل ذلک للفاتحين۳.

۱- الأخبار الطوال: ص ۱۳۴.

۲- سوره الدخان، الآيات: ۲۵-۲۸.

و أرسل سعد إلى عمر إلى جوار خمس الفیء. بساطا واحدا طوله ستون ذراعا و عرضه مثل ذلک، و قد نقش علیه بالذهب و الجواهر، طرق و أنهار و أزهار و ثمار!..

و قد نال کل جندی من جنود سعد بن أبی وقاص اثنی عشر ألفا غیر الدور.. و کانوا ستین ألفا.. و بلغ ما دخل بیت المال ثلاثین ألف ألف أی ثلاثین ملیونا..

ثم أشار إلى الغنائم النفیسه و أقسم على عبد الرحمن بن عوف أن یقسمها فهو علیم بالجواهر، لتوزع فی الوقت.

و قسم ابن عوف المتاع، و وزعه عمر على الناس، بادئا بأهل السابقه فی الإسلام.

و بقی البساط المرصع بالذهب و الجواهر النادره، و کان لا ینقسم، و سألهم عمر المشوره فی أمر البساط فقال بعضهم:

«قد جعل الجند ذلک لک». و منهم من قال: «إنه لأمیر المؤمنین لا یشرکه فیه أحد» و زاد أحدهم: «یا أمیر المؤمنین لقد أشغلناک عن أهلک و ضیعتک و تجارتک فهو لک».

فقال الإمام علی: «لا.. إنه لم یجعل اللّه علمک جهلا، و یقینک شکا. إنه لیس من الدنیا إلّا ما أعطیت فأمضیت،

و قسمت فسویت، أو لبست فأبلیت، أو أکلت فأفنیت. و إنک إن تبقه الیوم علی هذا لم تعدم فی غد من یستحق به ما لیس له».

قال عمر: «صدقتنی و نصحتنی یا أبا الحسن».

ثم قطع البساط و قسمه، فأصاب علیا منه قطعه لم تکن أجود من غیرها فباعها بعشرین ألفا. و أنفقها فی سبیل اللّه!

أما بنات ملک الفرس، فقد أراد عمر أن یبیعهن کالجواری، و یضع ثمنهن فی بیت المال.. و أعطاهن للدلاّل ینادی علیهن بالسوق، فکشف الدلاّل عن وجه إحداهن، فلطمته لطمه شدیده.

فصاح الرجل: «و اعمراه»! و شکا إلیه، فدعاهن عمر، و أراد أن یضربهن بالعصا فقال له علی علیه السّلام: «إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: (أکرموا عزیز قوم ذل و غنی قوم افتقر) إن بنات الملوک لا یبعن، و لکن قوّموهن» فقوموهن و کنّ ثلاثا، فأعطاه أثمانهن و وهبهن واحده لمحمد بن أبی بکر، و الثانیه لعبد اللّه بن عمر، و الثالثه لابنه الحسن»(۱).

***

۱- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۹۷.

کانت للإمام مآخذ کثیره علی طریقه إداره البلاد فی العهود التی سبقت خلافته و لذلک فحینما اقترح علیه أن یکون هو الخلیفه بعد عمر بشرط أن یعمل بکتاب اللّه و سنّه نبیه، و سیره الشیخین، رفض الشرط الأخیر، و قال: «بل باجتهاد رأیی».

إلاّ أنه علیه السّلام کان لا یبخل علی أی واحد من الخلفاء بالمشوره النافعه و الموعظه الصالحه، بما یضمن لهم السیر علی الطریق المستقیم.

و من ذلک ما روی من «أن عمر بن الخطاب احتاج إلی مال لیجهز الجیش، و لم تکن الفتوحات قد جاءت بالثراء العریض للدوله الجدیده بعد، و ما فی بیت المال! فذکر قوم حلی الکعبه و قالوا: «ما تصنع الکعبه بالحلی یا أمیر المؤمنین؟ خذ هذه الحلی فجهّز بها جیوش المسلمین یکن لک أعظم الأجر».

و همّ عمر بذلک إلا أنه رأی أن یسأل علیا. فقال له علی علیه السّلام: «إن القرآن أنزل علی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الأموال أربعه:

أموال المسلمین فقسّمها بین الورثه فی الفرائض (المواریث)، و الفیء فقسّمه علی مستحقیه، و الخمس، فوضعه اللّه حیث

وضعه، و الصدقات فجعلها اللّه حيث جعلها، و كان حلى الكعبه فيها يومئذ فتركه اللّه على حاله، و لم يتركه نسيانا وَ ما كانَ رَبُّکَ نَسِيًّا (۱) و لم يخف عليه مكانا، فأقرّه حيث أقرّه اللّه و رسوله»..

فقال له عمر: «لولاك لافتضحنا». و ترك الحلى بالكعبه كما هى(۲).

***

كان الإمام فى صف المعارضه، و كان يختلف مع الخليفه فى قضايا داخليه كثيره. منها تولّيه لهذا المنصب، إلّا أن الأمر حينما كان يرتبط بهيبه الدوله، أو حسب تعبير الإمام ب «سلطان الإسلام» كان ينبرى للأمر حتى يضمن سلامه توجّه الخليفه، و سلامه توجّه الدوله..

و لقد رأينا كيف أن الإمام منع عمر من أن يشخص بنفسه إلى قتال كل من الروم و الفرس، و لكن فى مسأله بيت المقدس، كان للإمام رأى معاكس تماما، كل ذلك حرصا على هيبه الدوله الإسلاميه، و حفاظا على مكانه الخليفه. فقد روى أنه «عند ما حاصر المسلمون بيت المقدس، و دارت حوله

۱- سوره مريم، الآيه: ۶۴.

۲- المصدر السابق: ص ۱۴۵.

معركه طاحنه، طلب أهله أن يتصالحوا مع العرب على الجزيه، بشرط أن يقدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بنفسه ليتّفق على شروط الصلح.

و جمع عمر الناس فى المسجد فشاروهم، فقال عثمان:

«لا تبرح المدينه فأنت إن أقمت هنا و لم تسر إليهم رأوا أنك بأمرهم مستخف و لقتالهم مستعدّ، فلم يلبثوا إلّا اليسير حتى ينزلوا على الصغار و يعطوا الجزيه».

أما على بن أبى طالب عليه السّلام فلم ير هذا الرأى، و أشار على عمر أن يذهب، و قال: «إذا أنت قدمت عليهم كان لك و للمسلمين الأمن و العافيه و الصلاح و الفتح. و لست آمن أن ييأسوا منك و من الصلح، و يمسكوا حصنهم و يأتيهم المدد من بلادهم و طاغيتهم، لا سيما و بيت المقدس معظّم عندهم و إليه يحجّون».

و أخذ عمر برأى على، و استخلفه على المدينه. و ركب إلى بيت المقدس. و كان الأمر كما قال الإمام على عليه السّلام(۱).

***

و فى المسائل الداخليه، إذا كان الأمر يرتبط بقضايا مهمّه، مثل مسائل الولاه، و طريقه التعامل معهم، و التشدّد

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۱۲۹.

بحقّهم، و ما شابه ذلک کان الإمام یتدخّل لمصلحه الأمه، و لم یکن من أصحاب الرأی القائل دع الحاکم غیظا، و تزداد أخطاؤه و استحقاقاته، لتزید النقمه علیه و تکسب المعارضه..

فهو لم یکن یرید «کرسی» الحکم مثل کثیر من المعارضین - حتی لا تهمّه أمور الأمه و الدوله.. بل کان یرید الإصلاح ما استطاع إلی ذلک سبیلا.

و من ذلک ما روی أن عمر بن الخطاب کان یعمد بعض الأوقات إلی ما جمعه عمّاله فیصادر نصفه لبیت المال، و یترک لهم نصفه. إرضاء لهم من جهه، و إرضاء للعامه من جهه أخری.. مع أن بعضهم کان یجمع الأموال خیانه، و لصوصیه، مثل معاویه بن أبی سفیان، و عمرو بن العاص، و غیرهما.. و لقد أقرّ أقوام من الصحابه ما کان یفعله عمر.

أما علی علیه السّلام فقد کان یصنع ما یصنعه بهذا الصنف من الولاه رفقا لا یجوز، أو شدّه لیست من حقه!

فقد قال الإمام لعمر: «لئن کان عمّالک خونه، و کان هذا المال فی أیدیهم خیانه، ما حلّ لک ترکه، و کان لک أن تأخذه کله، فإنه فیء للمسلمین، فما لک تأخذ نصفه و تترک نصفه؟! و لئن کانوا غیر خونه. فما حلّ لک أن تأخذ أموالهم، و لا شیئا

منها قليلا أو كثيرا! و أعجب من ذلك إعادتك إياهم إلى أعمالهم!.. لئن كانوا خونه، ما حلّ لک أن تستعملهم! و إن كانوا غير خونه ما حقّت لک أموالهم»(۱)!

من أجل ذلک كره هؤلاء عليا عليه السّلام، و خافوه على أطماعهم، و خشوا إن أصبح هو أميرا للمؤمنين، أن يصرفهم عمّا يفعلون بأموال العامه فيحملهم على الزهد، و التخلّی عن زينه الحياه!

لقد كان الإمام عليه السّلام يرى «أن أعظم الخيانه، خيانه الأمه و أفظع الغش غش الأئمه»(۲).

فلم يكن يرضى بخيانه عمّال عمر، كما لم يكن يغشه فی النصيحه.. خاصه فيما يرتبط بمحاسبه الولاه، و منعهم من نقض القانون و مخالفه الشريعه.. معتبرا التساهل مع الولاه، و السماح لهم بمخالفه الشريعه بدايه و سقوط الحضاره الإسلاميه، و نهايه تماسک النظام الإسلامی من ذلک ما حدث بعد أن توالت الفتوحات شرقا و غربا، فعكف بعض المجاهدين على الملذّات و الشراب.

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۱۴۱.

۲- أنساب الأشراف: ج ۲، ص ۱۵۹.

و واجهت عمر مشكله جماعه من خيره فرسان المسلمين، على رأسهم «أبو محجن»، الذى أبلى أحسن البلاء فى فتح العراق و بلاد الفرس، و ما وراء النهرين و أذربيجان..

أرسل أمير الجند سعد بن أبى وقاص هذه الجماعه إلى عمر، لأنهم شربوا الخمر، بعد أن أمر عمر بأن يحدّ شاربها ثمانين جلده...

فقالوا لعمر: «ما حرّمها اللّه و لا رسوله. إن اللّه تعالى يقول فى سوره المائده: لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا إِذا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ (۱). بل حرّمتها أنت بعد أن أفتاك على بن أبى طالب»!.

فأرسل عمر إلى علىّ ليجادلهم.

قال على: «إن كان معنى هذه الآيه كما يقولون، فينبغى أن يستحلّوا الميته و الدم و لحم الخنزير»!.

فبهتوا و سكتوا.

فقال عمر لعلى: «فما ترى فيهم»؟. قال: «أرى إن كانوا

۱- سوره المائده، الآيه: ۹۳.

شربوها مستحلّين لها أن يقتلوا. و إن كانوا شربوها و هم يؤمنون أنها حرام أن يحدّوا ثمانين جلده».

فسألهم عمر فقالوا: «و اللّه ما شككنا فى أنها حرام، و لكننا قدرنا أن لنا نجاه فيما قلناه»!.

فأمر عمر بجلد كل واحد منهم ثمانين جلده، فلما انتهى إلى أبى محجن قام من الجلد فقال شعرا جاء فيه:

و إنى لذو صبر و قد مات إخوتى و لست عن الصهباء يوما بصابر!

فقال عمر: «قد أبديت ما فى نفسك و لأزيدنك عقوبه لإصرارك على شرب الخمر».

فقال له على: «ما ذلك لك! و لا يجوز أن تعاقب رجلا قال لأفعلنّ و هو لم يفعل، و قد قال اللّه تعالى فى الشعراء:

وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ (۱)..».

فقال عمر: «استثنى اللّه منهم أقواما».

فقال على:«إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ» (۲).

***

۱- سوره الشعراء، الآيه: ۲۲۶.

۲- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۱۷۴-۱۷۵.

و من ذلک أن عمر بن الخطاب أنشأ الـديوان الـذی يحتفظ فيه برواتب المسـلمين آخـذا بالنظم التی کانت سائـده عند الفرس و الروم و قد خالفه الإمام علی عليه السّلام لأن الإمام کان مخالفا لتأخير الفیء، و أموال الناس و لکن لم يعلن ذلک إلاّ فيما بعد.

غير أن عمر بن الخطاب بعد أن أنشأ الديوان و فرض للمسلمين فيئهم، جمع الناس و قال لهم:

«إنی کنت امرأ تاجرا يغنی اللّه عيالی بتجارتی و قد شغلتمونی بأمرکم، فما ذا ترون أنه يحل لی من هذا المال؟» فأکثر القوم عليه يقترحون الإغداق، و علی صامت.

فقال عمر:

«ما تقول يا أبا الحسن»؟:

فقال الإمام: «ما أصلحک و أصلح عيالک بالمعروف.

و ليس لک فی هذا المال غيره».

فقال عمر: «اللّه أکبر، صدقت يا أبا الحسن، لو لا علی لهلک عمر».

و استنکف جماعه من أهل الشام من اسم الجزيه، و ارتضوا أن يـدفعوا بشـرط تغيير اسـمها، و لکن عمر صـمم علی أن يـدفعوا الجزيه صاغرين باسم الجزيه، فاحتکموا إلی علی،

فأقنع عمر أن يقبل منهم الجزيه باسم الصدقه تطهرهم.. فلما اقتنع عمر، دخل عدد منهم فى الإسلام(۱).

و اجتمع عند عمر مال، فقسّمه، فبقى منه شىء فاستشار بعض الصحابه فيما بقى قالوا: «نرى أن تمسكه فإن احتجت إلى شىء كان عندك». فسأل عليا: «ما لك لا تتكلم يا أبا الحسن»؟ قال: «قد أشار عليك القوم». قال: «و أنت فأشر».

قال: «أرى أن تقسمه». فقسمه عمر:

و قال: «يا أبا الحسن لا أبقانى اللّه لشدّه لست لها، و لا لبلد لست فيه»(۲).

***

و حتى فى المسائل الشخصيه، فإن الإمام عليه السّلام كان لا يغشّ من استنصحه من الخلفاء، فهو إذا كان يعارض فلم يكن لحبه أو بغضه الشخصى إذ لم تكن لمعارضته هذه الصفه لا فى كلياتها، و لا فى جزئياتها..

من ذلك ما روى «أن عمر بن الخطاب أراد أن يتزوّج عاتكه بنت زيد، بعد أن قتل عنها زوجها عبد اللّه بن أبى بكر

۱- على إمام المتّقين: ص ۱۰۰.

۲- المصدر السابق: ج ۱، ص ۱۰۴.

فی إحدی المعارک فقالت له: «قد کان عبد اللّه أعطانی حدیقه علی أن لا أتزوج بعده».

فقال لها عمر: «استفتی علی بن أبی طالب».. و لما استفته علیه السّلام قال لها الإمام: «ردّی الحدیقه علی أهله، و تزوّجی عمر».

و کانت عاتکه کما وصفها معاصروها: «امرأه ذات جمال، و کمال، و تمام فی عقلها و منظرها، و کانت حسناء بارعه»(۱).

***

تلک کانت بعض الأمثله علی طریقه الإمام علی علیه السّلام فی المعارضه، و التزامه بالأخلاق الفاضله فیها، فی عهد عمر بن الخطاب.

أمّا فی عهد «عثمان بن عفان» فإن الإمام کان أخلص من وقف معه ناصحا أمینا، لیردّه إلی الجادّه و یمنع عنه ما آل إلیه، فکم من موقف ردّ الإمام عنه الثائرین علیه، أو توسّط بینهما، و لکن بعض الحاقدین الجشعین من أمثال مروان بن الحکم أفسدوا فی الأمر..

۱- المصدر السابق: ج ۱، ص ۱۲۳.

و کم من مرّه وقف الإمام مع الحق، و حاول عثمان أن لا يتجاوز حدود الشريعه فی أموره الخاصه، أو العامه، و لکنه تحت تأثير بنی أميه، کان يفعل ما يجب أن لا يفعله؟

من ذلک مثلا ما روی فی بدايه خلافه عثمان، فقد روی أن عبد الرحمن بن عوف حين رأی الخنجر الذی اغتيل به عمر و هو خنجر غريب الشکل ذو نصلين و مقبضه فی وسطه، قال إنه رأی أبا لؤلؤه بالأمس يقلب هذا الخنجر و معه الهرمزان و جفينه، و اتهمهما فی ذلک.

فخرج عبيد اللّه بن عمر فی غضب عارم شاهرا سيفه.

فقتل الهرمزان، و هو فارسی أسلم، و جفينه، و هو نصرانی من نصاری الحيره، ثم ذهب إلی بيت أبی لؤلؤه، فقتل ابنته الصغيره، و أراد أن يقتل کل من فی المدينه من سبی رجال کانوا أو نساء، فتکاثر عليه عدد من المهاجرين و الأنصار، فنزعوا منه السيف، و وضعوه فی محبس!

فلما جاؤوا بعبيد اللّه بن عمر ليحاکمه عثمان سأل عثمان جماعه من المهاجرين و الأنصار فيهم علی: «أشيروا علیّ فی هذا الذی فتق فی الإسلام ما فتق».

و سکت الجميع فما يدرون بم يشيرون!

فقال الإمام: «ما من العدل تركه، و أرى أن تقتله، فقد قتل رجلا مسلما يصلى، و قتل صبيه صغيره، و قتل رجلا نصرانيا من ذمّه رسول اللّه»!.

فقال أحد الحاضرين من أقرباء عثمان، إن أبناء عمر كانوا ثائرين جميعا لمقتل أبيهم، و هم الّذين شجّعوا عبيد اللّه على ما فعل.. حتى حفصه بنت عمر ممّن شجّع عبيد اللّه على قتلهم!

و عاد الإمام يؤكد أن القصاص لولى الأمر، فما من حق أبناء عمر أن يقيموا الحدّ أو يقضوا، فهذا لأمير المؤمنين وحده، أما أولياء الدم، فليس لهم إلاّ أن يعفوا إذا شاؤوا. ثم إن عبيد اللّه لو لم يقتل هؤلاء لأمكن أن تعرف أسرار ما حدث.

و لم يرتح عثمان لهذا الرأى!

و قال بعض الحاضرين: «أ يقتل عمر أمس، و يقتل ابنه اليوم»؟!

و لم يعقب الإمام على!..

و كان عمرو بن العاص حاضرا فى مجلس عثمان، فقال:

«يا أمير المؤمنين إن اللّه قد أعفاك من هذا الحدث، فقد كان

قبل البیعه لک، و لیس لک علی المسلمین سلطان. تلک قضیه لم تکن فی أیامک فدعها عنک».

و ضاق به الإمام علیه السّلام و استشعر الأسی حیث إن أحکام الشریعه تنتقص للعواطف، و تراق دماء بریئه من غیر ذنب ثم یعفی عن القاتل.

و أخیرا قال عثمان: «أنا ولی الّذین قتلهم عبید اللّه بن عمر. و قد جعلتها دیه، و احتملتها فی مالی»(۱).

و حدث حادث آخر، و حاول الإمام مره أن یمنع الخلیفه من الانسیاق وراء بنی أمیّه. و حذّره بأشدّ ما یکون فی ذلک.

فقد روی أن عثمان بن عفان حجّ بالناس، فزیّن له بعض قرابته من بنی أمیه أن یقیم مخیما کبیرا یلیق «بأمیر المؤمنین»، فکان أول من ضرب فسطاطا بمنی. و أتمّ الصلاه بمنی و بعرفه، و السّنّه قصر الصلاه بهما.

فقال له علی: «ما حدث أمر، و لا قدم عهد، و لقد عهدت النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أبا بکر و عمر یصلّون رکعتین، و أنت صدرا من خلافتک» فقال: «رأی رأیته».

۱- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۱۴۷.

و جاء قوم إلى علىّ يشكون عثمان، و ينكرون عليه أمورا، و اشتدوا فى النكير.

فجاءه على فقال: يا أمير المؤمنين أ لا تنهى سفهاء بنى أميّه عن أعراض المسلمين و أبشارهم و أموالهم؟! و اللّه لو ظلم عامل من عمّالك حيث تغرب الشمس لكان إثمه مشتركا بينه و بينک. فارجع إلى اللّه. فحتى متى و إلى متى»؟(۱)!.

و حينما بدأت مظاهر التذمّر من عامه المسلمين و خاصتهم تزداد من تصرفات بنى أميّه و غيرهم من ولاه عثمان، جاءه الإمام ناصحا له، و هو يريد أن يبعده من الّذين استخدموا عباءته لنيل ملذاتهم، و ينقذه من ثوره و شيكه، و كان الإمام قد نصحه قبل ذلک مرات عديده و كانت هذه فى الأواخر.. فقال له الإمام:

- «إن الناس ورائى، و قد استسفرونى بينک و بينهم.

و و اللّه ما أدرى ما أقول لک! ما أعرف شيئا تجهله، و لا أدلّک على أمر لا تعرفه. إنک لتعلم ما نعلم. ما سبقناک إلى شىء فنجرّک عنه، و لا خلونا بشىء فنبلغکه، و قد رأيت كما رأينا، و سمعت كما سمعنا، و صحبت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۱۵۱

صحبنـا.. فـاللّه.. اللّه.. فی نفسـک، فإنک و اللّه ما تبصـر من عمی، و لا تعلّم من جهل، و إن الطرق لواضـحه، و إنّ أعلام الـدین لقائمه.

«فـاعلم أن أفضـل عباد اللّه، عنـد اللّه: إمام عادل هـدی و هـدی فأقام سـنّه معلومه، و أمات بـدعه مجهوله، و إن السـنن لنیّره، لها أعلام و إنّ البدع لظاهره لها أعلام. و إن شـرّ الناس عند اللّه: إمام جائر ضلّ و ضلّ به، فأمات سنّه مأخوذه، و أحیا بدعه متروکه. و إنی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول:

«یؤتی یوم القیـامه بالإمـام الجـائر، و لیس معه نصـیر و لا ـ عاذر، فیلقی فی نار جهنم فیـدور فیها کما تـدور الرحی، ثم یرتبط فی قعرها».

«و إنی أنشـدک اللّه ألّا تکون إمام هذه الأمّه المقتول، فإنه کان یقال: یقتل فی هذه الأمه إمام یفتح علیها القتل و القتال إلی یوم القیامه، و یلبس أمورها علیها، و یبثّ الفتن فیها، فلا یبصرون الحق من الباطل، یموجون فیها موجا، و یمرجون فیها مرجا».

«فلا تکونن لمروان (بن الحکم) سیّقه، لیسوقک حیث شاء بعد جلال السّن، و تقضی العمر!».

ص:۳۰۰

فقال عثمان للإمام: «كلّم الناس فی أن يؤجلونی، حتی أخرج إليهم من مظالمهم..

فقال علی عليه السّلام: «ما كان بالمدينه فلا أجل فيه، و ما غاب فأجله وصول أمرک إليه»(۱).

و لقد بقی الإمام ناصحا لعثمان بالرغم من أن عثمان نفی الإمام إلی خارج المدينه، ثم عند ما اشتدت المعارضه عليه طلب الإمام للتوسّط بينه و بين الناس، و تهدئتهم، ثم حينما ازداد هتاف الناس باسم الإمام للخلافه، طلب عثمان من عبد اللّه بن عباس أن يوصل إلی الإمام رساله من عثمان و هو محصور فی دار الإماره يأمره عليه السّلام بالخروج من المدينه إلی «ينبع» ليقل هتاف الناس باسمه.. فقال الإمام:

- «يا ابن عباس.. ما يريد عثمان إلّا أن يجعلنی جملا ناضحا بالغرب، أقبل و أدبر!. بعث إلیّ أن أخرج فخرجت، ثم بعث إلیّ أن أقدم، ثم هو الآن يبعث إلیّ أن أخرج؟.

«و اللّه لقد دفعت عنه حتی خشيت أن أكون آثما»(۲).

۱- العقد الفريد: ج ۴، ص ۳۰۸.

۲- الإمامه و السياسه: ج ۱، ص ۶۷.

و بعـد مقتل عثمان، كتب الإمام رساله إلى أهل الكوفه يخبرهم بما جرى و ذكر فيه: «أما بعد فإنى أخبركم عن أمر عثمان، حتى يكون سمعه كعيانه، إن الناس طعنوا عليه، فكنت رجلا من المهاجرين أكثر استعتابه، و أقلّ عتابه».

ص:٣٠٢

الفهرس

المقدمه ۷

أخلاقيات المؤمن ۹

التقوى و الإخلاص ۱۱

الالتزام بالأخلاق الفاضله ۴۰

اليقين ۷۰

الزهد ۸۶

التواضع ۱۳۷

المبادره ۱۵۰

الوفاء ۱۵۹

التضحيه ۱۶۵

العطاء ۱۷۱

الشجاعه ۱۸۵

قضاء حوائج الناس ۲۱۴

الإيثار ۲۳۰

الحلم ۲۳۷

العمل اليدوى ۲۴۵

التوازن بين الدنيا و الآخره ۲۵۱

الدعابه ۲۶۷

أخلاقيات المعارضه ۲۷۱

ص:۳۰۴

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية اصبهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩